

التحرير الاستقصائي

الدكتورعربي المصري

تدقيق:

الدكتورة نهلة عيسى

الدكتور أحمد شعراوي

الدكتور محمد رفاعي



ISSN: 2617-989X



Books & Refrences

التحرير الاستقصائي

الدكتورعربي المصري

من منشورات الجامعة الافتراضية السورية

الجمهورية العربية السورية 2018

Investigative Articles' Editing

Dr. Arabi Almassri

Publications of the Syrian Virtual University (SVU)

Syrian Arab Republic, 2018

الفهرس

الفهرس

الفهرس

الفهرس

مدخل:

الناس لا صوت لهم وحين يملكون يضيع صوتهم أمام ضجيج المصالح.. لكن بواسطة (وسيلة خاصة) تصبح الصحافة باختلاف أشكالها صوتهم محققة القاعدة في التعامل مع أصوات الضحايا: "بدل أن تعطيهم صوتك لتعبر عنهم.. اسمع لهم ودع صوتهم بنفسه يصل".

والخلاصة: بدل إعطائهم صوتاً اسمع لهم.

هذه (الوسيلة) هي الصحافة الاستقصائية التي هي أقرب طريقة للوصول إلى الحقيقة، ومن خلالها تمارس الصحافة دورها كسلطة رابعة، ما أكسبها لقب "صاحبة الجلالة"، لأنها تنتقل وفق دورها المعاصر من ديسكات تقديم الأخبار والآراء إلى ميدان يلامس حياة الناس، ويعرض همومهم ومشكلاتهم، ويتوسط لتحسين واقعهم، ما جعلها صرخة صحافة العالم اليوم، ويريد الجميع عبرها إحداث فرقاً، لكن ليس لإظهار الشجاعة، وليس لمعرفة كم أن الصحافي شجاع، فهذا مجال لمساعدة الناس وليس لعرض العضلات والحصول على التقديرات والثناءات.

يقول سيدنا "علي بن أبي طالب": "إذا أراد الله أن يذل إنساناً حرمه من الحقيقة"، والصحافة الاستقصائية بشكلها الراهن تحاول أن تضع حداً لهذا الحرمان، فللصحافة دورٌ مهم وحيوي يتمثّل في متابعة أداء المؤسسات الخاصة والحكومية والعاملين فيها، خدمةً للمصلحة العامة، إضافة إلى تشخيص حالات الفساد المالي والإداري فيها وفق أنظمة حرية المعلومات، وتوخي الدقة والموضوعية في ذلك.. ومن هنا تتطلب الصحافة الاستقصائية التي تعد من أكثر الأنماط الصحفية كلفة وإثارة للجدل المزيد من الالتزام والوقت والاستثمارات، لكونها تضطلع بدور أكثر تحريضاً للرأي العام تجاه أي انحرافات تحدث في المجتمع، إضافة إلى دورها في تحليل المعلومات، وممارسة الدور شبه القضائي في تحديد جهات الاتهام للانحرافات التي يتم تحديدها.

ومع تعقد المجتمعات وحاجة جمهورها إلى تدخل الصحافة بمختلف وسائلها الإذاعية والإلكترونية والمطبوعة كسلطة رابعة تساعد الناس في حياتهم وتحل مشكلاتهم وتكشف التجاوزات وتسلط الضوء على مكامن التقصير والفساد، بات التقصي أداة الصحافة في تحقيق أهم وظائف الإعلام (الوسيطية) التي تتوسط بين أصحاب القرار والجمهور المتضرر، وساعدها في ذلك إمكانية تقديم التكنولوجيات الحديثة للصحفيين الاستقصائيين وسائل أكثر تطوراً وقدرة على النفاذ إلى المعلومة، ما يمكّنهم من إجراء تحقيقات تفاعلية مع الجمهور عبر مختلف وسائل الإعلام، وخصوصاً عبر شبكة الإنترنت، ومن هنا برزت الصحافة الاستقصائية.

وعليه يرى "شون. ت. شيفر": "أن الغرض الأساسي من إعداد التحقيقات الصحفية هو جعل السلطة مسؤولة أمام الجماهير، إذ يتيح ذلك فرصة إطلاع المجتمع على الموضوعات التي تكشفها التحقيقيات، ما يخلق دافعاً للتغير وتعزيز مبادئ مساءلة الحكومة على جميع المستويات.

إن قدم استخدام الاستقصاء في الصحافة يرجع إلى تاريخ ممارسة المهنة حيث نما ونضج خلال مراحل الانتشار الواسع لوسائل البث الجماعي، واحتدام المنافسة بين وسائل الإعلام المختلفة، وبعد ازدياد الطابع المعقد للأحداث، وارتفاع مستوى الوعي الاجتماعي والثقافي لدى الجمهور، وتطور الصحافة وبحثها عن وسائل جديدة أكثر عمقاً.. ولكن على الرغم من ذلك يرى البعض أن هذا المفهوم بشكله المعاصر ظهر في الستينيات عندما قاد فريق المنظفين حملة ضد الفساد والرشوة زمن (تيودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة)، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت قوانين هذه الحملة عملاً ذا أصول ومبادئ وقوانين تسهم بشكل فاعل في تغيير الأوضاع، وهو أشبه بالتحقيق الصحفي، ولكن يتجه إلى العمق ويبحث في التفاصيل ليظهر النتائج.

ويعد التطور الذي حدث في مجال تكنولوجيا المعلومات بشكل عام والمجال الصحفي بشكل خاص سبب وجود هذه المؤسسات التي ترى أنه من الضروري أن تعمل الصحافة الاستقصائية على تشخيص مواطن الخلل متخذةً فريقاً واحداً، جامعةً بذلك جميع خبرات العاملين فيها لتعينهم في إعداد وكتابة التقارير الصحفية الموثقة بالأدلة والبراهين، وشاملةً بذلك جميع المواقع والمؤسسات في المجتمع، ما أسس لظهور هذا النوع من التقصي مع بداية تطور مفهوم ودور الصحافة في المجتمع واتجاهها في التركيز والتحري عن قضايا معينة تحدث في المجتمع، وبخاصة جوانب الانحراف والفساد، ولذا ظهر نوع جديد من التغطية الصحفية سُمي بالصحافة الاستقصائية Investigative Journalism، وسُمي محررو هذا اللون بـ: Muck Rekers أو المنقبون عن الفساد، حتى أصبحت اليوم المنافسة قوية على الصحافة الاستقصائية في جميع الصحف العالمية التي يوجد بها أقسام وفرق عمل استقصائية، بل أصبح الاستقصاء أكثر الأقسام أهمية إذ باتت موضوعاتها موسعة لتشمل الأعمال والمال والسياسة والمجتمع، ما أهّلها لتتمتع بقيمة كبيرة نظراً لمساهمتها المتعددة في تثبيت الحكم الديمقراطي.

ووفقاً لهذا النموذج تقع على الصحافة مهام المحاسبة بنشرها المعلومات المتعلقة بالشؤون العامة، حتى ولو كانت هذه المعلومات تكشف تجاوزات أو جرائم ارتكبها من هم في موضع المسؤولية، وبالتالي تعد تقارير تقصي الحقائق من أهم المساهمات التي تقدمها الصحافة الاستقصائية لتثبيت الديمقراطية، فهي ترتبط بمنطق الضوابط والتوازنات في الأنظمة الديمقراطية، وتوفر آلية ثمينة لمراقبة أداء المؤسسات التي تضم – حسب المفهوم العام – الهيئات الحكومية، والمنظمات المدنية، والمؤسسات المملوكة من القطاع العام، كما تسهم أيضاً في تثبيت الديمقراطية من خلال زيادة اطلاع المواطنين ومعرفتهم، فالمعلومات مصدر حيوي لتذكير الشعب اليقظ بأنه يملك سلطة محاسبة، كما تحتفظ الصحافة الاستقصائية بسلطة تحديد برنامج عمل لها لتذكير المواطنين والشخصيات السياسية بوجود مسائل عليهم معالجتها.

ومن هنا حققت الصحافة الاستقصائية في الدول الغربية إنجازات كبيرةً من حيث مساهمتُها في مكافحة الفساد وتعزيز الشفافية في مختلف مجالات المجتمع ولاسيما فيما يخص ميادين الشأن العام، وإذا كانت الصحافة الاستقصائية ترتدي ثوب الأهمية والقيمة في المجتمعات الغربية التي تزدهر فيها فإن دورها

وتأثيرها تزداد قيمته في المجتمعات النامية، وأوقات الصراع والأزمات التي تحتاج إلى أدوار كهذه لإعلامها المحلي.

وبما أن الإعلام وأسس الصحافة بأنواعها الإعلامية ومنها الاستقصاء هدفُها النقد النزيه والبنّاء، والقيام بدور المفتش من أجل مراقبة أداء المؤسسات العامة والخاصة، ولحظر التجاوزات وتحديد الخطوط الحمر للفاسدين منعاً لتجاوزها، وتنبيه المسؤولين لمهامهم، فقد برزت الصحافة الاستقصائية كوسيلة لتوضيح وتحديد ذلك، وكانت في الوقت نفسه منهجاً لمؤسسات إعلامية كبرى باحثة عن مجد عبر رصد الفساد، ونقل هموم الناس، وهي أبرز سمة ومهمة للإعلام ككل.

إن أزمات الكشف عن الفساد تحظى دائماً باهتمام وتغطية إعلامية ذات مقدرة تأثيرية وإقناعية إلى جانب اهتمام جماهيري لكونها تستطيع شد الجمهور وإثارةَ اهتمامه، فالصحافة الاستقصائية أكثر أنواع الصحافة إثارة وأهمية لأنها تعمل على وضع المرض والعلاج في سلة واحدة أمام المجتمع وصناع القرار، وهو ما يعطي الصحفي إحساساً قوياً بالإنجاز إلا أنها تتطلب وقتاً ومجهوداً شاقاً، ما يجعلها أصعب أنواع الصحافة أيضاً.. وتكمن عناصر الإثارة والإحساس بالإنجاز في النتائج التي تحققها التحقيقات الاستقصائية في شكل التغييرات الحقيقية، وآثارها الإيجابية على حياة الناس، والتي تشمل في بعض الأحيان تعديلَ القوانين، أو تقديمَ أشخاص إلى العدالة أو تصحيح الأخطاء، لكونها تفتح الباب لمناقشات وحوارات حول المسؤوليات، والحاجة إلى تشريعات وضوابط رقابية تساعد في الكشف عن الفساد والحد منه، لذا فإن مقدار حرية الصحافة المتاح في المجتمعات هو من يحدد مدى الدور الذي تقوم به الصحافة في الكشف عن الفساد، وممارسة دورها الرقابي.

إن تقدير أهمية الصحافة الاستقصائية محلياً واحترامَ دورها تجلى عبر سعي الجهات الرسمية السورية ممثلة بوزارة الإعلام إلى إدخال هذه الروح الجديدة "الاستقصاء" إلى مفاصل العمل الإعلامي السوري والصحف الرسمية والخاصة عبر توقيع اتفاقية بين وزارة الإعلام وشبكة "أريج Arij للصحافة الاستقصائية" و"إعلاميون عرب من أجل صحافة استقصائية عربية" أواخر عام 2005، إضافة إلى عقد ورشة عمل ضمن أروقة وزارة الإعلام السورية لإطلاق وحدات الصحافة الاستقصائية الإعلامية الحكومية، المطبوعة والمرئية والمسموعة أواخر عام 2014، وكل هذا بغية مد جسور تواصل وتأهيل وتدريب صحفيين سوريين على أصول الاستقصاء وتعقب الفساد، ما يواجه تغييب الصحافة الاستقصائية عن الهياكل الإعلامية في البلدان العربية، وذلك لغياب المساءلة والشفافية وتدهور حق الصحفي في الحصول على المعلومة، بعكس بقية بلدان أوروبا والدول الإسكندنافية التي تنص قوانينها على حق الصحفي في الحصول على المعلومات.

وعليه استوجبت جملة المتغيرات في هيكلية وبنية الاقتصاد السوري والتي ترافقت مع موجة تغييرات سياسية طالت تشريعات سياسية واجتماعية واقتصادية استوجبت إجراء تحولات على المستوى الإعلامي ليكون مواكباً لهذه التطورات، والتي جاءت في سبيل إعادة هيكلة وتنظيم مختلف مجالات وقطاعات العمل الحكومي،

والتي هي بحاجة إلى إصلاح فعلي، فانبرت وسائل الإعلام المحلية من صحف ومجلات لتقديم محتوى إعلامي جديد كلياً يعتمد على الاستقصاء، عبر تقديم تحقيقات صحفية استقصائية بلغة تحريرية جديدة عمادها الوثائق والثبوتيات والتحاليل المخبرية والقرائن والأدلة الدامغة، كما جرى توظيف الفنون الصحفية المختلفة في تناول حالات الفساد والانحرافات التي كشف عنها، وهو ما أذن بولادة ما بات يعرف بالصحافة الاستقصائية السورية، والتي قدم تحقيقاتها وموادَّها الصحفية ما يعرفون بصحفيي "منقبي الفساد"، وكانت هذه الرسائل الإعلامية ذات مضامين مرتبطة بخلل إداري رسمي وفساد نافذين في القطاعين العام والخاص.

وبموجب نظريات التغيير الاقتصادية والاجتماعية فإن كل عملية تطور لا بد أن يرافقها حالات "فساد"، وعليه نال العالم نصيباً من هذا العرف أو القانون كما يسميه رجال الأعمال، وطفت إلى السطح قضايا فساد اقتصادي واجتماعي، تناولها الإعلام السوري بشقيه الرسمي والخاص، وكشفت التحقيقات الصحفية المنجزة من قبل صحفيين عن مكنونات هذه القضايا، ومَن خلفها، وعرّت مسببيها، وما أسهم في تطور المجتمع والإعلام في آن معاً، ولاسيما أن بعض الاستقصاءات حققت صدى ملموساً محلياً وخارجياً، وأسهمت في تغيير القوانين والإجراءات الوطنية حيث حققت الصحافة السورية في اعتمادها على الاستقصاء خرقاً في القواعد للأمام، وحصل صحفيون سوريون على جوائز عربية وعالمية أسوة بتحقيقات استقصائية هزت العالم، مثل تحقيق كشف تهريب المازوت إلى لبنان، ومكبات النفايات ونقص الأدوية، وخلل شبكات المياه.. إلخ.

ولهذا توازى النهوض الاقتصادي والتغييرات التشريعية مع ملاحظة الجمهور السوري لمواد إعلامية وتحقيقات صحفية مكتوبة ومتلفزة تعرض بعمق قضايا فساد اقتصادي ما شكل خرقاً في القواعد على غير المألوف، وبدأت هذه التحقيقات الاستقصائية والمواد الصحفية تلعب دوراً هاماً في تنوير الرأي العام، وكان أسلوب التقصي هو الطريق الأمثل لإنجاز هذه التحقيقات، إذ كشفت أساليب احتيالية وطرقاً غير قانونية وثغرات في التشريعات استفاد منها ضعاف النفوس لتحقيق مآرب ومكاسب مادية على حساب المجتمع والمواطنين.

وبناءً على ما سبق يأتي منهاج الصحافة الاستقصائية لتمييز هذا النوع من الصحافة عن نظيرتها التقليدية، وبخاصة مع عدم قدرة أغلبية الصحفيين العرب على التمييز بين التحقيق العادي أو ما نسميه "ريبورتاج" أو "فيتشر"، والتحقيق الاستقصائي، ناهيك عن الغياب النوعي والكمي للتحقيقات الاستقصائية في الإعلام العربي، فلايزال الواقع الإعلامي يرزح تحت المطالب الأدنى في حماية العمل الإعلامي أو ضمانة الحقوق المهنية وغيرها من التي لا تفتح آفاقا كبرى لذهنية وآلية العمل الإعلامي الاستقصائي، وهذا مرتبط إلى حد كبير بالماكينة السياسية والتشريعية، وبالقدرة والرغبة الاحترافية للصحفي العربي المكبوت تحت نمط الإعلام السياسي الخبري، فالإعلام العربي لكي يتقدم وينجح لا بد له من تهيئة بيئة وتشريعات مناسبة.

وبالتالي يعتمد هذا المنهاج على البناء النظري إضافة إلى ما استُنبط من العمل البحثي الميداني، والذي يطرح حلولاً للمشكلات التي تظهر في أثناء الممارسة، وباعتبار التحقيق يرتبط بشخصية كاتبه ويبرزها سواء أكانت قوية أم ضعيفة، عميقة أم ضحلة، يقدِّم هذا المنهج من خلال نصيحة "مارك هنتر" رائد التحقيق

الصحفي على مستوى العالم القائلة: "لن يصبح جميع الطلاب صحفيين استقصائيين، قد يمتلك بعضهم الموهبة والشخصية والرغبة والانضباط لمتابعة هذا العمل، وآخرون سيفتقدون لواحدة أو بعض من هذه الخصائص، لكن بكل الأحوال يمكن أن ينير لهم الدرب، ويشحذ رغبتهم في هذا اللون من الصحافة، دون أن يمنحهم الموهبة أو يغير شخصيتهم في فصل دراسي واحد".

لا شك في أنه كل عام سنواجه طالباً يحلم بتحقيق سبق صحفي يحقق له الشهرة على الفور، ولسوء الحظ فإن هذا النوع من الطلاب هو من يفشل في إنتاج تحقيق صالح للنشر، وعلى المنهج التدريسي تقع مهمة تصحيح تلك الاتجاهات، فنحن لا نريد أن نحبط الطلبة، ولكننا لا نريد لهم الفشل أيضاً منطلقين من أهمية مكانة الصحافة الاستقصائية، ومن عظم دورها والوظائف التي تؤديها في المجتمع على طريق تعزيز الشفافية ومحاربة الفساد، وتفعيل الصحافة كسلطة رابعة فاعلة، وكأداة رقابية، وكحافز للجهات القضائية للتحقيق والمتابعة من أجل تحقيق هدف سامٍ يتمثل في تغيير إيجابي لحياة الفرد والمجتمع، ولاسيما أن هذه الصحافة في السنوات العشرين الأخيرة عرفت تقدماً على الصعيد المهني من حيث آليات عملها ووضوحُ أهدافها، ما عزز اعتمادها في وسائل الأعلام الكبيرة وتبنيها على أنها تشكل أحد أرقى الأنواع الصحافية، وتجسد بامتياز رسالة الصحافة الأساسية: (تزويد الرأي العام بالوقائع ومراقبة أداء مختلف السلطات في مجتمع).

كذلك على الصعيد الأكاديمي دخل هذا النوع المتقدم من التحقيق في مناهج كليات الصحافة وبات موضوعاً رئيساً في معاهد التدريب المهنية، كما اكتسب الصحفيون المختصون في التحقيقات الاستقصائية شهرة واسعة نظراً للتأثير الذي يتركه عملهم وللتغيير الذي يحمله في المجتمع.

ومن هنا لا بد من إدراك أنه في عمليات تقصي الحقائق يتوجب العمل على تحقيق التعاون بين المراسلين والمحررين ورؤساء التحرير، وخبراء القانون، والمحللين الإحصائيين، وأمناء المكتبات والباحثين، فالإلمام بأنظمة الحصول على المعلومات الرسمية يُعد حاسماً في معرفة نوعية المعلومات التي يمكن الوصول إليها بموجب قوانين حرية الإعلام، وإدراك المشكلات القانونية التي قد تنشأ عن نشر المعلومات المضرة. والوسائل التقنية الجديدة مفيدة للغاية في البحث عن الحقائق، وفي تعويد المحررين على المصاعب التي قد يولدها أى تقرير صحفي، وذلك كله في ظل عمل أخلاقي بحت سيركز عليه المنهج ملياً، فالصحافة الاستقصائية كما يقول "تيم سبستيان": "ليست كرة قدم يجب أن تربّح فيها فريقك.. بل إنها صحافة تقدم جميع وجهات النظر بموضوعية وأخلاقية".

الوحدة التعليمية الأولى
مفهوم الصحافة الاستقصائية

الأهداف التعليمية:

بعد دراسة هذه الوحدة التعليمية يجب على الطالب أن يكون قادراً على أن:

- يعدّد ويشرح مراحل تطور مفهوم الصحافة الاستقصائية
- يشرح تطور المفاهيم وفق الاستقصاء المعاصر
- يعدّد أسس التقصي حسب تعريف منظمة محرري صحافة التحري الأمريكية
- يعدّد الإمكانيات التي لا تنطبق على الصحافة الاستقصائية
- يشرح مفهوم التحقق والاستقصاء في اللغة
- يعدّد التعريفات الاصطلاحية للصحافة الاستقصائية
- يعدّد التعريفات العربية لمفاهيم الصحافة الاستقصائية
- يعدّد القواسم المشتركة للصحافة الاستقصائية

النقاط البحثية للوحدة:

1. تصنيف الصحافة الاستقصائية ضمن الأنواع الصحفية.
2. مراحل تطور مفهوم التحقيق الاستقصائي.
3. مفهوم التحقيق التقليدي وأنواعه.
4. التطور المفاهيمي للصحافة الاستقصائية المعاصرة.
5. التعريفات الدولية والغربية والعربية للصحافة الاستقصائية.
6. أضواء على التحقيق الصحفي المعاصر.
7. منطلقات الصحافة الاستقصائية.

8. الفرق بين الصحافة الاستقصائية والصحافة التقليدية.
9. هل كل تحقيق استقصاء؟

الكلمات المفتاحية للوحدة:

الأنواع الصحفية – مفهوم التحقيق التقليدي – أنواع التحقيق التقليدي – مفهوم التحقيق الاستقصائي – تطور مفهوم التحقيق الاستقصائي – تعريفات التحقيق الاستقصائي – إضاءات التحقيق الاستقصائي – منطلقات التحقيق الاستقصائي – فروق الاستقصائي عن التقليدي.

معلومات إضافية:

الأنواع الصحفية: هي أشكال أو صيغ تعبيرية لها بنية داخلية متماسكة، ولها طابع الثبات والاستمرارية، تعكس الواقع بشكل مباشر وواضح وسهل، وتسعى إلى تقديم وتحليل وتفسير الأحداث والظواهر والتطورات هادفة بذلك إيصال رسالة محددة إلى القارئ، موجهة إلى ذهنه ومشاعره بقصد إيجاد أو ترسيخ قناعة محددة لديه، ومن ثم تمكينه من أن يفهم الواقع على ضوء هذه القناعة، وبالتالي دفعه لأن يسلك سلوكا يتوافق مع هذه القناعة".

أولاً: مقدمة عن مفهوم الصحافة الاستقصائية

اتفق المجتمع الإعلامي التحريري دولياً على تصنيف الأنواع الصحفية إلى:

- **الأنواع الإخبارية:** التي تقدم الحق الأول من حقوق الإنسان متمثلاً ببحث المعرفة.
- **أنواع مواد الرأي:** التي تشرح وتفسر وتحلل هذا المعلومات، وتساعد على تكوين الاتجاهات نحوها.
- **الأنواع الاستقصائية:** التي تنقل الصحفي من ديسك الأخبار إلى ميدان الواقع لكشف ملابساته ونقل مشكلاته والتوسط لحلوله، ومعها انتقل الصحفي من دور المقدم للجمهور إلى النهل من هذا الجمهور ومشكلاته لنشر أوضاعه وأحواله، ما حلّ الخلاف الذي كان يحار سابقاً في تصنيف بعض الأنواع الصحفية بين الإخبارية أو الفكرية (رأي) كالتحقيق أو الحديث.

ثانياً: مراحل تطور مفهوم الصحافة الاستقصائية



تطور مفهوم الصحافة الاستقصائية خلال مرحلتين، وهذا ما سنتناوله خلال استعراضنا لهذه الوحدة التعليمية.

ثالثاً: المرحلة الأولى من تطور مفهوم الصحافة الاستقصائية:

أنواع الصحافة الاستقصائية:

تجلت هذه المرحلة وفق التحديد المفاهيمي الذي شكل الخطوة الأولى لإبراز الصحافة الاستقصائية جنباً إلى جنب مع المواد الإخبارية والفكرية (الرأي)، وعليه تضمنت صحافة التقصي وفق ذلك الأنواع التالية:

1. **التحقيق الصحفي (التقليدي البسيط):** ويقصد به التحري أو البحث أو الاستقصاء في واقعة أو حادثة أو قضية أو مشكلة تهم الجمهور أو بعضاً منه، ومعرفة الأسباب والدوافع الخاصة بها، والاستماع إلى

جميع الآراء في هذه الواقعة أو الحادثة أو القضية محور التحقيق، والاستعانة بالمصادر المختلفة المتصلة بالموضوع سواء أكانت حية أم غير حية، وإجراء سلسلة من اللقاءات والبحث في الوثائق والتقارير والملفات، وقد يصل المحرر من خلال عرض مختلف الآراء إلى إصدار حكم في النهاية أو إيجاد حل للمشكلة، وقد يكتفي بعرض هذه الواقعة أو الحادثة أو القضية.

2. **الحديث الصحفي:** هو الشكل الصحفي الذي يتجه فيه المحرر إلى بعض الأشخاص للحصول على أفكارهم وآرائهم، أو عرض معلومات يملكون تفاصيلها، أو إلقاء الضوء على شخصياتهم، وهو يحقق الإخبار والحصول على آراء بعض أهل الخبرة، والتسلية والإمتاع.
3. **المقابلة الإعلامية:** وتتضمن جمع المعلومات والآراء من شخصية عبر حوار معها حول جانب محدد من الموضوع يفرض المقابلة، مثل مقابلة فنان على هامش معرضه، أو مسؤول على جانب حدثه، وتدور جميع أسئلته حول هذا الجانب، ويمكن نشره بشكل مستقل، أو ضمن نوع آخر كالتحقيق، وتعد اليوم من أهم أدوات جمع المعلومات في التحقيق الاستقصائي المعاصر.
4. **اللقاء الصحفي:** وهو جزء من الحوار الصحفي الذي لا يحضّر لصاحبه أو لأسئلته، بل يُحضّر في موقع الحدث ما يفرض الأسئلة، وغالباً ما يوظف ضمن نوع صحفي آخر كالتحقيق أو التقرير الإخباري.
5. **استطلاعات الرأي (التحقيق الكمي):** وهو التقصي القائم على جمع البيانات عبر الاستبيانات والمقابلة المقننة، وتحويل النتائج إلى أرقام ونسب تعبر عن استطلاع رأي عينة بموضوع معين.
6. **البروفايل:** وهو ما يدعى بتقصي وتحقيق الشخصية إذ يدور حول تقديم المعلومات والآراء والحقائق والوقائع حول شخصية محددة بهدف إبرازها أو تسليط الضوء عليها أو كشف معالمها.
7. **الدراسة الإعلامية:** وهي أقرب إلى البحث العلمي الذي يعتمد المنهج التاريخي حول قضية، فيحللها ويجمع الحقائق حولها ويتحرى تجاهها بأسلوب منهجي وعلمي يجريه مختص بالقضية.

مفهوم التحقيق التقليدي والاستقصائي والفرق بينهما وفق المدرسة التقليدية:

التحقيق التقليدي:

هو فن يقوم على التحري، والبحث، والدراسة لواقعة أو حدث، أو فكرة أو مشكلة، أو قضية أو ظاهرة تشغل اهتمام القطاع الأعم من الجماهير أو اهتمام جزء منه في وقت معين، وفي مكان محدد، بحيث يشرح ويفسر الأسباب والدوافع الخاصة بها، ويبحث في الأسباب والعوامل السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الفكرية أو الحضارية التي تكمن وراء موضوع التحقيق الذي يدور حول سلسلة من التساؤلات والاستفهامات

التي تحتاج إلى إجابة، ومشكلات تحتاج إلى حلول سعياً لإصدار حكم في النهاية يتضمن حلولاً للمشكلات، أو إجابة عن التساؤلات، أو عرض موقف المحرر، أو الاكتفاء بعرض جوانب معينة.

التحقيق الاستقصائي:

هو من أهم الفنون الصحفية، ويجمع بين عدد من الأنواع والفنون التحريرية في آن واحد حيث يجمع بين الخبر والحديث والرأي، ما يجعله من أصعب الفنون التحريرية، إذ يتطلب مقدرة وكفاءة عالية من المحرر، فالغرض الأساسي من التحقيقات الاستقصائية هو تقديم خدمة للمجتمع والصالح العام ووضع السلطة موضع المساءلة، ومن ثم تحقيق القيمة العليا للصحافة من خلال تأدية دورها كمراقب على عمل الحكومة، لذلك يعد المحقق أو الصحفي في قسم التحقيقات من أهم صحفيي الجريدة، وحتى يكون الصحفي في هذا القسم لا بد أن يكون ذا خبرة ومراس في مجال الصحافة حيث يكون قد تعلم وعرف كيف يحصل على الخبر، وكيف يجري الحوارات واللقاءات الصحفية، وكيف يفسر أو يعلق على ما يقال من آراء، وكيف يوزان بينهما ليقدم في النهاية تحقيقاً صحفياً يفسر الواقعة أو الحادثة أو القضية موضع التحقيق.

الفرق بين التحقيق التقليدي والاستقصائي:

ربما يعود الخلط لدى الصحفيين بين التقرير "الريبورتاج" والتحقيق والاستقصاء والموضوع الإخباري إلى ترجمة المصطلحات، فالدلالة اللغوية لكلمة "التحقيق" تشير إلى السعي لليقين من الأمور والوقوف على حقيقة الخبر، وهي الدلالة التي يشير إليها تعريب مصطلح "الريبورتاج" REPORTAGE. (معنى الترجمة الحرفية تقرير، لكن تستخدم في الأوساط الصحفية للدلالة على التحقيق)، وهذا التعريب يعود بالتحقيق إلى وظيفته الجوهرية في اللغة العربية واللغات الأوروبية التي تستخدم هذا المصطلح للدلالة على الفن التحريري الذي يتناول خبراً أو قضية أو فكرة بنوع من الشرح والتحرير والتفصيل وسرد البيانات والمعلومات والآراء ووجهات النظر المختلفة للوصول إلى قرار أو حل أو رأي في القضية أو الموضوع المطروح.

وبالتالي فالتحقيق عبارة عن قضية عمومية، والظواهر العامة (كزيادة نسب الطلاق في المجتمع، أو تأخر سن الزواج بين الشباب أو غلاء المهور، وأصول التربية) هي تحقيقات وفق المدرسة التقليدية التي تتناولها بشكل سطحي من منظور ديني وآخر اجتماعي ومثله نفسي وربما اقتصادي، عبر رأي خبير ومشارك في كل منها، فيما ترفض الصحافة الاستقصائية هذه المواضيع لعدم ارتباطها بفكرة الإصلاح وكشف الحقيقة والفساد والمساءلة والمكاشفة والشفافية.

التعريفات العربية للتحقيقات وفق المدرسة التقليدية:

التحقيق الصحفي عند **فاروق أبو زيد**:

يرى **فاروق أبو زيد** أن التحقيق الصحفي يقوم على خبر أو فكرة أو مشكلة أو قضية يلتقطها الصحفي من المجتمع الذي يعيش فيه، ثم يقوم بجمع مادة الموضوع بما يتضمنه من بيانات أو معلومات أو آراء تتعلق بالموضوع، ثم يجاوز بينها إلى أن يصل إلى الحل الذي يراه صالحاً لعلاج المشكلة أو القضية أو الفكرة التي يطرحها التحقيق الصحفي.

التحقيق الصحفي هو فن الشرح والتفسير والبحث عن الأسباب والعوامل الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو الفكرية، أو الظاهرة التي يدور حولها التحقيق، ولا بد من أن تكون فكرة التحقيق أو قضيتُه مهمة لأكبر عدد ممكن من الجماهير الذين تستهدفهم، وأن تتسم الفكرة بالجدة، أو تقدم معالجة جديدة في حالة ما إذا كانت قديمة.

ويرى **إبراهيم إمام** أن التحقيق الصحفي يعد فناً حديثاً نسبياً في العمل الصحفي حيث لم يُستخدم على نطاق واسع إلا مع مطلع القرن العشرين إذ كان الطابع الخبري والمقالي هما أساس العمل الصحفي آنذاك، فهو فن يبدأ من حيث انتهى الخبر، وهو مختلف عن فن الكتابة العادية لكونه ينطوي على تحرير صحفي وفن تصويري وتبسيط للحقائق مع الاستعانة بالصور الفوتوغرافية أو الرسوم الإيضاحية التي تدعم الموضوع المطروح من خلال التحقيق الصحفي.

أما **جلال الدين الحمامصي** فيؤكد أن التحقيق الصحفي يستطيع أن يسلط جملة أضواء على فكرة أو مشكلة أو ظاهرة سلبية أو إيجابية خلال تداولها بالشرح والتحليل، وذلك من خلال الاستعانة بالأشخاص الذين يقعون في دائرتها، فيزيد من قدرة القراء على الاستمتاع به وتتبع قراءته، وهذا الشرح أو التعليل هو الذي يجعل التحقيق جذاباً، وهو الذي يكثر من عدد القراء.

بالمقابل **ترى جيهان عطية** أن التحقيق يجيب بعمق عن السؤالين: كيف ولماذا.فالتحقيق موجود لأن الصحفي هو الذي يختار أن يبذل الوقت والجهد للبحث فيما وراء ما هو ظاهر ومعروف للجميع عن حدث ما، لذلك فالتحقيق الصحفي ينتمي بشكل أكثر تخصيصاً إلى المحرر قبل أن ينتمي إلى المتلقي، فالمحرر هو الذي يختار التحقيق من المعلومات العامة والسرية والأفكار والبحث والمقابلات وتجميع الحقائق التي يعرف عنها القليل أو غير المعروفة بطرق جديدة، وبالتالي يتميز بالتعمق في البحث ودراسة الأبعاد المختلفة للموضوع، وهو يستهدف إقناع المتلقي بأهمية وخطورة القضية أو المشكلة أو الفكرة التي يطرحها الكاتب، وذلك بهدف كسب الرأي العام، لصالح القضية التي يطرحها، أو الحل الذي يقدمه لهذا القضية، وهو يحتاج

إلى أسلوب بسيط لكن عميق، وغالباً ما يعتمد على الدراسات والبحوث ويستعين بالأرقام والإحصاءات والرسوم الإيضاحية، كما أنه لا يعتمد على مهارات الصحفي المختلفة فحسب بل يستعين بمعظم فنون التحرير المختلفة كالتقرير والحديث والخبر.

التحقيق الصحفي عند **محمود أدهم:**

يعّرف **محمود أدهم** التحقيق الصحفي بأنه نتاج الكاتب الصحفي المحترف، ويُعد التحقيق المصور تغطية تحريرية تضيف إلى خبر جديد أو تتناول موضوعاً قديماً أو مشكلة هامة ليقدم بطريقة مشوقة، وتكون أكثر من مجرد قصة أو تقرير عنه:

- مقدِّمة لظواهره، رابطة بين أسبابه القريبه والبعيدة، ونتائجه الحالية والمتوقعة.
- مقدِّمة آراء من يتصلون به عن قرب أو يثق القراء في درايتهم بجوهره مع جواز تقديمها لرأي المحرر نفسه أو وجهة نظر وسيلة النشر.
- ضاربةً أمثلة على وقائع مشابهة في الداخل أو الخارج حديثة أو قديمة.
- يقوم بها محرر يجمع بين صفات المخبر الصحفي والباحث، وله دراية باللغة العربية، وقدر من الذوق الأدبي، ومعرفة بلغة أجنبية أو أكثر، ومعرفة بالتصوير والاختزال، ويقدم لقرائه بهذه التغطية مادة مفيدة ومشوقة، وقد يوجههم بعدها إلى وجهة معينة كما يقدم لصحيفته أو مجلته زيادة في عدد النسخ المباعة.

في المقابل يعرف "**أديب خضور**" التحقيق الصحفي بأنه: "نوع صحفي إخباري مستقل ومتميز، يُعده صحفي كفؤ، ويعكس شريحة واسعة وعميقة من الواقع الموضوعي الذي يتمثل في ظواهر ومشكلات وقضايا وتطورات وأحداث بالغة الضخامة والأهمية، وتهم شرائح اجتماعية واسعة يعالجها التحقيق بقدر كبير من الشمولية والعمق، ويقدم الوصف والشرح والتفسير والتحليل والتقييم معتمداً أساساً على الخبراء والمختصين والمسؤولين والمعنين بهذه الأحداث والقضايا والظواهر، ويتوجه أساساً إلى قارئ نوعي مهتم ومعني وربما مختص، بهدف تعميق معرفته بالمشكلة وفهمه لها، ودفعه للإسهام في حلها، وبذلك يقوم التحقيق بوظائف الإعلام والتوجيه والتثقيف.

خصائص التحقيق التقليدي:

عليه يحدد هذا المفهوم خصائص التحقيق وفق التالي:

- يقدم معالجة أوسع وأعمق: إن المهمة الأساسية للتحقيق الصحفي هي المعالجة الموضوعية بأقصى قدر يتحيه العمل الصحفي من الشمولية والعمق، ولا يوجد نوع صحفي يستطيع أن يعالج الأحداث والتطورات بهذا القدر من الشمولية والعمق كما يفعل التحقيق.

- يقدم معالجة متكاملة لموضوعه: تشمل عرض الموضوع وتقديمَه وتقسيمه إلى محاور يعالج كلاً منها على حدة وصولاً إلى خاتمة تتضمن تشخيصاً أو فهماً معيناً للظاهرة أو حلاً محدداً للمشكلة، أو تفسيراً للحدث.
- يتوجه التحقيق أساساً إلى قارئ نوعي مهتم، أو معني أو مختص بموضوع التحقيق، ويمتلك خبرة اتصالية غنية ومستوىً معرفياً عالياً، ويتعامل مع التحقيق بقدر كبير من الجدية، ويقرؤه بدرجة عالية من التركيز والاهتمام.
- تتم عادة على أساس أنه ينبغي أن ينتج عنها عمل ما، وأن تغييراً ما يجب أن يحدث لكن عادة ما توجد استثناءات لهذه القاعدة.
- تشغل مساحة كبيرة وتستغرق وقتاً طويلاً للإعداد لها، كما تستغرق وقتاً في كتابتها، لأنه ينظر إليها على أنها ذات أهمية مختلفة عن العمل الصحفي الروتيني.
- تتطلب دائماً وفي الغالب موارد مالية.
- تُكتب في كثير من الأحيان ليس بقصد كتابة تقرير واقعي عن موضوع ما، لكن كاتبها يضع في ذهنه أن ثمة حاجة إلى تغيير ينبغي أن يحدث وإلى إصلاحات يجب أن تمتد إليها يد الإصلاح، ومن ثم فإن إدارة المؤسسة ورئيسَ تحريرها والمحررين ينبغي أن يكونوا متفقين على إنفاق الوقت وتخصيص المال اللازم لمثل هذه التحقيقات قبل البدء فيها.
- تتضمن عادة معالجة خاصة تجعل مادة التحقيق جذابة بصفة خاصة.
- يتم توجيه قدر أكبر من الاهتمام عادة بتزويد التحقيقات الصحفية بالصور الجيدة والرسومات البيانية والتخطيطية، والخرائط والجداول.
- تُسند كتابة التحقيقات عادة إلى أكثر المحررين والصحفيين خبرة إذ إنها تعد من أصعب أنماط الكتابة الصحفية.

تقسيمات التحقيقات التقليدية:

استناداً إلى التوجه القديم للتحقيق **يمكن ذكر أهم أنواع التحقيق التقليدي وفق التالي:**

التحقيق حسب الحجم أو النوع:

قسم البعض التحقيق حسب الحجم أو النوع كالتحقيق السردي القائم على الكلمة أو التحقيق المصور، وعليه **يوجد نوعان رئيسيان للتحقيق الصحفي وهما:**

- التحقيق الصحفي المفصل: وأساس هذا النوع من التحقيقات الكلمة المكتوبة، وتساعدها المواد المصورة (صور، رسوم، أشكال توضيحية)، وهذا النوع من التحقيقات يتناول الموضوع من جميع

جوانبه ويغطي جميع عناصره، فهو يقدم خلفية عن الموضوع أو القضية، ثم يطرح جميع الأسئلة المتعلقة به، ويحاول الحصول على إجابات عنها بغية الوصول إلى الموضوع.

- التحقيق الصحفي المصور: هذا النوع يعتمد على المواد المصورة (الصور الفوتوغرافية) كعنصر أساسي، وتكون الكلمة المكتوبة فيه عاملاً مساعداً، أي عكس النوع الأول، لذلك في هذا النوع من المهم جداً الاعتناء بالصور من حيث الوضوح والشمول.

التحقيق حسب تخصص المضمون:

يقسم محمود أدهم التحقيق الصحفي إلى نوعين أساسيين هما:

- التحقيق الصحفي الخاص أو المتخصص: ويتناول مادة نوعية كالتحقيق السياسي والعسكري والعلمي والاقتصادي، وعادةً ما يتوجه إلى نوعية محددة من الجمهور.
- التحقيق الصحفي العام: وهو المجال الأول لنشاط المحررين، ويتوجه إلى مختلف أشكال الجمهور.

التقسيمات الفرعية للتحقيق التقليدي:

إضافة إلى النوعين الرئيسيين من التحقيق الصحفي توجد أنواع أخرى فرعية وهي:

- تحقيق الخلفية: وهو تحقيق يستهدف شرح وتحليل الأحداث والكشف عن أبعادها ودلالاتها، فهو تحقيق يبحث عما وراء الخبر.
- تحقيق البحث أو التحري: المحرر في هذا النوع أشبه برجل المباحث الذي يتولى مسؤوليته في فك الألغاز والبحث عن الأسرار التي تكشف غموض الأحداث، وتهدف إلى الوصول للحقيقة.
- تحقيق الاستعلام: يلعب هذا النوع من التحقيق دوراً كبيراً في تشكيل الرأي العام حيث يهتم بجمع جميع التفاصيل المتعلقة بقضية ما تهم الناس ويلقي الضوء عليها من جميع جوانبها.
- تحقيق التوقع: وهذا النوع لا يكتفي بوصف الوقائع أو الظواهر أو المشكلات وكيف وقعت، ولكنه يهتم بتطور الأحداث، وما يمكن أن تؤدي إليه في المستقبل.
- تحقيق الهروب: وهو من أخطر أنواع التحقيقات إذا ما تم استغلاله لإلهاء الناس وإبعادهم عن التفكير في مشكلاتهم أو قضاياهم، فهو يشد القارئ بعيداً عن همومه اليومية، ويهرب به عن اهتماماته السياسية ليقدم له الجوانب الطريفة والمسلية والممتعة في الحياة مثل الرحلات والأحداث الغريبة، والموضوعات التي تدور عن نجوم الفن والمجتمع.
- التحقيقات المتخصصة: وهي تلك التحقيقات المرتبطة بالأنشطة المختلفة داخل المؤسسات والهيئات الرسمية أو غير الرسمية، كالأنشطة العلمية في الجامعات ومراكز البحوث والاكتشافات العلمية والبورصات وارتفاع أسعار العملات.

التقسيمات حسب المدرسة المصرية:

يعدّد فاروق أبو زيد أنواع التحقيق الصحفي كالتالي:

- تحقيق المناسبات: من النوع الموسمي لارتباط موضوعه بمناسبات دينية أو وطنية أو علمية أو أدبية معينة تتكرر سنوياً، كأعياد الربيع والمولد النبوي، ودخول المدارس، ويوم الشرطة إلخ.
- تحقيق التحري: يشبه إلى حد كبير تحقيقات الشرطة والمباحث عند كشف ملابسات جريمة أو حادث غامض بغية الكشف عن الحقائق المجهولة للجمهور، كالكشف عن انحرافات بعض سياسيي الحكومة أو الاستيلاء على أموال البنوك أو نهب المنح الخارجية.
- تحقيق الشخصيات (البروفايل): حول شخص مهم أو مشهور أو معروف ومثير لاهتمام الجمهور، يتناول جوانب حياته، ويتسلط الضوء على إنجازاته ونشاطاته، ولاسيما حين يحقق إنجازاً جديداً، أو يموت أو يفعل ما يستحق الإشارة إليه.
- تحقيق التشويق: وهو يقدم تحقيقاً عن موضوع شيق جذاب (يحمل بعد الطرافة).
- تحقيق الرحلات: ويتناول التحقيق مناطق وعادات معينة لأهلها، حيث يصحب الجمهور في رحلة لاستكشاف عوالم المنطقة أو المدينة وكيف يمكن التمتع بزياراتها، كرحلة اكتشاف منابع النيل لستانلي دنيس، وبرامج الرحلات (كل يوم في مكان).

رابعاً: المرحلة الثانية من تطور مفهوم الصحافة الاستقصائية:

لعل عوامل عدة أسهمت في خروج مفهوم الصحافة الاستقصائية من عباءة الفكر التقليدي منها:

- ظهور حركات المنقبين عن الفساد، وفرق المنظفين للحملات ضد الفساد والرشوة.
- إضافة إلى ما أحدثه تحقيق "فضيحة ووترغيت" التي أُضطر على إثرها الرئيس الأمريكي ريتشارد نيسكون إلى تقديم استقالته، وغيرها من العوامل التي جعلت مفهوم الصحافة الاستقصائية يرتكز بجوهره على التحقيق الاستقصائي.

وبالتالي أضحت جميع الأنواع الأخرى من مقابلات ولقاءات واستطلاعات وبروفايلات أدوات في خدمة التحقيق الاستقصائي الذي لم يعد مهتماً بتحقيقات العموميات والظواهر والطرافة والهروب والرحلات، بقدر تركيزه على محاولة الاقتراب من الحقيقة التي يسعى البعض إلى إخفائها لتضارب مصالحه مع المصلحة العامة، ومحاربة الفساد وكشف المستور، وتصحيح الأوضاع.

وبالتالي تكشفت الصحافة الاستقصائية في تحري الدقة **حتى وُسمت بأنها صحافة العمق** "in-Depth Investigative Reporting" للمشكلات المرتبطة بظالم ومظلوم، جلاد وضحية، تكشف المسؤولية ومن

يدفع ثمن ذلك، وعليه غدا الفرق بين المفهوم الحقيقي للتحقيق (الاستقصائي) والتحقيق (التقليدي) الذي لا يستحق إطلاق لقب التقصي أشبه (بمواضيع/فيتشرات/ريبورتاجات) صحفية، يتجلى وفق الأمثلة التالية التي تحوّل التحقيق (التقليدي) الذي هو إلى تحقيق (استقصائي) بكل معنى الكلمة:

التحقيق التقليدي (الذي لا يتسم بالاستقصائية)	التحقيق الاستقصائي (الحقيقي)
في عالم رفاهيته ضغوطات ومهدئاته توتر: داء الضغط رابع قاتل في العالم ضحاياه 6% وعنوانه "ارتفاع التوتر الشرياني"	استيراد شحنات فاسدة من دواء الضغط وتوزيعها في السوق على عينك يا تاجر.
"زحمة يا دنيا زحمة!!" شوارع مدينة دمشق والازدحام المروري: خنقة وعجقة وقلة واجب.	غش بمواد الأسفلت تؤدي إلى تضرر شوارع دمشق وحوادث مرورية أو صفقة إشارات مرور مشبوهة فاسدة
لأن الجبال امتنعت عن حملها والإنسان كان بها جهولاً: الخيانة الزوجية خنجر للأمانة الاجتماعية طعنته في ظهر المجتمع	تزويج البنات القصر برعاية تشريعية ما يؤدي إلى خيانة مجتمعية.
مندوب المبيعات: ضيف بالإكراه أينما حل.	عصابات تنتحل صفة مندوب مبيعات لمداهمات غير مشروعة
جرائم الشرف: عنصر المفاجأة أساس العذر المخفف	تبرئة القضاء لألف حالة قتل والحجة جريمة شرف
المظلة لا تظل أصحابها.. العتالون: العمل المضني والبؤس الاجتماعي.	بناء غير مرخص مسكوت عنه برشاوى كبيرة والأداة عمالة عتالة
لماذا يعامل التخدير كابن غير شرعي لمهنة الطب؟!	التعدي على تعويضات وحقوق أطباء التخدير
عالية التركيز ونتائجها كارثية.. ملونات أغذية الأطفال.. متى نتخلص من حجة "شر لا بد منه"؟!	استيراد قانوني لشحنة ملونات أغذية الأطفال لتحقيق مرابح غير شرعية والضحية 100 طفل وآلاف الإصابات
الأخطاء الطبية قصة مسكوت عنها	تعمد مشفى لأخطاء طبية لإجبارهم على عملية أخرى ودفع تكاليفها
صناعة الدواجن بين مطرقة الأسعار ومستلزمات غالية الثمن	استيراد علف أو حقن الدواجن بهرمونات والضحية حياة الناس
تربية الآباء قبل تربية الأبناء، بين الإرث والأصول مساحات للنقاش	أخطاء تاريخية وعلمية بمناهج الطلاب لاتجاهات خاصة
البِطالة.. أين كانت وكيف أصبحت؟!	دفع رشاوى لتقريب الدور التوظيفي والباقي عاطل عن

	العمل
ماذا عن الوضع المائي الحالي في دمشق؟	تحويل المياه إلى جهات تدفع وقطعها عن المواطنين بحجة التقنين
حتى الحب له أسعار.. الغلاء يطرد عيد الحب من حياة السوريين والوردة أم العشرة تساوي 400 ل.س	غياب الرقابة عمداً عن الأسواق في المناسبات ولا ضبط على الرغم من زيادة الأسعار أضعافاً.
اسمه مدني.. وترفضه المدنية! الزواج المدني في سورية: واقع حلم ومستقبل مستحيل؟	استغلال سوء قانون الأحوال المدنية والتلاعب به لتحقيق شبكات مرابح مقابل تنفيذ ما لا تسمح به قوانينه.
أعادت فتح باب تجارة الرقيق الخادمة الأجنبية جزء من الأكسسوار لإكمال البريستيج	استغلال مكاتب تأجير الخدمات وهضم حقوق العاملات أو تسجيل عشرات حالات العنف الأسري ضد خادماتهم.
ماذا بعد مئة علاقة حب؟ وماذا لو كان "كازانوفا" امرأة! أقاصيص العشاق مرآتها: امرأة في اليد أم عشرة على القلب؟!	شبكات تستجر ضحايا من المراهقات للاستغلال الجنسي بأداة عقد زواج وعلاقة عاطفية والمآل بيت دعارة.
صورة الله في عيون الطفل.	مدارس ترخص لها الوزارة تنشئ الأطفال على التطرف.
العشوائيات بقع زيت تشوه المدينة	استغلال قانون التصالح على المباني المخالفة القديمة وتسجيل المخالفات الحديثة قبل صدور القانون لشملها.
السرطان داركولا العصر	بيع مخصصات علاج السرطان المدعومة حكومياً في السوق الخاصة بمئة ضعف والمريض يدفع الثمن

بناءً على ما سبق لم تعد المعطيات النظرية في التحقيق الصحفي ترتكز على أنه نوع يتناول مسألة أو قضية أو ظاهرة بشكلها العمومي بل يتناول القضايا محدثة الخلل في المجتمع، ومخضعةً شرائح اجتماعية عريضة لتأثيراتها، ولها ارتكاسات مهمة في حاضر أغلبية الناس، ليطرح إشكالية الموضوع ثم يفند عناصره بتفاصيل وافية مقدماً الأدلة والوثائق لخلفيات وملابسات وحيثيات تحيط بجوانب الموضوع المطروح مستنداً إلى مشاهدات ومصادر أصلية وأطراف معينة، كما يرتكز على بيانات وصور متقيداً بموضوعية في الطرح واستخلاص النتائج، وحتى بعض مضامينه التي تعالج موضوعات إنسانية تتضمن جوانب انفعالية

ومشاعرية تقدمها ضمن حدود الموضوعية والعقلانية، ما يجعل التحقيق نوعاً نموذجياً لتغطية الوظيفة الوسيطية للإعلام عمودياً وأفقيا بصورة حية ومباشرة، وعليه نقدم فيما يلي مفهوم التقصي المعاصر.

خامساً: تطور المفاهيم وفق الاستقصاء المعاصر

يقوم مفهوم الصحافة الاستقصائية على البحث عن المعلومة والإحاطة بها وكشفها أمام الرأي العام، لذلك هي تعتمد على منهجية تقصٍ وبحث وتحقق قِوامها مصادر المعنيين بالموضوع والوثائق وغيرُها من الأدلة والبراهين بهدف جمع المعلومات والتحقق من المعطيات وكشف الحقائق.

مفهوم التحقيق الاستقصائي المعاصر:

التحقيق الاستقصائي نوع متقدم من التحقيقات يتخطى الغايات المحدودة للتحقيقات الصحفية البسيطة، وكذلك آليات العمل الجمعية والوصفية والتفسيرية إلى غايات أكثر تطلباً ومثالية، متمثلة في الوصول إلى الحقائق ونشرها أمام الرأي العام عبر كشف الفساد في الضمائر والأفعال في القطاعين العام والخاص، وتعزيز المساءلة والشفافية، للتوصل إلى نتائج غير معلنة، وهذا ما أسس له مفهوم "براغ" للتحقيق الصحفي منذ سبعينيات القرن الماضي، والذي يسِمُه بأنه **(محاولة** الوصول إلى **الحقيقة)** فهو لا يتطلب بالضرورة كما يتصور البعض الدخول إلى المخابئ وانتزاع الأسرار

إذ يشير الذين يعملون في قطاع المعلومات إلى أن 95% من المعلومات التي يحتاجون إليها موضوعة في التداول وفي متناول العامة.

مفهوم المحقق الاستقصائي المعاصر:

ينطبق المبدأ نفسه على الصحفي فهو لا يبدو أن من مهامه البحثَ فقط عن الأمور المخفية بل ينطلق من معطيات معروفة لاستنتاج أمور غير معلنة، ففي كل الحالات ينطلق المحقق الاستقصائي من وقائع محددة يستطيع توثيقها وتحليل أبعادها ليبحث عن وقائع أخرى تتيح له استنتاجات توصله إلى الجواب الذي يبحث عنه ليضعه في تصرف الجمهور والقضاء، لذلك ليس غريباً أن المطلوب في العصر الحالي الاستزادة من التحقيقات الاستقصائية التي تتوافق مع انتظارات الجمهور، وتوقهم إلى المساءلة ومحاكمة المخطئين، كما تتوافق مع اهتمامهم بتنزيه مجتمعهم من خلال كشف القضايا المستورة والمسيئة إلى الإنسان بجميع مؤسساته المجتمعية، وهو من هذه الزاوية يسهم في كشف الحقائق وفي كتابة التاريخ بشكل أصح وأدق.

تعريف روبرت غرين للتحقيق الاستقصائي:

لعل أفضل تعريف باعتراف المنظرين هو الذي قدمه "**روبرت غرين**" مساعد التحرير السابق لصحيفة نيوز داي، والذي يقول فيه:

إنه ذلك التقرير من خلال جهد شخصي يبذله المرء نفسه بدايةً للكشف عن أشياء ذات أهمية يود بعض الأشخاص أو المنظمات أن تظل طي الكتمان، وهو مكون من ثلاثة عناصر رئيسية هي:

- أن يكون التحقيق قد قام به المحرر الصحفي بنفسه، وليس مجرد تقرير عن تحقيق قام به شخص آخر.
- وأن يكون الموضوع الذي يدور حوله ينطوي على قدر معقول من الأهمية بالنسبة للقارئ أو المشاهد.
- وأن تكون هناك محاولة من جانب الآخرين لإخفاء هذه الأمور عن الجمهور.

سادساً: أسس التقصي حسب تعريف منظمة محرري صحافة التحري الأمريكية

يفترض التحقيق الاستقصائي الذي تبنته منظمة صحافة التحري الأمريكية وجوب مراعاة ثلاثة أسس هي :

أن تكون قصة التحري مستندة إلى جهد الصحفي ، ومحصلة لعمله في البحث والاستقصاء، بمعنى أن تسليم ملفاً جاهزاً لصحفي حول قضية فساد لا يدخل ضمن قصة التحري الاستقصائي ،

- إذ قد يكون لذلك المصدر مصلحة في تسريب الملف، والمقصود أن التحقيق الاستقصائي جهد صحفي منظم.
- أن يكون الموضوع مدار البحث متعلقاً بأمر يهم الجمهور أو أكبر عدد منهم، **وبالتالي وجود الواقعة التي تمثل العمل غير الشرعي المخالف لمصلحة المجتمع، أو على الأقل الذي لا تقبله أغلبية الناس ولا تقر له بالممارسة المسموحة** ما يتوجب على التحقيق كشفه للمحافظة على حقوق العامة، والدفاع عن مصالحهم وحمايتها، **فالكشف عن الممارسات المنحرفة مسؤولية الصحافة الاستقصائية الوطنية.**
- وجود جهة (شخص أو مؤسسة) لها مصلحة في إخفاء وطمس الحقيقة، وتسعى جاهدة إلى محو الواقعة، وبذلك تكرس الصحافة نفسها سلطة رابعة في المجتمع من خلال حراستها لمصالح أبنائه، وفضح كل من يهدد حقوقهم.

سابعاً: ما لا ينطبق على الصحافة الاستقصائية

قبل الغوص في تعريف التحقيق الاستقصائي لغة ومضموناً وشكلاً بدقة لا بد من التأكيد على ما ذكره الصحفي الاستقصائي المخضرم "دايفيد آي كابلن" مدير شبكة الصحافة الاستقصائية العالمية، وكاتب دليل الصحافة الاستقصائية العالمية "إستراتيجيات الدعم"، ولذلك لمركز المساندة الإعلامية العالمي في واشنطن للمساعدة في تعريف هذا النوع من الممارسة الصحفية عبر تقديم شرح أوّلي **حول ما لا ينطبق على الصحافة الاستقصائية:** "إن 2٪ فقط من المساعدات التي تصل إلى دعم التطور الإعلامي تذهب للصحافة الاستقصائية، كما أنه ليس هناك وجود للمحرر الاستقصائي في العالم المتطور" مضيفاً: "بالفعل يندر وجود المحررين الاستقصائيين، لقد قابلت أقل من خمسة محررين في سنوات عملي الثلاث عشرة في الخارج". وهذا النقص في الهيكلية الطبيعية المفروض وجودها يحدُّ من إمكانيات الصحافة الاستقصائية التي يجب أن تقر أنها:

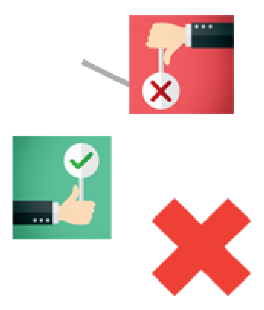
- **ليست صحافة التسريبات:** فاستلام أحد الملفات من أحد المصادر الرسمية ذي النفوذ، ثم إعادة كتابته ونشره في اليوم ذاته لا يقع في خانة الصحافة الاستقصائية.



- **ليست صحافة التخصص:** إذ يعتقد بعض الصحفيين أن كل الصحافة الجيدة هي صحافة استقصائية، إلا أن الصحافة الاستقصائية تتطلب مزيداً من البحث بعمق، ويستخدم صحفيو التخصص التقنيات الاستقصائية، ومع ذلك لا يدفع الاثنان إلى الترادف في المعنى والمضمون.



- **ليست صحافة ناقدة:** تأخذ التحقيقات الاستقصائية الكثير من الوقت، فقد تتطلب أسابيع أو أشهراً أو حتى سنوات، ومن الممكن أن تتضمن الكثير من عناصر النقد، وإن كتب الصحفي مقالاً يتطلب المزيد من البحث والتنقيب والنقد فإن ذلك لا يعني أنه قدم عملاً استقصائياً.



- **ليست مختصة بالجرائم والفساد:** إن تعريف الصحافة الاستقصائية كصحافة الجرائم والفساد يحد من نطاق السبق الصحفي على الرغم من الاعتقاد بأن هناك بعض التقاطع في هاتين الفئتين، وحسب قول "كابلن": "الصحافة الاستقصائية الجيدة تركّز على مواضيع التعليم، واستغلال السلطة، والتهافت على الأموال، وقصص الأعمال الرائعة، ومجرد تغطية الصحفي المختص لمواضيع الجرائم والفساد وملاحقة آخر تطوراتها، فذلك لا يعني أنه يستخدم أدوات الصحافة الاستقصائية".



ثامناً: مفهوم التحقيق والاستقصاء في اللغة

مفهوم التحقيق لغوياً:

تنطوي كلمة التحقيق في اللغتين الإنكليزية والعربية على مستويين أولهما يرتبط بالمعنى المجرد أو المعجمي وثانيهما اصطلاحي يرتبط بالصحافة المعاصرة، وبالتالي فالريبورتاج ككلمة إنكليزية ترتبط بالتقرير عكس ارتباطها بالصحافة العربية بكلمة "تحقيق"، في حين يرتبط التقرير الاستقصائي في الغرب بنوع مكتمل الشروط واضح الأسس ليعرّف بالجهد الإعلامي المقصود بالكلمة أو بالصورة أو كليهما معاً، يتوخى الكشف عن واقع أو نشاط غير قانوني، وثمة مصلحة لجهة ما في محاولة طمسه أو إخفائه.

وعليه جاء في القاموس **تحقق** الرجل من الأمر أي تيقنه، والتحقيق ترجمة للفظة (Enquete) التي تعني البحث والفحص، والتفتيش والكشف، والاستخبار والاستقصاء، ما يقضي أن التحقيق الصحفي ليس فقط نقلاً لوقائع انطلاقاً من حدث أو خبر بل هو الانطلاق من قضية أو مشكلة، أو معاناة ذات طابع عام، وبشكل مبسط وشامل بحثاً عن الأسباب، وكشفاً للخطايا واستخباراً عن الأبعاد والنتائج.

من جهته يورد المعجم الوسيط أن حقق الأمر أثبته وصدقه، وتحقق من الأمر تأكد لديه، والحقيقة الحال الثابتة يقيناً، وجميع هذه المعاني شروط بديهة في التقصي الصحفي الذي يسعى إلى الحقيقة، وينشد الثابت واليقيني تجاه مشكلة تعرقل حياة الناس وتهم الرأي العام

مفهوم التقصي لغوياً:

أما التقصي فيرجع باللغة إلى قَصا عنه قَصْواً وقُصُوًّا وقَصًى وقَصاءً: البعد، والأقصى: الأبعد، ويقال: تقصاهم أي طلبهم واحداً واحداً، وقَصِيَ: بَعُدَ، فهو قَصِيٌّ وقاصٍ، وجَمْعُهُما: أقْصاءٌ، والقُصْوَى القُصْيا: الغايَةُ البعيدةُ، وطَرَفُ الوادِي، وأقْصاهُ: أبْعَدَهُ، واسْتَقْصَى في المَسألَةِ، وتَقَصَّى: بَلَغَ الغايَة، ويفهم من مجمل هذه المعاني تتبع الأثر والبعد، وكما هو معروف فإن دخول أحرف "استقصاء" على الكلمة يعني مباشرة طلب الشيء، وهكذا يشير الأصل اللغوي للاستقصائية إلى طلب الشيء وتتبع آثاره والتحري فيه بعمق والوصول إلى أبعاده العميقة والبعيدة غير الظاهرة.

يقول ابن منظور في كتابه لسان العرب إن: قصا عنه قصواً وقصُوَ قصوّا وقصاً وقصاءً وقصِيَ: بَعُدَ، وقصا المكان يقصو قصواً: بعُد، والقصيّ والقاصي: البعيد، والجمع أقصاء كشاهد وأشهاد ونصير وأنصار، وقصوتُ عن القوم: تباعدتُ، ويقال: فلان في المكان الأقصى والناحية القصوى والقُصيا بالضم، والقصوى والقُصيا: الغاية البعيدة، وقد وردت في القرآن الكريم بقوله تعالى: "إذ أنتم بالعُدوة الدنيا وهم بالعُدوة القصوى والركب أسفلَ منكم" (الأنفال:42) ومن المعروف أن الدنيا مما يلي المدينة، والقصوى مما يلي مكة.

ويتبين من مجمل هذه المعاني أن التقصي هو تتبع الأثر، وكان قص الأثر مهنة معروفة في العصر الجاهلي والعصور الأولى للحضارة الإسلامية، ولاسيما أن ظروف الحياة الاقتصادية والعسكرية تتطلب ذلك، فهناك من له القدرة على تتبع الهاربين أو أثر الحيوانات والقوافل الضالة، ومازال يسمع بتشكيل لجان تقصي الحقائق التي عليها البحث عن حقيقة مشكلة ما بزيارة جميع الأماكن، والاستماع إلى شهادات جميع الأطراف في الموضوع، وغالباً ما يكون أعضاء لجنة التقصي من ذوي الخبرة المشهود لهم بالنزاهة وسعة التجربة.

تاسعاً: التعريف الاصطلاحي للصحافة الاستقصائية

يوجد العديد من التعريفات للصحافة الاستقصائية نورد من بينها التالي:

وبالتالي فالصحافة الاستقصائية حسب تعريف كابلن: نهج منظّم لحدْس يتطلّب الغوص في العمق، والبحث الفعلي الذي يقوم به الصحفي بنفسه، إضافة إلى التغطية الصحفية يتناول طريقة علمية في البحث، معتمدة على وضع فرضية واختبار مدى صحتها، والتأكد من الحقائق المحيطة بهذه الفرضية، ونبش الأسرار المغمورة، ووضع ركائز العدالة الاجتماعية والمساءلة، إضافة إلى الاستخدام المفرط للتسجيلات المعلنة وعادةً ما تكون على شكل بيانات.

كما يشير "كابلن" نهايةً إلى اقتباس عن "جوردانا جانكوفيك" يلخّص هذه الممارسة الدقيقة، ومفاده: "أنت بحاجة إلى صحفيين قادرين على إيجاد الصلة والعلاقة التي تربط بين الأحداث، بحاجة إلى المصادر والموارد لإيجاد وفضح ما هو غير مكشوف عن قصد".

- الصحافة الاستقصائية حسب رئيس المركز الدولي للصحفيين "ديفيد نابل" هي: "مجرد سلوك منهجي ومؤسساتي صرف يعتمد على البحث والتدقيق والاستقصاء حرصاً على الموضوعية والدقة، وللتأكد من صحة المعلومة وما قد تخفيه انطلاقاً من مبدأ الشفافية ومحاربة الفساد، والتزاماً بدور الصحافة (ككلب حراسة) على السلوك الحكومي، وكوسيلة لمساءلة المسؤولين ومحاسبتهم على أعمالهم خدمة للمصلحة العامة، ووفقاً لمبادئ قوانين حق الاطلاع وحرية المعلومات"، وعليه يقول "نابل" أن مفهوم الصحافة الاستقصائية انطلق منذ الستينيات مع الرئيس "تيودور روزفلت" وفريق المنظفين أصحاب الحملة ضد الفساد والرشوة ليصبح اليوم عملاً مؤسسياً له أصوله ومبادئه، ويسهم في تغيير الأوضاع، فهو عمل بحثي كالذي يتطلبه أي تحقيق صحفي لكن في العمق.
- الصحافة الاستقصائية وفقاً لرأي رئيس قسم "الاستقصاء" في صحيفة "لوس أنجلوس تايمز "**آلان ميلل**" هي: صحافة تتجلى في وفرة الأخبار والمعلومات، وملايين الوثائق الرسمية المفتوحة وفقاً لقانون حرية المعلومات، كما يسهلها تعدد وسائل الحصول على المعلومات السرية من مصادر مختلفة تشمل: كبار المسئولين، ومصادر المعارضة، وموظفي الحكومة الناقمين عليها، والموظفين السابقين، والخبراء الأكاديميين والباحثين، والمصادر المتطوعة، والوثائق غير المنشورة، والمكتبات الخاصة، والتقارير الإحصائية، والمعلومات من بلاد أجنبية.
- الاستقصاء الصحفي حسب "**مارك هنتر**" عضو مجلس إدارة شبكة «أريج» للصحافة الاستقصائية العربية وأستاذ الصحافة في جامعة أنسياد الفرنسية هو: "مبادرة ذاتية، وتقديم منتج يتعلق بأمور ذات أهمية للقراء أو المشاهدين أو المستمعين، وفي أحيان كثيرة يكون الأشخاص موضع التحقيق، وغيرَ راغبين في الكشف عن القضايا المطروقة، وبالتالي لا بد ألا يقوم الصحفي بتسريب جهد الآخرين،

ويكون موضوع استقصائه يتعلق بأمر يؤثر في حياة الناس، كما أن الصحفي معني فيه بالكشف عن الأسرار، وعلى أي حال يرى "هنتر" أن كثيراً مما نطلق عليه أسراراً هي في الحقيقة وقائع لا يعيرها الكثيرون اهتماماً، أو أنها وقائع تبدو بلا معنى إلا أنه بالتقصي تتكشف المعاني المخفية لتلك الوقائع، ومن هنا لا يستهدف الاستقصاء المعلومات فقط، وإنما يدور حول سرد قصة تقوم على معلومات جديدة ومهمة، فالجمهور ينسى الحقائق بمفردها لكنه يتذكرها إذا كانت في إطار قصة، وعليه يذهب "**مارك هنتر ونلز هانسون**" إلى أن القرّاء والصحفيين لايزالون غيرَ متفقين على تحديد هوية صحافة الاستقصاء بعد أكثر من 35 عاماً على فضيحة ووترغيت التي أنهت الحياة السياسية للرئيس الأمريكي ريتشاد وينكسون عام 1974، لكن اليوم أصبح للصحافة الاستقصائية أساسيات وقواعد لا يمكن الاستغناء عنها لإجراء تحقيقات جيدة، والخلاصة أن الصحافة الاستقصائية ليست تغطية عادية لخبر بل هي أعمق من ذلك، فالصحافة الاستقصائية تشمل كشف أمور خفية للجمهور، إما أخفاها عمداً شخص ذو منصب في السلطة، أو اختفت مصادفة خلف ركام فوضوي من الحقائق والظروف التي أصبح من الصعب فهمها، وتتطلب استخدام مصادر معلومات ووثائق سرية وعلنية، ولذا يقول "هنتر": بعض الأشخاص لا يريدون معرفة واكتشاف ما لا يريد الآخرون الإفصاح به، وإن الصحافة الاستقصائية تتلخص بما سبق بمعرفة ما لا يريد الآخرون الإفصاح به إما لأنهم لا يجدونه مهماً أو لأنه سر.

فالاستقصاء كما يؤكد "هنتر": ممارسة عالمية قواعدها لا تختلف من بلد إلى بلد ولا من مجال إلى آخر، والقوام الأساسي للممارسة السليمة للاستقصاء هو وجود فرضية جيدة إضافة إلى حب الصحفي للمجال الذي يخوض فيه ورغبته وإصراره على كشف شيء ما، مشيراً إلى أنها لا تعني كشف كل شيء، بل كشف شيء ما، فإذا ما استطاع الشخص أن يكشف كل يوم شيئاً واحداً فقط لا يعرفه الآخرون ستكون حياته مجزية وملبئة بالاكتشافات.

- والصحافة الاستقصائية حسب المنظمة الأمريكية (American Organization for Investigative Reporters and Editors) هي: "تغطية في العمق تكشف شيئاً ما يريد أحد أن يبقيه سراً، أو تؤشر لإخفاقات منهجية وسياسات غير صائبة نتيجة لجهد شخصي بذله صحفي أو صحفية".
- والصحافة الاستقصائية حسب مدرسة ليل الفرنسية للصحافة في كتابها 24 ساعة في غرفة الأخبار التحقيق هي: عبارة عن عرض المعلومات المستقاة من مصادر مختلفة وتحليلها وتفكيك رموزها.
- الصحافة الاستقصائية حسب أكاديمية بي بي سي هي: الصحافة التي تتعامل بمجملها مع أدلة خاصة ومصادر غير معلنة أو تسريبات وحقائق غير كاملة ما يجعل هذا النوع من الأدلة مادة صحفية مؤثرة، وهذا ليس بالأمر السهل مع التركيز على الكيفية التي يتم من خلالها تناول الفكرة

ومعالجتها، ثم الاستعداد فالبدء في الإنتاج، وأخيراً تنفيذ العمل على نحو يجعل منه منتجاً صحفياً متميزاً متعدد الأبعاد.

- والتحقيق الاستقصائي الجيد حسب الصحفي الإنجليزي "نك غوردون" هو الذي يفرض عناوين الصحف الأخرى صباح اليوم التالي.
- الصحافة الاستقصائية حسب "بول ويليامز" هي: عملية عقلية تقوم على جمع وتخزين الأفكار والحقائق وبناء أنماط صحفية، وتحليل البدائل المتاحة أمام المحرر، واتخاذ قرارات قائمة على المنطق أكثر من قيامها على العاطفة، ما يمكّن الصحفي من نقد الأوضاع السيئة في أي وقت طالما توافرت لديه الحقائق والمعلومات.
- الصحافة الاستقصائية حسب "بنديكت تمبو" هي: صحافة قائمة على القصص الخاصة التي تعتمد على البحث والتنقيب، وعادة ما يكون هدفها هو المصلحة العامة من خلال البحث في السياسات الحكومية، وتشترك فيها أحياناً بعض المنظمات غير الحكومية.
- الصحافة الاستقصائية حسب "**أنسيل وآخرين**" عام (2002) هي: الصحافة التي توفر للجمهور ما خفي عنه من أسرار تعمدت بعض الجهات إخفاءها، وتعتمد الصحافة الاستقصائية على دورها في إسقاط الفاسدين من رؤوس السلطة، وعادة ما تتخذ مواضيع ذات أهمية كبيرة وعلى مستوى عالٍ، والهدف الأساسي لها هو الكشف عن المعلومات التي تهم المصلحة العامة.
- الصحافة الاستقصائية حسب اليونيسكو هي: الصحافة التي تهدف إلى كشف قضايا يُتَحَفَّظ عليها بشكل متعمد أو غير متعمد من قبل من يملك سلطة، وهي تنطوي على كم هائل من الوقائع والملابسات، وتهدف إلى القيام بتحليلها لتقديم جميع الوقائع المهمة للجمهور، ويشكل الحق في الاستقصاء والنشر الحر دون حجر المعلومة، أحدَ الركائز الأساسية للصحافة النوعية، ومنه فإن الصحافة الاستقصائية هي عنصر مهم لحرية التعبير وحرية المعلومة اللذين يشكلان صميم مهمة اليونيسكو.
- الصحافة الاستقصائية حسب "بنهاميسون وأندرسون" هي: صحافة المعلومات الخفية أي الصحافة التي تهدف إلى الكشف عن المعلومات التي لا يتاح الاطلاع عليها لجميع الأشخاص.
- الصحافة الاستقصائية حسب "أريثا أساكيتيكبي ARETHA ASAKITIKPI" هي: البحث والتنقيب حول قضية أو موضوع ما والبحث في عمقها لمعرفة ما وراء المعلومات، فنشر خبر عن مؤتمر سيعقد في مكان ما ليس صحافة استقصائية بل معرفة أسباب الانعقاد وملابساته، ومعرفة سبب عقده في هذه الأوقات والظروف المحيطة به هو التنقيب والاستقصاء.
- وفق "درو سوليفان" من مشروع التغطيات الصحفية للجرائم المنظّمة والفساد، وكاتب تقرير "سيما CIMA" "التغطيات الصحفية الاستقصائية في الديمقراطيات الناشئة: النماذج، والتحديات، والدروس المتعلّمة": فإن الصحافة الاستقصائية هي "صناعة ثنائية القطب"، فعالم الإعلام الذي يتطور

باستمرار من جهة، وعالم الصحافة من جهة ثانية، غالباً يكونان منفصلين ما يتطلب إيجاد أطر أكبر للتعاون بين هذين العالمين، لأنه ينبغي على العالم المتطور أن يخلق صلة مع مؤسسات الصحافة الاستقصائية المحيطة، ويقوم باستقدام خبرات هؤلاء الأشخاص، وبخاصة في المواضيع المختصة بالسلامة والاستدامة، والتحديات القانونية، ومحرري المواد الصحفية الاستقصائية.

- حسب قول "شايلا كورونال" مديرة مركز ستابل للصحافة الاستقصائية فإن مسار تطور الصحافة الاستقصائية يتغير، ففي العادة تتبع الصحافة الاستقصائية تطوراً بشكل خطي أو طولي في بلد معين، وتبدأ من خلال الصحف المناصرة ثم تتحوّل إلى مرحلة الذئب الوحيد.. والأفراد القلائل الذين يقومون بإعداد التحقيقات الاستقصائية في المؤسسات الإخبارية المحترفة، وأخيراً التحول إلى مرحلة الاحتراف الحقيقي حيث تصبح الصحافة الاستقصائية جزءاً من العمل المؤسساتي إلا أن الثورة الرقمية وغيرها من التحولات التي حدثت في عالم الصحافة غيرت هذا المسار، ما شكل تصوراً آخر لوضع الصحافة الاستقصائية، حيث هناك "أجور قليلة لقاء أعمال استقصائية ذات جودة عالية، وعمل مضنٍ، وعمل صحفي استقصائي حِرفي محاط بشبكة كبيرة من المدوّنين والمجموعات الداعمة والمنشورات المناصرة التي تقوم بالعمل الصحفي الاستقصائي حيث يعني المساءلة.
- والصحافة الاستقصائية حسب "مارغريت لوني Margaret Looney" في مقالها "كيفية تغير نموذج الصحافة الاستقصائية في العالم النامي" الاستقصاء بتحقيق التفسير عبر التحليل، فالتحقيق عبارة عن شكل إعلامي تحليلي هدفه إفهامي يقضي بتجزئة الأحداث إلى عناصرها المكوّنة، وكمثال لهذا المفهوم: (حطّ يوليوس قيصر رحاله صباح أمس في بريطانيا؟ يجمع الصحفي المحقِّق جميع المعطيات المتوفرة ثم يفسر ما هي أو ما قد تكون نوايا القيصر الروماني، وكيف استعد ليحط الرحال، وما القوى التي يتمتع بها، وما هو أو قد يكون مخططه لشنّ المعركة)، وبالتالي يفترض هذا العمل التحليلي معرفة جيدة بالموضوع الواجب معالجته، وتوثيقه بطريقة مناسبة، والحصول على مصادر موثوقة، وشهادات دقيقة، وتخصيص وقت للتفكير، وقد لا يعطي التحقيق التحليلي أحياناً تفسيراً لبعض الأمور بسبب وجود معطيات غير ظاهرة ومموَّهة ومخفيّة، لذا يقوم الصحفي بأبحاث تتخطى المعطيات المعروفة، وهذا ما يُعرَف بالتحقيق الاستقصائي، وهو الشكل الإعلامي الأعمق الذي يطغى فيه المضمون على الشكل، ويتطلّب هذا النوع الصحفي دقة ذهنية مطلقة، ولا يحتمل التقديرات التقريبية إنّه تمرين أصعب من التقرير الصحفي، فلا يقتصر فقط على إطلاع القارئ على الأشياء المرئية والمسموعة والمستشعَرة، بل أيضاً إبلاغه بأشياء غير مرئية وغير مسموعة يتم إخفاؤها أحياناً عمداً عن الجمهور.

عاشراً: التعريفات العربية لمفاهيم الصحافة الاستقصائية وفق منظورها المعاصر

ضمن التعريفات العربية يبرز أهم مفاهيم الصحافة الاستقصائية وفق التالي:

- خلصت ورشة الصحافة الاستقصائية التي عُقدت في البحر الميت بالأردن**(1996)** برعاية مؤسسة كونراد أديناور الألمانية إلى أن الصحافة الاستقصائية فن يرتكز إلى كشف أصناف التجاوزات والخروقات التي تحدث في مجتمع ما في الخفاء، ونشرها بهدف فضح هذه الاعتداءت على حقوق المواطنين.
- تعريف المديرة التنفيذية لـ"إعلاميون عرب من أجل صحافة استقصائية-أريج" "**رنا صباغ**": "أفضل طريقة للوصول إلى قلب الحقيقة والخروج من دائرة التأثير المبرمج الذي يتم ضمن حلقات صناعة الإعلام وتمرير المعلومات، وتكشف التجاوزات والممارسات الخاطئة وتفعّل مبدأ المحاسبة والمساءلة، بما يؤدي مبدئياً إلى تصويب الأوضاع، فهي الصحافة القائمة على توثيق المعلومات والحقائق باتباع أسلوب منهجي وموضوعي بهدف كشف المستور وإحداث تغيير للمنفعة العامة، وعليه فحسب "الصباغ" فإن الصحافة الاستقصائية:
    - **تكشف:** هدر أموال وموارد، وغياب عدالة، وتعاسة، وممارسات خاطئة.
    - **وتدل:** على إخفاقات المسؤولين أو الأنظمة العامة.
    - **وتفعّل:** مبدأ المساءلة والمحاسبة.
    - **وتؤدي:** مبدئياً إلى تصويب الأوضاع.

وبالتالي تبقى الصحافة الاستقصائية:

- أنجع طريقة لإصابة قلب الحقيقة والخروج من دائرة التأثير المبرمج لحلقات صناعة الإعلام وتمرير المعلومات.
- الصحفي الاستقصائي يرمي إلى سرد القصة كما هي وليس كما يرويها الناس، ويتوقع المتلقي أن تحتوي على قدر أكبر من العمق والدقة والصدقية من مضامين العمل اليومي.
- إن التحقيق الاستقصائي يأتي نتيجة **رغبة ذاتية غير موضوعية** تحفز الصحفي إلى أن يتحرك ويتقصى موضوعاً، وذلك بسبب شعوره بالغبن أو الغضب من وجود مشكلة ما تؤثر على المجتمع، وبذلك يحقق رغبة شخصية في فتح باب النقاش المجتمعي لتصويب المشكلة، لكن أساس العمل المتبع للوصول إلى الحقيقة قائم على اتباع نهج وأسلوب يتوخى أقصى درجة من **الموضوعية**.

- ويرى "**نبيل الشريف**" أن موضوع التحقيق الاستقصائي يتعدى التحري الصحفي على الرغم من ارتباط التحري بكلمة تحقيق، فالتحري حول دقة معلومة قد ترافق التقرير، وبالتالي فليس المهم هنا النوع بقدر طبيعة المعلومة ومعالجتها، ومع ذلك يبقى التحري جزءاً أساسياً من الصحافة الاستقصائية التي تتطلب وقتاً أطول واستقصاءً أوفى، واستعراضاً أشمل لموضوع مجال التحري، وبهذا المعنى يصل التحري لدى الكثير من المنظرين إلى مستوى التحقيق أو مستوى التقصي، وعند الحديث عن صحافة التحري ينبغي التأكيد على أن هذا النوع من الصحافة ليس "نبتاً شيطانياً" مستقلاً عن النشاط الصحفي العادي للصحفيين بل هو جزء مكمل لهذا النشاط، ويستند إلى الأرضية المهنية نفسها التي يقف عليها الصحفيون في أداء واجباتهم الصحفية، ومن هنا حاول كثيرون تقديم تعريفات مختلفة لمصطلح صحافة التحري لكن معظم هذه التعريفات يلتقي عند القول إن هذا النوع من الصحافة لا يعدو كونه تطويراً للأدوات والمهارات نفسها التي يستعملها الصحفي في أداء عمله اليومي، ولكن الفرق الأساس بين التحري الصحفي والنشاط الصحفي اليومي يكمن في أن صحافة التحري تحتاج إلى وقت أطول واستقصاء أوثق واستعراض أشمل لمسار البحث، كما أنه يتطلب خيالاً أوسع ومقدرة أكبر على معرفة الجوانب المستترة من موضوع ما، كما تحتاج إلى مهاراة خاصة في تخطي العقبات التي تعترض طريق الصحفي في أثناء محاولته الكشف عن أبعاد القصة، إلى جانب الصبر والجلَد على تحمل المشاق والصعوبات التي قد تنشأ خلال البحث عن جوانب القصة، وبالتالي تعِد"منظمة صحفيي ومحرري صحافة التحري الأمريكية" التقصي مفهوماً ملازماً لصحافة التحري، ويلاصق مفهوم الصحافة الاستقصائية باعتبار كليهما يتميز بسمة كشف ما، يحاول المعنيون أو المتورطون إخفاءه، ما يجعل التحري الأقرب لهذا النوع من الصحافة، والأكثر استخداماً فيها مقارنة بالصحافة التقليدية الإخبارية.

- يعرّف "**عيسى محمود الحسن**" الصحافة الاستقصائية بأنها "سبر أغوار الظواهر المجتمعية المختلفة سواء أكانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، ومحاولة الوصول إلى عمقها عن طريق الاستبيان أو دراسة البيانات المتوفرة أو التحقيقات الجنائية أو الحسابية، ابتغاء تجلية حقيقتها أمام الرأي العام وصناع القرار، أياً كانت هذه الحقيقة، وأياً كان من يوافقها أو يجافيها".

كما يمكن أن تعرّف بأنها أخبار ذات صفات معينة تقوم على عمل أصلي وليست تحقيقات مسربة من السلطات الرسمية، وتُظهر نمطاً لمشكلات متكررة، وليس فقط حادثة واحدة معزولة، وتكشف سبل تصحيح الأخطاء، وتفسر قضايا اجتماعية معقدة، وعن الفساد والأعمال المخالفة للقانون وعن إساءة استخدام السلطة، وبالتالي فهي عمل علمي مهني يتطلب ساعات وأياماً وأسابيع طويلة من البحث والاستقصاء مستخدمة تقنيات الاستكشاف والتحليل بعلمية ومهنية عالية إلى البحث عبر الحاسوب والإنترنت، والعمل البطيء والدقيق من خلال آليات علمية وتقنية مدروسة للكشف عن

المستور واستعراض الحقائق لتوعية الجمهور بهدف الخدمة العامة للمجتمع، وكل ذلك كي يقوم الإعلام المستقل بدوره كسلطة رابعة تراقب القطاع العام والخاص وتدق ناقوس الخطر بهدف التوعية لمنع حدوث الأخطار وحتى الكوارث البيئية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وكشف بؤر الفساد والدعارة والمخدرات وغيرها، ما يجعل الاستقصاء أرقى الأنواع الصحفية الذي قد يعرّض المستقصي للموت في أحيان كثيرة خصوصاً إذا كان الأمر يتعلق بمفسدة أو أصحاب نفوذ أو حروب لا ترحم، فهنا يكون الصحفي هدفاً لأكثر من جهة، إما بقصد أو من دون قصد، والشواهد في أيامنا هذه كثيرة، كما أن هذا العمل قد يرفع أو يخفّض دولاً أو أفراداً في ضوء نتائج صحة الاستقصاء من عدمها.

- يرى "عمر الحياني" أن الصحافة الاستقصائية هي نوع من أنواع "التحقيقات الصحفية" التي يقصد بها التحقق والاستقصاء والتأكد من المعلومات التي يتم جمعها قبل نشرها، وتتناول قضية أو قضايا لا يرغب الآخرون في الاطلاع عليها أو إظهارها إلى الواجهة الإعلامية أو المجتمعية، وتهدف في الأساس إلى حماية المجتمع وتحذيره من المخاطر التي تحيط به مع إيجاد المعالجات التي تُهم صانع القرار، فهي رديف أساسي في مكافحة الفساد، وإحدى ثمار الحرية الصحفية في النظم الديمقراطية، والنظم التي تعمل على الوصول إلى درجة مرتفعة من الحكم الرشيد.

- يعرّف "**منير أبو راس – ياسر البنا – زاهر البيك**" الصحافة الاستقصائية في أبسط مفاهيمها بإزاحة الستار عن المسائل التي أُخفيت عمداً، إما عن طريق شخص ما أو سلطة ما، أو أنها أخفيت عن طريق الخطأ، والتعرض لجميع الحقائق ذات الصلة بالجمهور، فهي تسهم بشكل حاسم في حرية التعبير وحرية نشر المعلومات، ولاغنى عنها لوسائل الإعلام إذا كانت تريد أن تقوم بدور الرقيب للديمقراطية في البلاد.
- ويرى "**محمد أبو حشيش**" أن التحقيق الاستقصائي لا يطرح المواضيع طرحاً عادياً، وإنما يقوم على تفسيرها وتحليلها، وإعطاء مسببات لها، والمساهمة في علاجها وإنهاء آثارها السيئة، ونظراً لأن التحقيق يقوم على البحث عن المجهول خدمة للمجتمع، ودعماً للقانون الذي يسير عليه الناس، فإن اسمه تحقيق مأخوذ من التحقيق الجنائي الذي يؤدي الدور ذاته في البحث عن دوافع ارتكاب المخالفات والجرائم ومعاقبة المذنب، وذلك حماية لحقوق الناس، ومما لا شك فيه أن استخدام هذا الفن يتطلب الحذر الشديد، لأنه يقوم على فضح الأشخاص، وتعرية المذنبين، وأهل الهوى والسلطان ولأن المسألة على علاقة بسمعة الأشخاص والهيئات والمؤسسات، فلا بد من الأدلة الواضحة التي لا شك فيها وإلا عرّض المحقق الصحفي نفسه ووسيلته الناشرة للمساءلة القانونية، ونظراً لأن التقصي يجب أن يبدأ بـ لماذا، ثم وماذا بعد، فالغرض الأساسي من التحقيقات الصحفية هو تقديم

خدمة للمجتمع وللصالح العام تضع السلطة موضع المساءلة ومن ثم تكون القيمة العليا للصحافة قد تحققت.

أحد عشر: القواسم المشتركة لتعريفات الصحافة الاستقصائية وفق منظورها المعاصر



من خلال التعريفات المقدمة للصحافة الاستقصائية يستنتج "أبو حشيش" أن الأمور المشتركة بينها تتمثل في:

- البحث في العمق في المسائل الخطيرة التي تؤثر على المصلحة العامة.
- إنها تسعى إلى سبر أغوار الظواهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الغامضة والمجهولة.
- تتناول مسائل خطيرة وقضايا فساد وتحظى باهتمام الجماهير.
- المسائل التي تبحثها إما تكون مخفية بفعل فاعل أو تم تجاهلها بفعل الفوضى.
- إنها عملية مضنية وتحتاج إلى التخطيط والبحث والتنقيب في المعلومات والتأكد من صحتها عن طريق المصادر المختلفة.
- يجري فيها توظيف وسائل وأدوات المنهج العلمي في البحث.
- تبتعد عن الأجندات والمصالح الخاصة.
- تسعى من أجل الإصلاح وتصويب الأخطاء.
- استخدام المهارات للبحث والاستجواب مع المصادر المختلفة.
- تعتمد على مصادر متنوعة وتحظى فيها الوثائق والتسجيلات بالأهمية.
- المؤسسة الصحفية هي التي تأخذ على عاتقها البحث والكشف عن بعض الحقائق السرية أو المخفية والتي يُعتقد أن هناك أناساً لا يريدون الكشف عنها.
- يجب أن تبتعد عن المصالح الخاصة لتحوز ثقة الجمهور.
- عادة ما يكون للصحافة الاستقصائية آلية معينة في نشر معلوماتها وتوضيحها للجمهور.

اثنا عشر: التعريف الذي تتبناه الدراسة الحالية للصحافة الاستقصائية المعاصرة

بعد هذا العرض المفاهيمي لتعريف الصحافة الاستقصائية تتبنى الدراسة الحالية المفهوم التالي لهذا النوع من الصحافة:

محاولة الاقتراب من الحقيقة لتحسين حياة الناس عبر التقصي على المعلومات، من خلال البحث عن المصادر، سواء المتاحة – التي تنطلق من الأبواب المفتوحة – أو غير المتاحة، مهما اختلفت طبيعة المصادر ومستوى خطورة الموضوع.

وأهمية الاستقصاء تنطلق من أهمية ما يتحصل عليه الصحفي من نتائج، وهنا يجب أن يلاحظ غير المتاح من هذه النتائج، لكن ما يمكن الحصول عليه مستغلاً مهاراته التي تختلف عن مهارة الصحفيين التقليديين، انطلاقاً من ملاحظة المشكلة إلى تقدير "حجم الوحش" الذي يقف ضد المصالح العامة، مروراً بتخطيط المشكلة، والتعامل مع المصادر المفتوحة والمغلقة، وانتهاء بتنظيم المعلومات وتقديم القصة الحقيقة.

وهدف الصحافة الاستقصائية الاحترافية لا يتعلق بالبحث عن النجومية أو الثأر أو الابتزاز، وإنما بكشف المستور، وتوثيق قضايا المجتمع على أمل لفت انتباه الجهات المتسببة للتجاوزات (بقصد أو بإهمال)، وتحقيق أركان السلطة الرابعة في العدالة والشفافية وترسيخ مبدأ المساءلة.

والنتيجة فالتحرير الاستقصائي:

- هو الصحافة التي جعلت المحررين ينتقلون من مكاتب التحرير وغرف الأخبار إلى الواقع للتقصي عن الحقائق، ولمعرفة المعلومات بأرضها لا من الوكالات.
- إن جزءاً من هذه الصحافة وُلد ليستفسر عن ردود الافعال بالشارع، ونقلها لمن يصدر الحدث.
- هو صرخة هذا العصر واللغة المعاصرة لإعلام اليوم.
- إنه التحري والتحقيق ضمن قواعد وشروط وأخلاقيات الصحافة.

الخلاصة

الصحافة الاستقصائية جزء من الأنواع الصحفية، وهي تشكل العمود الثالث في دعائمها، إلى جانب الصحافة الإخبارية، وصحافة مواد الرأي، وقد مر مفهوم الصحافة الاستقصائية بمرحلتين: (الأولى) تقوم على المدرسة التقليدية التي ترى التحقيق فن يقوم على التحري، والبحث، والدراسة لواقعة، أو حدث، أو فكرة، ويبحث في الأسباب والعوامل السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الفكرية أو الحضارية، التي تكمن وراء موضوع التحقيق، بالمقابل تعد المرحلة (الثانية) من مراحل تطور الصحافة الاستقصائية مرتبطة بمفهوم الجهد الشخصي للإحاطة بالمعلومة، وكشفها أمام الرأي العام، لذلك هي تعتمد على منهجية تقص وبحث تحقيق، ما يعني ارتباطها أساساً بقضايا الفساد والمساءلة والتجاوزات، والكشف عن المستور، الذي يسعى بعض المخطئين لإخفائه، لكن مع هذا تبقى الصحافة الاستقصائية ليست صحافة التسريبات وليست صحافة التخصص وليست صحافة ناقدة هدامة بل بناءة.

التمارين

1. اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

مفهوم التحقيق التقليدي:

A. ينطلق من كشف المستور.
B. يتناول الظواهر العامة بعرض وجهات النظر.
C. يرتبط بكشف الفساد والمساءلة والشفافية.
D. يرتبط بالعمق في جمع المصادر لتبيان ما يحاول البعض إخفاءه.

الإجابة الصحيحة: **B**. يتناول الظواهر العامة بعرض وجهات النظر.

2. اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

أهم تعريف للصحافة الاستقصائية وضعه:

A. روبرت غرين.
B. دافيد كابلن.
C. منظمة الصحافة الاستقصائية الدولية.
D. الجمعية الدولية للصحافة الاستقصائية.

الإجابة الصحيحة: A. روبرت غرين.

3. اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

ينطلق التحقيق الاستقصائي المعاصر من:

A. البحث في العمق في المسائل الخطيرة والتي تؤثر على المصلحة العامة.
B. إنه عملية مضنية وتحتاج إلى التخطيط والبحث والتنقيب في المعلومات والتأكد من صحتها عن طريق المصادر المختلفة.
C. يتناول مسائل خطيرة وقضايا فساد تحظى باهتمام الجماهير.
D. المسائل التي يبحثها إما تكون مخفية بفعل فاعل أو تم تجاهلها بفعل الفوضى.
E. كل ما ذكر صحيح.

الإجابة الصحيحة: E. كل ما ذكر صحيح.

الوحدة التعليمية الثانية

منطلقات الصحافة الاستقصائية وما يميزها عن التقليدية

الأهداف التعليمية:

بعد دراسة هذه الوحدة التعليمية يجب على الطالب أن يكون قادراً على أن:

- يعدّد الأضواء التي تلقى على التحقيق الاستقصائي
- يشرح منطلقات الصحافة الاستقصائية
- يشرح مرتكزات الفرق بين الصحافة الاستقصائية والتقليدية
- يعدّد الملامح التي تميز التقرير الاستقصائي
- يعدّد أوجه الشبه والاختلاف بين الصحافتين التقليدية والاستقصائية
- يشرح أوجه المقارنة بين الصحافة الاستقصائية والتقليدية وفق منظور مارك هنتر
- يشرح هل كل تحقيق استقصاء

النقاط البحثية للوحدة:

- أضواء على التحقيق الصحفي المعاصر.
- منطلقات الصحافة الاستقصائية.
- الفرق بين الصحافة الاستقصائية والصحافة التقليدية.
- هل كل تحقيق استقصاء؟

الكلمات المفتاحية للوحدة:

إضاءات التحقيق الاستقصائي – منطلقات التحقيق الاستقصائي – فروق الاستقصائي عن التقليدي.

أولاً: أضواء على التحقيق الاستقصائي

إن مفهوم الاستقصاء يمكن أن يؤسس أضواء على التحقيق الصحفي وفق ما قدمه علي دنيف حسن، وهي خمسة أضواء يمكن تلخيصها حسب التالي:

1. التحقيق هو البحث والتفتيش والتنقيب والاستقصاء عن الأسباب والعلل الكامنة وراء ظاهرة لافتة للنظر أو قضية شائكة أو مشكلة تؤرق بال الكثير من الناس، وتسبب لهم المتاعب، ويستمد قوته من القيم الخبرية نفسها الخاصة بالخبر والتقرير الصحفي، وأبرزها: أن يكون التحقيق جديداً، وأن يعالج مشكلة تواجه أكبر عدد من الناس، إذ لا يمكن تقصي الأسباب التي تقف وراء الإصابة بمرض نسبة ضحاياه 3 بالمليون على سبيل المثال، أو مشكلة يعاني منها بعض الأفراد.
2. يعني التحقيق جمع أكبر كمية من المعلومات عن الموضوع، وقد تكون تلك المعلومات على شكل شهادات أو إحصائيات أو مشاهدات موثقة، وتستمد أغلب التحقيقات الصحفية قوتها من المعلومات الجديدة ولاسيما تلك التي يُكشف عنها النقاب لأول مرة، فكاتب التحقيقات يشبه المستكشف أو الباحث العلمي الذي يُنتظر منه الوصول إلى نتائج دقيقة وحاسمة، ولا تعير أغلب الصحف المحترفة أهمية لتحقيقات تعيد ما سبق قوله.
3. يمكن القول أن هناك ثلاثة أنماط من التحقيقات الصحفية:

أولها: التحقيق البسيط الذي يعالج الموضوع على نحو ظاهري من دون الوصول إلى جميع أسباب المشكلة أو جوهرها الحقيقي، ومثل هذه التحقيقات مهمتها الأولى دق جرس الإنذار مبكراً بانتظار من يكمل المشوار.

والنمط الثاني هو التحقيق المتوسط الذي يتوغل في الموضوع ولكنه يقف عند حدود معينة نتيجة أسباب عدة أبرزها: ضعف إمكانات كاتب الحقيق أو محددات سياسة الجريدة، والخوف من ردود الأفعال.

أما الثالث وهو المهم فهو التحقيق العميق "الاستقصائي" الذي يصل إلى جذور المشكلة وأسبابها حتى لو كان في الكشف عنها الكثير من المخاطر.

4. ليس هناك قوالب متفق عليها لكتابة التحقيق الصحفي بعد أن تطورت الأساليب الإبداعية في الكتابة الصحفية، فكل الخيارات مفتوحة أمام كاتب التحقيق من حيث التقديم والتأخير بدءاً من العنوان

وحتى الخاتمة، إذ لا تحديد لعدد الحوارات التي على كاتب التحقيق إجراءها، ولا للصور أو الوثائق الواجب إرفاقها، ولا لنوع الاستهلال الذي على الكاتب أن يبدأ به، فهناك من يفضل البدء بسرد قصصي أو مقدمة تلخيصية فيما يفضل آخرون البدء بمقدمة جذابة ومثيرة أو إحصائيات صادمة تُنشر لأول مرة، أما بالنسبة لعدد كلمات التحقيق فهذا مرهون بطبيعة موضوع التحقيق وحجم المساحة التي تمنحها الصحيفة له.

5. من الضروري أن يتميز كاتب التحقيق الجيد ب:
- الصبر والنشاط في جمع المعلومات.
- وأن يكون له إلمام واسع باللغة.
- وأن يكون ذا حس صحفي مرهف قادراً على التقاط أبسط المؤشرات وأدقها.
- وأن تكون له خلفية بالتشريعات القانونية في بلاده كي لا يعرض نفسه للمساءلة القانونية.
- وأن يكون ذا روح اجتماعية، ورجل علاقات من الطراز الممتاز كي يستطيع التوغل في خرائط الموضوع والوصول إلى مصادر المعلومات.
- وفضلاً عن ذلك فإن على كاتب التحقيقات أن يكون ملماً بأصول الفنون الصحفية الأخرى. فالتحقيق الصحفي يتطلب مزج الكثير من هذه الفنون كالحوار الصحفي والقصة الخبرية والتقرير والخبر والمؤتمر الصحفي وغيرها.

ثانياً: منطلقات الصحافة الاستقصائية

المنحى الأساسي:

قام المنحى الأساسي لهذه الصحافة الجديدة على تبيان أمور لم تعتد عليها الصحافة التقليدية وذلك بأن يكون الصحفي شاهداً شخصياً على ما يجري وأن ينقل إلى الجمهور الوقائع على الرغم من البعد الجغرافي أو الاجتماعي للموضوع، وهكذا قامت التغطيات في البداية على الأسفار، بالرغم من صعوبتها وبطئها في ذلك العصر، وكان يقوم بها كاتبو التحقيقات ناقلين إلى الجمهور انطباعات ووقائع كان يصعب الإلمام بها نظراً لندرة السفر والهجرات في ذلك الحين.

المنحى الآخر:

يعتمد المنحى الآخر الذي قامت عليه الصحافة الاستقصائية على بناء التحقيق بالإسناد إلى عمل بحثي دقيق لتبيان الأمور غير المعلنة، وإلى الوثائق والشهادات التي تسمح باستنتاجات تؤدي إلى كشف حقيقة تسعى السلطات وصانعو القرار إلى إخفائها.

ثالثاً: مرتكزات الفرق بين الصحافة الاستقصائية والتقليدية

يقول "وليام هيرتبرت": الأخبار هي كل ما يحاول بعض الأشخاص إخفاءه، أما ما سوى ذلك والباقي هو إعلانات، ومن هذا المنظور يتطابق مفهوم التقصي مع التغطية المعاصرة التي تبتعد عن الرسمي والبديهي في غرفة الأخبار، لكن يمكن القول إن معلومة كهذه وفق "وليام" هي المعرفة التي يبحث عنها الصحفي الاستقصائي



لإثبات فرضية تحقيقه، فهي تتعدى قدرة استيعاب غرفة الأخبار بدورة حياتها السريعة والمتسارعة باضطراد. ومنذ سبعينيات القرن الماضي ظهر اتجاهان رئيسان لشرح العلاقة بين طرق عمل الصحافة الاستقصائية، وتلك الخاصة بالصحافة التقليدية، وفق التالي:

1. **الاتجاه الأول:** يُعد أن التحقيق الاستقصائي امتداد لوسائل التحقيق التقليدية، وأن التدقيق في الأمر يزيل عن التحقيق الاستقصائي الهالة التي تحيط به، أو أن مهنة الصحافة لا تقوم على البحث عن المعلومة المخفية.
2. **الاتجاه الثاني:** يُعد أن الصحفي الاستقصائي يمتلك قدرات ووسائل وآليات عمل مختلفة عن غيره، من حيث البحث عن المعلومة وفهمُها، واستدراجُ غيرها، واستعمال الوثائق والمعطيات من أجل التوصل إلى بناء الوقائع الحقيقية، وهذه الأساليب ليست مطبقة ولا حتى معروفة عند أغلبية الصحفيين.

وفي ذلك يقول "مارك هنتر": "ليس صحيحاً أن الصحافة الاستقصائية هي الصحافة الجيدة وحسنة التنفيذ، التي تُنجز بالأساليب القديمة نفسِها لكن بطريقة سليمة، فتقرير مكتوب بشكل جيد ومسلٍ ويتميز بالشمولية، تبقى كتابته محصورة بعنصر واحد، وهو المشاهدة فقط، وبالتالي فكرة أن الصحافة الجيدة التي تتم بالأساليب القديمة تغني عن الاستقصائية خاطئة، فالمراسلون الذين يغطون الحروب والكوارث ويحضرون المؤتمرات نماذج للصحفيين الأكفاء لكنهم ليسوا بالضرورة صحفيين استقصائيين، يجرون الحوارات ويتقصون حول التحقيقات.

صحيح أن شكلي الصحافة هذين يركزان على العناصر الإخبارية الخمسة: (من؟ ماذا؟ متى؟ أين؟ لماذا؟) ولكن العنصر الخامس للتغطية التقليدية (لماذا؟) يقترن في الاستقصاء بـ (كيف؟) ولا يتم تطوير العناصر الأخرى كمياً فقط بل ونوعياً أيضاً، وذلك وفق التالي:

- "من": ليست مجرد اسم ولقب، بل شخصية ضمن شخوص متحركة لها صفة وأسلوب مميزان.
- "متى": ليست مجرد حاضر وقوع الأخبار، بل سياقٌ تاريخي للسرد.
- "ماذا": ليست مجرد حدث بل ظاهرة لها أسباب ونتائج.
- "أين": ليست مجرد عنوان، بل موقع أو مكان تصبح فيه إمكانات وقوع أحداث معينة ممكنة أكثر أو أقل.

وهذه العناصر والتفاصيل تمنح الصحافة الاستقصائية – في أفضل أحوالها – ميزة فنية تُعزز أثرها العاطفي على المتلقي، وباختصار على الرغم من أن الإعلاميين قد يقومون بكلا النوعين: (التغطية اليومية التقليدية والعمل الاستقصائي في مجري مهنتهم) فإن النوعين يشملان أحياناً مهارات وعادات عمل وعمليات وأهدافاً مختلفة جداً.

وعليه تستهدف التغطية الإخبارية التقليدية رسم صورة موضوعية للعالم كما هو، أما التغطية الاستقصائية فتستخدم – بطريقة موضوعية – مواد ومعلومات تتحول إلى حقائق يوافق أي مراقب عقلاني على أنها حقيقة باعتبار أن الصحافي الاستقصائي يحركه هدف ذاتي يتمثل في رغبة إصلاح العالم، ومن مسؤولية أن نعرف الحقيقة كي نتمكن من تغيير العالم.

في المقابل تُعِد المدرسة الأمريكية أنه بالإمكان تطبيقَ مبادئ الصحافة الاستقصائية هذه في جميع ميادين التحقيق الصحفي، وقد تم إحصاء نحو 9000 قضية عالجتها وسائل الإعلام الأمريكية المختلفة بين (1982–1992) تبعاً لهذه الطريقة شملت 240 موضوعاً مختلفاً في الميادين كافة سياسية واجتماعية وصحية وبيئية وغيرها.

لكن يبقى الفرق الجوهري بين التغطية الإخبارية التقليدية والتغطية الاستقصائية يتمثل أساساً في أن

- الأولى تعتمد بصورة عامة على مواد ومعلومات وفرها آخرون (صادرة عن مؤسسات حكومية أو شركات عامة وخاصة وعن القضاء أو الشرطة)، وعلى جمع ردود الفعل المتعددة حِيالها.
- بينما تعتمد التغطية الاستقصائية على العكْس، على مواد جُمعت أو استُقصيت بمبادرة شخصية من الإعلامي وجمعها الصحفي بنفسه.

ولهذا فإنها تُدعى أحياناً "تغطية المشروع" "Enterprise Reporting" وهي ليست فقط الاسمين اللذين يطلقان على هذا النوع من الصحافة، فأحياناً يُستخدم مصطلح "تغطية القضايا المتعلقة بالخدمات العامة" بالتبادل مع مصطلح "الصحافة الاستقصائية"، فتقارير القضايا المتعلقة بالخدمات العامة يدعوها البعض (تقارير استقصائية بطبيعتها) لكونها تتطلب البحث العميق للوصول إلى نتائج تهم وتؤثر على المجتمع، وهذا ما ينطبق على الصحافة الاستقصائية التي تسعى دائماً إلى خدمة الجمهور من خلال الكشف عن معلومات مهمة وأخطاء بحقهم.

ويؤكد ذلك ما ذهب إليه "أنطون هاربر" أستاذ دراسات الصحافة والإعلام، ومدير برنامج الصحافة في جامعة "ويت واترس راند في جوهانسبرج" حين قال: "إذا أردنا أن نعرّف الصحافة الاستقصائية فعلينا أن نفرق بينها وبين التقارير أو القصص الإخبارية، فالأخيرة تظهر عندما تتجاوب المصادر، وترد على استفسارات الصحفي حول الحدث وتمده بالتقارير والبيانات، أما الصحافة الاستقصائية فهي استهداف الصحفي لنشاطات سرية أو نشاطات غير عامة وخاصة جداً تُرتكب بالخفاء"، ولذا يحدد أهم جوانب التفريق بينهما كما يلي:

- يعد البحث والتنقيب المتعمقان من أهم أشكال التفريق بين الصحافة الاستقصائية وباقي أشكال الصحافة الأخرى من نشر فوري أو تقارير إخبارية أخرى، حيث يتطلب التحقيق الاستقصائي بحثاً أكثر ووقتاً وجهداً أكبر.

- أغلب الأشكال الصحفية التي تعتمد على الفورية والنشر الإخباري تُكتب من الناحية التحريرية على شكل قالب الهرم المقلوب حيث تكون المعلومات المهمة في المقدمة، والباقي في الجسم، في حين أن التحقيقات الاستقصائية عادة ما تأخذ أشكالاً تحريرية أخرى، وتكون متسلسلة في سرد المعلومات بصورة منطقية تهدف إلى الإقناع.
- أغلب الأشكال الصحفية تحتاج إلى البحث عن المعلومات لنشرها، ولكن ما تمتاز به الصحافة الاستقصائية هو بحثها فيما وراء هذه المعلومات، والكشف عن مسبباتها.
- تركز الأشكال الصحفية الإخبارية على الكثير من المواضيع كالفن والموسيقا والموضة، في حين أن الصحافة الاستقصائية عادة ما تأخذ مواضيع ذات أهمية أكبر، وتأثير أكثر، وتهتم بها قاعدة جماهيرية أوسع من تلك التي تهتم بالأخبار الآنية، ومن أمثلة هذه المواضيع الفساد المالي والإداري للنظام الحاكم، وقضايا الرشاوى وغيرها.
- عادةً الأشكال الصحفية الإخبارية تعطي القارئ أو الجمهور المعلومات حول بعض المواضيع المثارة، أما الصحافة الاستقصائية فليست تغطية عادية لخبر ما، فهي تكشف أموراً خفية للجمهور، إما أُخفيت عمداً من شخص ذي منصب في السلطة، أو اختفت مصادفة خلف رُكام فوضوي من الحقائق والظروف التي أصبح من الصعب فهمها، وتتطلب استخدام مصادر معلومات ووثائق سرية وعلنية.

رابعاً: ملامح تميز التقرير الاستقصائي

يحدد عبد الحليم حمود أربعة ملامح تميز التقرير الاستقصائي كشكل مختلف اختلافاً بيّناً عن الأنواع الأخرى، وهي:

1. بحث أصيل:

التقرير الاستقصائي ليس موجزاً أو تجميعاً لما توصل إليه الآخرون من نتائج ومعلومات ومعطيات، لكنه بحث أصيل يقوم به الصحفيون غالباً باستخدام المادة الخام، ويمكن أن يكون مقابلة شاملة، أو مطابقة ومقارنة للحقائق والأرقام، واكتشاف أنماطٍ وصلاتٍ لم تكن معروفة سابقاً.

2. يشمل الموضوع الخطأ أو الإهمال الذين لم يُنشر حولهما دليل دامغ:

كثيراً ما تراود الصحفي الشكوك بارتكاب خطأ أو وجود إهمال، لكنه يفتقد الدليل مثله مثل غيره، لذلك هو بحاجة إلى مراكمة الأدلة، وهذا يتطلب مزيداً من الوقت والجهد الدؤوب مقارنة بما تحتاج إليه كتابة التقرير العادي، وربما يستدعي ذلك أيضاً مشاركة أكثر من صحفي.

3. بعضهم يحاول إبقاء المعلومات سرية:

ينطبق ذلك على العديد من التقارير الصحفية، لكن في العمل اليومي هنالك نقطة يتوجب على الصحفي التوقف عندها، وكتابة تقرير حول ما وجده أو لم يجده، فكتابة التقرير الصحفي الاستقصائي تبدأ من النقطة التي يتوقف فيها العمل اليومي، وهي لا تقبل السرية ولا رفض المسؤولين تقديم المعلومات، بل تقوم بعملية سبر واستكشاف.

4. الرهان مرتفع وحجم المخاطرة كبير:

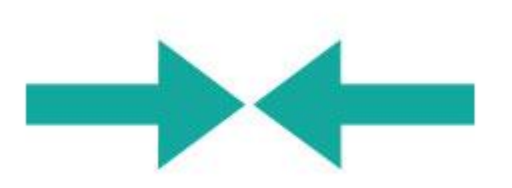
ما يحصل عليه الصحفي من مجد وعز عندما تنجح القصة قد يكون عظيماً، بقدر الضرر الذي يلحق بسمعته حين يفشل، وكمثال لذلك تجربة (صحيفة سينسيناتي إنكوايرر)، ففي شهر أيار مايو عام 1998 نشرت الصحيفة على صدر صفحتها الأولى تحقيقاً استقصائياً حول شركة الموز العالمية (شيكيتا براندز)، إضافة إلى قسم من ثمانية عشر صفحة حول هذا التحقيق الذي تطلّب إجراؤه سنة كاملة تحت عنوان: "افتضاح أسرار شيكيتا"، وفيه زعمت الصحيفة أن الشركة سيطرت على عشرات من شركات الموز المستقلة كما هو مفترض، وأنها استخدمت مع شركات تابعة لها مبيدات حشريةً هددت صحة العمال والسكان المقيمين في الجوار، وأن الموظفين تورطوا في قضايا رشوة في كولومبيا، لكن كل ذلك لم يكن صحيحاً كما بدا تماماً، ففي العدد الثامن والعشرين من حزيران يونيو 1998 نشرت الصحيفة اعتذاراً إلى الشركة على ستة أعمدة في صدر صفحتها الأولى، تستنكر فيه التحقيق، وتتبرأ منه كلية، كما طُرد كبير مراسلي التحقيقات، ووافقت على دفع مبلغ لا يقل عن عشرة ملايين دولار كتعويض للشركة.

خامساً: أوجه الشبه والاختلاف بين الصحافتين التقليدية والاستقصائية

أوجه الشبه:

تتمثل في التركيز على الأسئلة:

- من؟
- ماذا؟
- أين؟
- متى؟
- لماذا؟



لكن العنصر الخامس (لماذا؟) في التغطية التقليدية تقترن في الاستقصاء بـ (كيف؟) ولا يتم تطوير العناصر الأخرى كمياً فقط بل ونوعياً أيضاً.

أوجه الاختلاف:

وتتمثل في:

1. اختلاف عناصر التغطية: الانتقال من ماذا حدث في التقليدية إلى لماذا حدث في الاستقصائية.



2. درجة العمق: إن الاختلاف في عمق التناول يصب في صالح الصحافة الاستقصائية التي تعد أكثر عمقاً بين التغطيات الأخرى، كالتغطية الإخبارية المتعمقة، وتغطية تحقيق المعلومات، وذلك أن التقرير أسرع من الاستقصاء فهو لا يحتاج إلى أكثر من يوم لإعداده، لذا توصف التغطية في الصحافة التقليدية بالفورية والسريعة والسطحية، بينما في الاستقصائية بالمعمقة.
3. هدف التغطية: إخبار الناس وزيادة معارفهم وتكوين اتجاهاتهم في التقليدية، مقابل تحسين حياتهم وممارسة الدور الرقابي لصالحهم في الاستقصائية.

4. الدافع الذاتي: بالتأكيد دافع المخاطرة يزداد في الاستقصائية والذي لا بد أن يرتبط هنا بما يسمى (الهاجس)، حيث لا يوجد هاجس في التقليدية.
5. المجهود: يستمر التقصي عادة أياماً وأسابيع عكس التقليدي المتسم بدورة حياة قصيرة، فالتقصي يتسم بجهد وكلفة أكبر.
6. المصادر: التقليدية: جمع معلومات، أما الاستقصائية: استقصاء وتحرٍ وراء المعلومات.
7. المردود: التقليدية: لا تصدر حكماً بل تعرض وأكثر ما يمكنه فعله أن تعطي أفضلية، أما الاستقصائية: كذلك الحال لا تصدر حكماً، لكن يمكنها عبر جمع المعلومات وبناءً على الوثائق والأدلة وتنظيم البيانات أن تساعد الآخرين على إطلاق حكم.
8. سرعة التغطية: النشاط الصحفي اليومي التقليدي يتسم عادة بأنه عبارة عن رد فعل سريع للأحداث وأنه لهاث مستمر وراء القصص الإخبارية الآنية السريعة، بينما الصحفي الاستقصائي يجب أن تتوفر لديه القدرة على التأمل والإبداع والعمل الهادئ الصامت الخفي بعيداً عن ضغط مواعيد إغلاق الصفحات التي تجبر الصحفي التقليدي عادةً على تقديم تغطية بشكل مسطح سريع.
9. الزمن: الصحفي غير المتخصص بالتقصي يستجيب عادةً للأحداث اليومية التي تحدد له برنامجه وجدوله الزمني، أما العاملون في التحري والاستقصاء هم الذين يحددون جدولهم الزمني، وبرنامج عملهم، وتوقيتَ نشرهم، عندما يقرون أن قصتهم اكتملت عناصرها وحان موعد نشرها.
10. المضامين المتناولة: في التقليدية أخبار عادية آنية سياسية واقتصادية وفنية وعلمية وغيرها، أما في الاستقصائية مواضيع ذات أهمية أكبر تهم قاعدة شعبية أوسع كالفساد والرشاوى والتجاوزات والقصور.
11. الأسلوب: تتطلب الصحافة التقليدبة لغة مبسطة بينما الاستقصاء يتطلب لغة مضغوطة ودقة موضوعية، ولا يعني بذلك الحجم الصغير للموضوع بل تجنب الحشو والتكرار، إضافة إلى الوضوح، ولا بأس في المواضيع المتخصصة للتحقيق بلغة اصطلاحية مبسطة بعيداً عن الإسفاف، وتجنب العبارات السوقية، علماً أن لغة التحقيق ترقى إلى مستوى لغة البحوث والدراسات، فكلما اتجهنا عكس عقارب الساعة اختلفت اللغة جزالة وقوة مفردات وتراكيب لغوية متخصصة.
12. الجمهور: جمهور الصحافة الاستقصائية نوعي عكس الصحافة التقليدية ذات الجمهور العام، فهذا يفرض اختلافاً ضمن الخصائص والأسلوب، حيث إن جمهور الصحافة ليس موحداً بل شرائح محددة، وبخاصة مع التحقيقات الاستقصائية المتخصصة كالتحقيقات الاقتصادية أو المالية.
13. الصياغة: لا تحب الصحافة الاستقصائية القوالب المباشرة بل أن يعتمد التحقيق التحرير حسب أجزائه من التقديم إلى المصادر، فالإثبات إلى التحليل والنتائج، في حين يجد البعض أن الهرم المقلوب يصلح

لكتابة الصحافة التقليدية، والهرم القائم المعتدل أو القالب القصصي السردي يصلح للتحقيقات، ومع ذلك لا توجد طريقة ثابتة لكتابة التحقيق.

14. المعالجة وتعدد المحاور: ويجب أن تشمل في الصحافة الاستقصائية كل زواياها ما يجعلها نموذجاً متكاملاً (المتضرر ومسبب الضرر والحيادي وكل من له علاقة بالموضوع من قريب أو بعيد)، حتى أن المعالجة الوافية قد لا تكفي لمعالجة موضوع واحد، بينما التقليدية تعالج الموضوع من منظور واحد يشمل وجهة نظر ناقل الحدث.
15. الحجم: تفرض معالجة التحقيق للمحاور المتعددة اختلاف المساحة التي تزيد في الصحافة الاستقصائية، وربما المبالغة في هذه الزيادة جعل الاتحاد الدولي للصحافة الاستقصائية يطالب ألا يزيد حجم التحقيقات الاستقصائية عن 2500 كلمة.
16. المردود والتأثير: إن الاختلاف في التأثير ينعكس على طبيعة القضايا المعالجة، وآليتها واستمالات الإقناع المستخدمة وهذا ينعكس على المردود والتأثير في المجتمع، فالصحافة الاستقصائية تأثيرها كبير بينما الصحافة التقليدية محدودة.
17. مستهدَفو التغطية: لأن الأسماء تصنع الأخبار يستهدف محررو الأخبار عادة الأفراد الأعلى رتبة أو الأكثر وجاهة من بين المرتبطين بالحدث، بينما يستهدف الصحفي الاستقصائي أولاً الضحايا لأنه عادة ما يكون الأفراد ذوو السلطة الألمع أسماءً، هم المسؤولين عن الفساد الذي يتحرى عنه الصحفي الاستقصائي، ففي الأخبار أهم المصادر أرفعها، أما في الاستقصاء فأرفع المصادر أقلها اهتماماً بإظهار الحقيقة.
18. تقنيات جمع المعلومات: لا يجري العاملون في الصحافة التقليدية لقاءات مطولة على عكس الاستقصائيين الذين يمكن أن تمتد حواراتهم لساعات، وربما لأيام متتالية الزمن.
19. النشر: في التقليدي فوري، بينما في الاستقصاء متأنٍ.

سادساً: المقارنة بين الصحافة الاستقصائية والتقليدية وفق منظور "مارك هنتر"

الصحافة التقليدية	الصحافة الاستقصائية
البحث:	
تُجمع المعلومات وتُرسل وفق إيقاع ثابت (يومياً، أسبوعياً، شهرياً).	لا يمكن نشر معلومات إلا إذا تم التأكد من ترابطها واكتمالها.
يكتمل البحث بسرعة ولا يتم القيام بأي بحث آخر بعد أن تكتمل القصة.	يستمر البحث إلى أن يتم التثبت من القصة وقد يستمر بعد نشرها.
تقوم القصة على الحد الأدنى الضروري من المعلومات ويمكن أن تكون قصيرة جداً.	تقوم القصة على الحد الأقصى من المعلومات المحصلة، ويمكن أن تكون طويلة جداً.
يمكن لتصريحات المصادر أن تحل محل التوثيق.	يتطلب توثيقاً لدعم تصريحات المصادر أو إنكارها.
العلاقات بالمصادر:	
الثقة في المصدر مفترضة، وعلى الأغلب دون التحقق منها.	لا يمكن افتراض الثقة بالمصدر فقد يقدم معلومات مزيفة، ولا تستطيع استخدام أي معلومات دون التحقق منها.
تقدم المصادر الرسمية المعلومات للإعلامي مجاناً لتعزز دورها وتروج لأهدافها.	تخفي المعلومات الرسمية عن الإعلامي لأن كشفها قد يعرّض مصالح السلطات أو المؤسسات للخطر.
لا مجال إلا قبول الرواية الرسمية للقصة، على الرغم من أنه يمكن معارضتها بتعليقات أو بيانات من مصادر أخرى.	يتحدى الإعلامي بصراحة الرواية الرسمية للقصة، أو ينكرها بناءً على معلومات يستقيها من مصادر مستقلة.
يتصرف الإعلامي بمعلومات أقل مما تتصرف بها معظم مصادره أو كلها.	يجمع ويتصرف بمعلومات أكثر مما يتصرف به أي مصدر منفرد من مصادره وبمعلومات أكثر مما يتصرف بها معظم مصادره.
المصادر دائماً معروفة تقريباً.	على الأغلب لا يمكن تعريف المصادر لضمان أمنها.
النتائج:	
يُنظر إلى التحقيق الصحفي كانعكاس للعالم الذي يتم قبوله كما هو، ولا يأمل الإعلامي في الوصول إلى نتائج أبعد من مجرد إخبار الجمهور بموضوعه.	يرفض الإعلامي قبول العالم كما هو، فهدف القصة اختراق وضع معين، أو تعريته كي يصلحه أو يدينه، أو في حالات معينة تقديم مثال لطريق أفضل.

لا يتطلب التحقيق الصحفي انخراطاً وحماساً شخصياً من الإعلامي.	دون انخراط شخصي وحماس من الإعلامي لن تكتمل القصة أبداً.
يسعى الإعلامي إلى أن يكون موضوعياً قدر المستطاع دون تحيز لأي طرف في القصة، أو الحكم عليه.	يسعى الإعلامي إلى أن يكون عادلاً ومدققاً في حقائق القصة، وبناءً على ذلك قد يحدد ضحاياها وأبطالَها ومذنبيها، وقد يقدم أيضا حكماً على القصة أو يتخذ أو يصدر قراراً بشأنها.
البنية الدرامية ليست مهمة جداً.	الناس لا يتذكرون المعلومات بل القصة، فبنية القصة الدرامية ضرورية لتأثيرها وتقود إلى استنتاج يقدمه الإعلامي أو مصادره.
قد يرتكب الإعلامي أخطاء، ولكنها حتمية وعادة ليست مهمة.	تعرّض الأخطاءُ الإعلامي لجزاءات رسمية أو غير رسمية يمكن أن تحطم مصداقيته وتؤثّرَ على سمعة وسيلته الإعلامية.

سابعاً: هل كل تحقيق استقصاء؟

مازال يوجد من يؤكد أن جميع المحررين الصحفيين (يحققون) أو (يتحرَّون) بدقة فيما يكتبون عنه. الرأي الذي يصبح فيه مصطلح (التحقيق الصحفي) غير ذي معنى، فالصحافة التقليدية تنطلق من أن التحقيق يعالج الظواهر الاجتماعية المعقدة (الهجرة، التسول، انخفاض مستوى اللغة العربية بين الطلاب) إضافة إلى الموضوعات والإجراءات والقضايا الغامضة أو صعبة الفهم بالنسبة إلى القارئ العادي، بسبب طبيعتها الاختصاصية (صدور قانون جديد) إلى جانب المشكلات والقضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المعقدة والمزمنة والشائكة، والباحثة عن التشخيص الدقيق، والفهم العميق: (ارتفاع الأسعار وتدني الأجور، مشكلة المرور، أزمة الكتاب، عدم قراءة المجتمع، أزمة المسرح، مشكلة التصحر) يضاف إليها الأحداث الضخمة والمهمة التي تترك آثاراً عميقة وتهم الشرائح الاجتماعية الواسعة (انهيار سد، حدوث زلزال، تفشي وباء، جريمة غير عادية بنوعها أو حجمها، حادث مروري استثنائي يتسبب بخسائر بشرية جسيمة).

إن ذلك التقرير الذي يذاع عن الأحوال الجوية، أو ذلك الموضوع الذي يتناول كيف تستطيع الرؤية في الظلام، أو ذاك التقرير المتعمق المنشور على الصفحة الأولى، لا يبدو فيها على نحو ما كثير من سمات

التدقيق الصحفي، ومع المقارنة بالموضوع الرئيسي (العمدة الذي تقاضى تكاليف السفر مرتين لرحلات يقوم آخرون بتسديد تكاليفها)، فهذه القصة يبدو فيها نوع معين من القدرات وقدر أكبر من الجهد عن القصص السالف الإشارة إليها، وهي ما تستحق أن يطلق عليها لقب صحافة استقصائية، ترى أن تحقيقها ينطلق من المواضيع التي تبحث عنها وفيها، وتنشرها لتصبح مواضيع مثارة حتى لو نتجت على شكل حملات صحفية، أو تحقيقات متسلسلة، أو تقارير استقصائية تُنشر على فترات حسب ما يحقق الفائدة والمنفعة العامة، وحسب ما توصلت إليه آخر التحقيقات من معلومات بعكس الأشكال الصحفية الإخبارية التي تعتمد على الفورية والآنية وعلى الترتيب الزمني لنشر الأحداث حسب وقوعها.

ويمكن القول هنا إن الصحافة الاستقصائية هي ذلك النوع من الصحافة الأكثر إرضاءً وإثارة، وهي أيضاً الأكثر تطلباً فيما يتعلق بالوقت والعمل الجاد، وغالباً ما تتمخض مواضيعها عن تغييرات حقيقية تؤثر على حياة الناس، والتي قد تشتمل في بعض الأحيان على تعديل للقوانين، وتقديم المعتدين إلى العدالة وتصحيح أخطاء، وفي الوقت الذي يصبح فيه من المهم كشف الفساد الحكومي وفضح تزوير الانتخابات مثلاً، فإن الصحافة الاستقصائية تتجاوز حدود الكتابة ببساطة عن هذه القضايا؛ لأنها طريقة في التفكير ومنهج وأسلوب تتبعه الصحافة في العالم.

في المقابل تصمم المدرسة التقليدية – التي ترى أن (كل استقصاء هو تحقيق) – على أن هذا الفن قد يكون إعلامياً أو تفسيرياً، أو توجيهياً أو ترفيهياً، أو تعليمياً أو إعلانياً، غير أنه في معظم الأحيان يحقق أكثر من هدف واحد من تلك الأهداف، إذ يتضمن الحوار والمناقشة والحديث الصحفي والاستقصاء والبحث والدراسة، فهو يقوم على خبر أو فكرة أو مشكلة أو قضية يلتقطها الصحفي من المجتمع الذي يعيش فيه، ثم يجمع مادة الموضوع بما يتضمنه ويَلْزَمه من بيانات أو معلومات أو آراء تتعلق بالموضوع، ثم يزاوج بينها للوصول إلى الحل الذي يراه صالحاً لعلاج المشكلة أو طرح القضية، أو الفكرة التي يطرحها، ما يؤسس لكونه فناً يرتكز على التفسير الاجتماعي للأحداث وللأشخاص الذين اشتركوا في هذه الأحداث حيث يشرح ويفسر ويبحث في الأسباب والعوامل الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو الفكرية التي تكمن وراء الخبر، أو القضية أو المشكلة أو الظاهرة التي يدور حولها التحقيق؛ لذلك كثيراً ما يتصل التحقيق الصحفي بالأحداث الجارية ويرتبط بالأفكار الحية في حياتنا لكونه يتسم بالواقعية والحالية حتى ولو كان الموضوع تاريخياً، بمعنى الزاوية الجديدة، أو النظرة المكتشفة حديثاً أو التقييم الجديد للحقائق تاريخياً لشخصيات تعطي معانيَ وأبعاداً غير معروفة من قبل.

ويتفق مع كل من يصنف التحقيق إضافة إلى الحديث كنوعين صحفيين (إخباريين) حيث يرى "أديب خضور" أن الباحثين اختلفوا في تصنيفهما، فبعضهم يصرون على تصنيفهما ضمن الأنواع الصحفية ذات الطابع الفكري (مواد الرأي)، وذلك نظراً لما يتضمنه من خلفيات وعناصر وتفسير وتقييم وآراء ووجهات نظر وآراء، إلا أن الأغلبية الساحقة من الباحثين وفقاً لوجهة النظر الكلاسيكية تصنف التحقيق وكذلك الحديث ضمن الأنواع الصحفية ذات الطابع الإخباري باعتبار أن كشف الحقائق والمعلومات والآراء والأفكار والمواقف ووجهات النظر وتقديمها يشكلان مركز الثقل الأساسي في التحقيق، ويعطيانه هذا الطابع الإخباري، وعليه يعد هذا التصنيف منطلقاً لروح الصحافة التقليدية التي تُعد كل تحقيق استقصاءً، في حين يصنف التحقيق الاستقصائي بمفهومه المعاصر (إضافة إلى الحديث) من أنواع الصحافة الاستقصائية، فهي ليست صحافة إخبارية، كما أنها ليست صحافة مواد رأي، فعلى الرغم من تضمنها المعلومات والحقائق والوقائع – إلى جانب الآراء والتفسيرات والتقييمات والتحليلات – إلا أنها ليست مجرد صحافة إخبارية، وتتعدى حدود صحافة الرأي لتصل إلى الصحافة المتضمنة جميع أنواع الشرح والتفسير والتحليل لمواد ووقائع تقصى حولها الصحفي بطريقة منهجية ليكشف المستور ويحقق الصالح العام.

استناداً إلى ما سبق لا يعد كل تحقيق استقصاءً، وهنا نربط كلمة التحقيق بالاستقصاء (التحقيق الاستقصائي) كي لا يفسر التحقيق على أنه مجرد سعي إلى اليقين من الأمور، وإلى الوقوف على حقيقة الخبر والحدث، كما تشير القواميس والدلالات اللغوية لكلمة تحقيق.

الخلاصة

يشكل مفهوم الاستقصاء إضاءات على التحقيق الصحفي، بما يعني البحث والتفتيش والتنقيب والاستقصاء، عن الأسباب، والعلل الكامنة وراء الظواهر اللافتة للنظر، أو القضايا الشائكة، أو المشاكل المؤرقة للناس، والمسببة لهم المتاعب، ومن هنا يقوم المنحى الأساسي لهذه الصحافة الجديدة على تبيان أمور لم تعتد عليها الصحافة التقليدية، وذلك بأن يكون الصحافي شاهداً شخصياً على ما يجري، معتمداً على بناء التحقيق بالإسناد إلى عمل بحثي دقيق، لتبيان الأشياء غير المعلنة، والمرتكزة إلى الوثائق والشهادات، التي تسمح باستنتاجات، تؤدي إلى كشف حقيقة تسعى السلطات وصانعو القرار إلى إخفائها، كما تبين هذه الوحدة الفروق الجوهرية بين الصحافة التقليدية والصحافة الاستقصائية؛ حيث تعتمد الأولى بصورة عامة على مواد ومعلومات وفَّرها آخرون، (صادرة عن مؤسسات حكومية أو شركات عامة وخاصة)، وجمع ردود الفعل المتعدّدة حيالها، بينما تعتمِد التغطية الاستقصائية على مواد جُمعت أو استُقصيت بمبادرة شخصية من الإعلامي، وجمعها الصحفي بنفسه، فالاسقصاء بحث أصيل، يشمل الموضوع الخطأ أو الإهمال الذين لم ينشر حولهما دليل دامغ، وخاصة تلك التي يحاول البعض إبقاء المعلومات سرية حولها، ما يجعل التقصي صحافة العمق مقارنة بالصحافة التقليدية، واستناداً إلى ما طرحته هذه الوحدة "لا يعد كل تحقيق استقصاء"، ولهذا ارتبط كلمة التحقيق المعاصر بالاستقصاء (التحقيق الاستقصائي)، كي لا يفسر التحقيق على أنه مجرد سعي إلى اليقين من الأمور، والى الوقوف على حقيقة الخبر والحدث، كما تشير القواميس والدلالات اللغوية لكلمة تحقيق.

التمارين

1. اختر الإجابة الصحيحة:

المنحى الثاني الذي قامت عليه الصحافة الاستقصائية يعتمد على

- بناء التحقيق بالإسناد إلى عمل بحثي دقيق.
- بناء التحقيق على المعايشة المباشرة للحدث.
- بناء التحقيق إسناداً إلى مصادر مفتوحة دقيقة.
- بناء التحقيق على معطيات ترتبط بمصالح الناس.

الإجابة الصحيحة: A. بناء التحقيق بالإسناد إلى عمل بحثي دقيق.

2. اختر الإجابة الصحيحة:

تقوم فكرة تغطية "المشروع" على

A. التعاون المشترك بين صحفيين عدة.
B. بحث المجهود الذاتي للصحفي في قضايا الشؤون العامة.
C. التخطيط الذكي والمبرمج للتحقيق الاستقصائي.
D. المنظور بعيد المدى والجهد التراكمي للتقصي.

الإجابة الصحيحة: B. بحث المجهود الذاتي للصحفي في قضايا الشؤون العامة.

3. اختر الإجابة الصحيحة:

هل كل تحقيق استقصاء؟

- دائماً.
- أحياناً.
- نادراً.
- أبداً.

الإجابة الصحيحة:D. أبداً.

الوحدة التعليمية الثالثة

أهمية الصحافة الاستقصائية، وظائفها، خصائصها وسماتها

الأهداف التعليمية:

بعد دراسة هذه الوحدة التعليمية يجب على الطالب أن يكون قادراً على أن:

- يشرح أهمية الصحافة الاستقصائية
- يشرح أهمية الصحافة الاستقصائية من وظائفها
- يجيب على سؤال لماذا الصحافة الاستقصائية الآن
- يشرح وظائف الصحافة الاستقصائية
- يعدّد وظائف التحقيق وفق المدرسة التقليدية
- يعدّد وظائف التحقيق الاستقصائي وفق المنظور المعاصر
- يعدّد خصائص الصحافة الاستقصائية
- يعدّد عناصر الصحافة الاستقصائية
- يشرح مبادئ نجاح العمل الاستقصائي
- يعدّد سمات الصحافة الاستقصائية ومستلزماتها
- يشرح علاقة الصحافة الاستقصائية بالمناهج البحثية وأصول البحث العلمي
- يشرح جوانب إفادة الصحافة الاستقصائية من مناهج البحث العلمي
- يعدّد المراحل المشتركة بين الصحافة الاستقصائية والبحث العلمي
- يعدّد أسباب استخدام البحث العلمي في الصحافة الاستقصائية

النقاط البحثية للوحدة

- أهمية الصحافة الاستقصائية.
- لماذا الصحافة الاستقصائية الآن وفي كل وقت.
- وظائف الصحافة الاستقصائية بين مفهوم الصحافة التقليدية وصحافة التقصي المعاصرة.
- خصائص الصحافة الاستقصائية ومعاييرها وسماتها ومبادئها.
- قواعد الصحافة الاستقصائية.
- مستلزمات خاصة تتطلب الصحافة الاستقصائية.
- علاقة الصحافة الاستقصائية بالمناهج البحثية وأصول البحث العلمي والخطوات البحثية التي تستفيد منها الصحافة الاستقصائية.

الكلمات المفتاحية للوحدة:

أهمية الصحافة الاستقصائية – وظائف التقصي – خصائص التقصي – سمات التقصي وقواعده – مستلزمات التقصي – الاستقصاء ومناهج البحث

أولاً: أهمية الصحافة الاستقصائية

1. لطالما كانت التحقيقات الاستقصائية تجسد دور "السلطة الرابعة" لوسائل الإعلام في المجتمعات التي عليها واجب جعل باقي السلطات الحكومية تتحمل مسؤولية أعمالها بما في ذلك الأخطاء والتجاوزات والجرائم التي قد ترتكبها، فهي تكتسب أهميتها من قدرتها على الإدارة الديمقراطية للشأن العام، ما يجعل هذا النوع الإعلامي هو الذي يحدد قوة ومكانة الإعلام في أي مجتمع.

2. ولعل رغبة الاستقصائيين في تغيير العالم بمجرد تحقيق واحد – وإن اصطدم هذا الطموح بالواقع – تبقى مؤشراً على أهمية التقصي ودوره في المجتمع وتحسين حياة أفراده، وبالتالي تعد الصحافة الاستقصائية أعلى المراتب المهنية الإعلامية، ولكن في الوقت نفسه أصعبها، وهنا يتوجب دائماً تذكر نصيحة "كن بيزيو": إن التحقيق الصحفي الذي يقوم به الصحفي قد لا يغير العالم، ولكنه قد يجعل العالم يريد أن يتغير، عبر إثارة الرغبة لديه في ذلك".

3. في أثينا القديمة كان أفلاطون يحاجج بأن أفضل وسيلة للتوصل إلى الحقيقة هي إجراء مناقشات حية لا يستبعد منها أو يحجب عنها أي حقيقة أو حجة، وكان يؤمن بأن هذه المناقشات ضرورية إذا أرادت أي حكومة أن تخدم شعبها جيداً، والواقع أن التحقيقات الصحفية تنبع من هذا التقليد القديم لأثينا المبني على حرية تعبير الرأي وحرية الحديث كوسيلة لضمان أقصى حد من المشاركة في الحكم، فالتحقيقات الصحفية تعبر عمن لا رأي لهم، لذا لا يتردد صحفيو اليوم من طرق الباب الأكثر مغامرة في عالم الصحافة، لأنهم حين يبدؤون في العمل على تحقيق استقصائي فإنهم يطلقون رحلة كشف المستور والغوص في عمق الأحداث وتتبع التفاصيل الدقيقة التي توصل إلى معلومات غير متوفرة على "سطح المشهد".

4. وإذا كان العتب على صحافة اليوم لتحولها إلى صحافة "مصالح"، فإن الصحافة الاستقصائية ترفع كاهل الاتهام عنها لتخصصها بمصالح العامة على حساب شؤون الخاصة، ما يشكل رداً على الكثير من المراجع التي وضعت اللوم عليها، ومنها كتاب "أخبار الأرض المسطحة" الذي يسلط الضوء على حقيقة تحول الصحافة إلى مجرد jurnalism، واضعاً الكثير من اللوم على تكتلات وسائل الإعلام الأكثر حرصاً على وضع مصالح المعلنين على رأس قائمة أولوياتها، لأن التقصي يركز على إنتاج مواد ذات جودة جيدة صحفياً وإذاعياً والكترونياً على حد سواء، ويحمي الأخبار اليومية من الحالة المرثية لها من خلال فرصة وجود صحافة التحقيقات الاستقصائية الضامنة للبقاء وسط هذا العالم المتغير.

وعليه أصبحت المنافسة في الوقت الحاضر قوية على الصحافة الاستقصائية في جميع الصحف الأمريكية الكبرى والصغرى التي يوجد بها أقسام وفرق عمل استقصائي، بل إن بعض الوكالات الصحفية الكبرى مثل وكالة "أسوشيتدبرس" استحدثت مؤخراً قسماً خاصاً بالتحقيقات الاستقصائية، وهذا ما دفع الصحف الأمريكية الكبرى إلى التزاحم على موضوعات التحقيقات الاستقصائية، فخصصت لها إلى جانب فريق المحررين المتميزين والمعروفين بموضوعيتهم ومصداقيتهم ميزانيات ماليةً كبيرة، وفترات زمنيةً طويلة للقيام بالتحقيقات الاستقصائية التي تهم الرأي العام، حتى أصبح قسم التحقيقات الاستقصائية أكثر الأقسام قراءة، فقد وصلت نسبة القراءة من قبل الجمهور الأمريكي إلى معدل 90%، وباتت موضوعاتها موسعة تشمل الأعمال والمال، والسياسة والمجتمع، وتتكيف مع متطلبات السوق، ومع اهتمامات الجمهور المحلي، ومن هنا توسعت فرق الصحفيين الاستقصائيين لتشمل المكاتب الإعلامية في البيت الأبيض، ووزارة الخارجية الأمريكية، والكونغرس الأمريكي، لتعمل في صناعة تحقيقات الصحف الاستقصائية التي تمس مسئولاً ما أو مسألة ما في هذه المراكز، وهي سابقة أوجدتها فضيحة ووترغيت.

واستناداً إلى ذلك رأت المؤسسات الصحفية من الأهمية بمكان للصحافة الاستقصائية أن تتحول من الاعتماد على المحررين الذي يعملون بمفردهم مع دعم قليل من المؤسسات التي ينتمون إليها – قبل التطور الهائل في تكنولوجيا المعلومات – إلى العمل بروح الفريق من أجل توافر أشكال مختلف من الخبرة للمحررين، تمكّنهم من إعداد تقارير صحفية مدعومة بالوثائق، وتشمل جميع المواقع.

5. تثبيت الحكم الديمقراطي، كما يمكن فهم تأثيرها من خلال نموذج السلطة الرابعة التي تتولاها الصحافة، ووفقاً لهذا النموذج يقع على الصحافة في هذه السلطة مهام محاسبة الحكومة بنشرها المعلومات المتعلقة بالشؤون العامة، فعندما تمتنع المؤسسات الحكومية عن إجراء التحقيقات أو عندما تصطدم هذه التحقيقات بمشكلات أو تعتريها الشكوك تتدخل الصحافة الاستقصائية للقيام بواجبها وتسوية الحسابات، ومن هذا المنظور تعد تقارير تقصي الحقائق من أهم المساهمات التي تقدمها الصحافة الاستقصائية لتثبيت الديمقراطية، فهي ترتبط بمنطق الضوابط والتوازنات في هذه الأنظمة، وتوفر آلية ثمينة لمراقبة أداء المؤسسات التي تضم حسب المفهوم العام: الهيئات الحكومية، والمنظمات المدنية، والشركات المملوكة من القطاعين العام والخاص، وذلك عبر زيادة إطلاع المواطنين ومعرفتهم، فالمعلومات مصدر حيوي لتذكير الشعب اليقظ بأنه يمتلك سلطة محاسبة الحكومة من خلال الانتخابات والمشاركة، كما تحتفظ الصحافة الاستقصائية بسلطة تحديد برنامج عمل لها لتذكير المواطنين والشخصيات السياسية بوجود مساءلة عليهم.

6. وبناءً عليه أقرت مؤسسة الشفافية العالمية التي تتخذ من برلين مقراً لها بأهمية صحافة التحري في صيانة حقوق المواطنين، إذ تبين أن هناك علاقةً مباشرة بين وجود الصحافة الحرة والصحافة الاستقصائية التي يقوم الصحفيون بواجباتهم من خلالها من جهة، وبين انعدام ظاهرة الفساد أو محدودية انتشارها من جهة أخرى، فصحافة التحري تنطلق من قناعة الصحفي أن مهنته كالسلطة الرابعة يُناط بها مسؤولية اجتماعية في الدفاع عن حقوق الناس وكشف التجاوزات والتعديات على هذه الحقوق بتفويض متعارف عليه لكنه غير مكتوب بين أصحاب العلاقة (الصحفي والناس).

ثانياً: أهمية الصحافة الاستقصائية من وظائفها



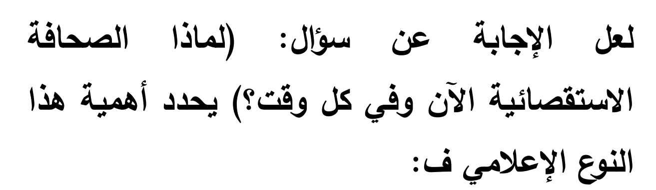
تنبع أهمية الصحافة الاستقصائية من الوظيفة التي تؤديها، فهي تعد:

1. جزءاً من العمل الرقابي التخصصي الذي يمكن أن يصنع رأياً عاماً بين الجمهور خاصة إذا تبنت نتائجه بعض الجهات السياسية ووسائل الإعلام.
2. كاشفة لجرائم وفضائح وفساد المسؤولين، ويقال في الغرب: (إن للصحافة الاستقصائية قدرة لا تُضاهى على ربط مسؤولين بجرائم معينة).
3. ملبيةً لمتطلبات عدة بالنسبة لكل من:

- (الجمهور) الذي يتطلع إلى مواد تفسر له ما يدور حوله وتجعله على دراية بمسببات الأمور.
- و(للقائم بالاتصال) الذي تتيح له الصحافة الاستقصائية إظهار شخصيته بصورة أكبر مقارنةً مثلاً بالمواد الإخبارية.
- و(للوسيلة ذاتها) حيث تمكّنها من الوجود في عصر المنافسة بين باقي الوسائل الإعلامية.

4. أداةً للوصول إلى الحقيقة من مصدرها الأصيل، والوقوف على صدقها من تضليلها، وتضخيمها من تحجيمها، فهي أداة تعمق فهم الواقع.
5. بوابةً مهمة لشروع أجهزة الدولة في فتح التحقيقات حول جرائم المال والإدارة.
6. مركزَ معلومات المؤسسة، وقاعدةَ بياناتها.
7. ممثلةً لصحافة العمق، وهو مستقبل الصحافة الحية الناجحة المؤثرة مستقبلاً حسبما يقول الصحفي الأمريكي "سيمون هيرش" الذي يعد من أكفأ الصحفيين الاستقصائيين في العالم: "مستقبل الصحافة في صحافة العمق"، لذا فإن الصحافة الاستقصائية ضرورة لنهوض صحافة المؤسسات الإعلامية ومبرر لوجودها.
8. مرتبطةً بشكل وثيق بالدور المأمول للصحافة باعتبارها أداةً مهمة للمراقبة الشعبية، ولكونها عين الشعب اليقظة التي تسهم في الإصلاح والتغيير وكشف الاعوجاج والتنبيه إلى مواطن الخلل، وباعتبار أن الصحافة الاستقصائية تحارب الفساد، فقد ارتبط دورها في أذهان الناس بقدرتها على التأثير في حياتهم انطلاقاً من دورها المجتمعي كحارس أمين وسلطة رابعة.
9. خالقةَ وعي في مجتمع الصحفي الاستقصائي لوضع حد لخلل ما، أو إنهاء نوع من أشكال التطاول على حقوق الناس فوراً عبر تأسيس رأي عام ضاغط يدفع بجميع الوسائل المشروعة لوضع حد لتلك الحالة، وبالتالي فمن خلال الكشف الدراماتيكي المدوّي لهذا الفساد يمكن إدخال الرعب إلى قلوب فاسدين آخرين لم تزل أفعالهم طي الكتمان، ما يُحدث تغييراً في الواقع يضغط فيه الناس على ممثليهم في السلطات التشريعية لإثارة الأمر مع المعنيين في السلطة التنفيذية، وإيقاف ذلك العبث بمصالح الناس.
10. متميزةً بامتلاكها قوة تأثير عالية ناجمة عن أهمية موضوعها، وشمولية وعمق معالجتها لهذا الموضوع وحجم المعلومات التي يتضمنها، ونوعية ومستوى المتخصصين والخبراء والمعنيين الذين يعتمد عليهم كاتب التحقيق من أجل تفسير وتحليل وتقييم الأبعاد المختلفة للظاهرة أو المشكلة موضوع التحقيق.

ثالثاً: لماذا الصحافة الاستقصائية الآن؟



لعل الإجابة عن سؤال: (لماذا الصحافة الاستقصائية الآن وفي كل وقت؟) يحدد أهمية هذا النوع الإعلامي ف:

- **هناك الكثير مما يمكن أن يقدمه الاستقصائيون للضحايا.**
- **ولأن الصحفيون الاستقصائيون يريدون من عملهم:**

  - تغيير السيئ وإنقاذ المساكين.
  - معرفة الحقيقة.
  - مكافحة الفساد ووقفه ومجابهة الفاسدين.
  - انتقاد الوضع غير المرضي.
  - الشهرة.
  - الحصول على المكاسب المادية وجني الأموال.

القواعد الذهبية لمبررات التقصي:

- ✓ لا نريد فضح المؤسسات والأشخاص بل نقد أخطاء الجميع وإصلاحهم.
- ✓ إننا لا نبحث عن المشكلات بل عن الحلول.
- ✓ الصحافة الاستقصائية ليست صحافة هدامة، بل صحافة بناءة.

بدورها تحدد الشبكة العربية للصحافة الاستقصائية "أريج" أهمية التقصي الصحفي من العوالم التي يلجها، وفي هذا السياق يقول "مارك هنتر" إن الصحافة الاستقصائية قد لا تكون دائماً اللون المفضل من الصحافة، إلا أنها لون لا يختفي أبداً عنها، ويشتد عليها الطلب بين الحين والآخر بغية الوصول إلى حكم بأن شيئاً ما حدث لم يكن ينبغي أن يحدث، ولذلك يجب ألا يتكرر مرة ثانية، أو العكس أن شيئاً يستحق أن يحدث أوقف عن حدوثه بشكل متعسف، ومن هنا يتجلى الطابع الصدامي للاستقصاء، مؤكداً التراث التصادمي للصحافة.

من خلال الإجابة عن **سؤال: (لماذا الدخول في عالم الصحافة الاستقصائية؟) سيحدد مدار تلك الأهمية، وعليه تتبلور مجالات أهميتها في:**

- كشف الأخطاء والتجاوزات.
- أن الموضوع المراد كشفه يهم الناس أو المجتمع.
- أنك تريد إحداث تغيير إيجابي معتمداً على حقائق موثقة.
- أنك تريد أن تصل إلى الحقيقة.
- أنك تريد أن تشرك الناس في إحداث تغيير.
- أنك تريد أن تحسّن من وضع الناس أو المجتمع.
- أنك تريد كشف الجهة المسؤولة عن استمرار الأخطاء.
- أنك تريد أن توثق الواقع المعاش.

ويحدد مارك هنتر الأسئلة الجوهرية التي ينبغي أن تُطرح وأن يجاب عليها لتحديد أهمية الاستقصاء ووظائفه عبر التالي:

- ما القيمة المضافة لصحافة الاستقصاء؟
- من الذي يوفر هذه القيمة ويستفيد منها؟

- والأجوبة عن السؤالين السابقين يحقق حسب "هنتر" تقدير الرأي العام لفضح الظلم:

1) رفع مستوى وعي المواطنين: فالتحدي يكمن بالتأكيد في وجود معلومات صحيحة حول ما يفعله المسؤولون مقابل ما يقولونه، وأنه من دون ذلك الوعي لا يمكن أن تقوم ديمقراطية.
2) القيمة المضافة لفئات المجتمع: في العديد من الأسواق المحلية يركز الاستقصاء على السياسة والأعمال، وهما مجالان مهمان، ولكنهما ليسا المهمين الوحيدين للجمهور، وبصفة أخص لفئات أخرى كالنساء، لأن المعاناة من الظلم بصفة عامة تتصدر هموم المجتمع ككل، ولكن من منظور فردي فإن قصصاً معينة هي القصص التي تهم أشخاصاً بعينهم أكثر من آخرين.
3) القيمة المضافة للشركاء من مؤسسات ومنظمات: كما يشير نموذج التحالفات فستكون الحاجة للاستقصاء أكثر إلحاحاً وأهمية ومنفعة للشركاء – مؤسسات ومنظمات مجتمع مدني–.
4) القيمة الاقتصادية بالنسبة للفرد: حيث يمكن للاستقصاء أن يؤدي إلى قيمة اقتصادية للأفراد أو المشروعات والمجتمعات، وهو المبدأ المترسخ في صحافة الاستقصاء.

من جانبه يحدد "تشينيي **Chinenye**" ما تحققه الصحافة الاستقصائية للمجتمع من فوائد عظيمة.. فتعريف الصحافة الاستقصائية يجب أن يخرج من النظرة التقليدية للصحافة بالنشر الفوري بل من اعتمادها على أن يكون الصحفي رقيباً في المجتمع، يشم الأخطاء ويوجه الاتهامات ويبحث ويطالب

بالتغيير والإصلاح، ولا يأتي هذا إلا في وجود صحافة حرة، وتنبع أهمية الصحافة الاستقصائية في المجتمع من الأدوار التي تقوم الصحافة الاستقصائية بأدائها، والمتمثلة فيما يلي:

- المطالبة بالتغييرات السياسية والإصلاح السياسي.
- تشجيع الشفافية والمساءلة القانونية في الوظيفة العمومية.
- زيادة مصداقية وسائل الإعلام لدى المجتمع لعرضها الظلم الواقع على المجتمع.
- تعزز من دور وسائل الإعلام كوكيل عن المجتمع.
- تزيد المنافسة بين وسائل الإعلام.
- تحقق زيادة مبيعات لوسائل الإعلام التي تنتهج هذا النهج وتدر أرباحاً كبيرة نتيجة إقبال المعلنين.
- توسيع نطاق حرية الصحافة باستكشاف مختلف المناطق والبحث عن الحقائق فيها.
- تحسين مهارات الصحفيين وصقل مواهبهم وزيادة ثقة الجمهور بوسائل الإعلام.
- تعزيز التنمية الاقتصادية في المجتمع عن طريق الرقابة على الأموال العامة وملاحقة القائمين على السلطة وتحقيق الاستغلال الأمثل لموارد البلاد.

رابعاً: وظائف الصحافة الاستقصائية



تتحدد وظائف التحقيق الاستقصائي من خلال المدرسة التي ينتمي إليها هذا التحقيق (الاستقصائية) مقابل (التقليدية)، فالوظيفة الأساسية للصحافة الاستقصائية هي ما يمكن تسميته "**بالوظيفة الوسيطية**" التي تتوسط للناس في حياتهم، بينهم وبين المسؤول عن تردي أوضاع هذه الحياة والإخلال بحقوقها، والاعتداء على أساسياتها، فعندما تفشل أو تتوانى السلطات المسؤولة في حل مشكلة تواجه المجتمع، كالتقصير في مشكلات المياه أو الكهرباء أو الصحة أو الاعتداء على حرمة الممتلكات العامة والخاصة أو حتى السرقات والاختلاسات.. إلخ.. تتوسط الصحافة لحل هذه القضايا، فبمجرد نشر هذه المشكلات ومن يقف وراءها على صفحات الجرائد، أو على إثير البث التلفزيوني أو الإذاعي سيسارع المسؤولون – خوفاً من الفضيحة أمام مرؤوسيهم، أو خشية ضغط الرأي العام الذي يصبح على اطلاع بالمفسدين – إلى إيجاد حلول لها، ليس محبة أو أداء واجب بقدر ما هو للأسباب الماضية، وبالتالي تسهم الصحافة الاستقصائية بهذا الشكل في التوسط لحل مشكلات الناس، وهو ما أسميناه "بالوظيفة الوسيطية" التي تقول إن المجرمين والمفسدين والمخطئين لا يستطيعون ممارسة هواياتهم بالقتل والانحراف والاعتداء

على المصالح العامة أمام وسائل الإعلام وعلى مرأى من عدساته، في المقابل تتجلى وظائف (الصحافة التقليدية) ب:

- الوظيفة المعرفية للأنواع الإخبارية.
- وبالوظيفة التكوينية والتنظيمية لمواد الرأي التي تنظم وتكوّن اتجاهات الجمهور نحو القضايا المختلفة.
- وبالترويجية للأنواع الإعلانية.
- وبالترفيهية لمختلف الأنواع.

ومن هنا يصر أصحاب المدرسة التقليدية على أن التحقيق الصحفي (التقليدي) يسهم في إنجاز المهمات التي تسعى الصحافة بشكل عام إلى القيام بها، وبخاصة المهمات الإعلامية والتثقيف (الذي تقوم به الأخبار) والتوعية والتوجيه (الذي يُناط بمواد الرأي)، إضافة إلى التسلية في الصحف المهتمة بنشر تحقيقات حول قضايا خفيفة ومسلية، وذلك بسبب مضمونه الغني والمتنوع، لكونه يشتمل على المعلومة والرأي والتعليق والشرح والتفسير والتحليل والتقييم.

ومن هنا يرى التقليديون أن التحقيق يحقق ويعمل على التفسير، والتوجيه والإرشاد، والترفيه (تحقيق التسلية والإمتاع)، والتثقيف، والتنشئة الاجتماعية والسياسية، وتسويق الأفكار، ما يسقط هذه الأفكار على عموم الصحافة ومنها صحافة التحقيقات التي تعد وظائفها (وفق هذا المنظور) مشتقة منها أو تؤدي في المحصلة إليها.. بمعنى أن هذه الصحافة تؤدي الوظائف الحديثة للإعلام التي حددها "هارولد لاسويل" في أواخر الأربعينيات من القرن العشرين وتتمثل في: (مراقبة البيئة المحيطة، والعمل على ترابط المجتمع ووحدته في مواجهة البيئة، والاهتمام بنقل التراث الثقافي) باعتبار التحقيق هو إحدى وسائل الجريدة لممارسة دورها التفسيري والاستقصائي.

خامساً: وظائف التحقيق وفق المدرسة التقليدية

يلخص وظائف "التحقيق التقليدي" وفق هذه المدرسة كالتالي:

- وظيفة الإعلام: حيث يقوم التحقيق بنشر الحقائق والمعلومات الجديدة بين الجمهور.



- تفسير الأنباء: يقوم التحقيق الصحفي بتفسير الأخبار والأحداث وشرحها، وذلك بكشف أبعادها الاجتماعية والاقتصادية ودلالاتها السياسية.



- التوجيه والإرشاد: وذلك بتصديه لقضايا المجتمع ومشكلاته، والبحث عن حلول لها.



- التسلية والإمتاع: يركز التحقيق الصحفي في كثير من الأحيان على الجوانب الطريفة والمسلية في الحياة.



- الإعلان: يشيد أحياناً التحقيق الصحفي بمشروع معين، ليُسمى في هذه الحالة التحقيق الإعلاني.



سادساً: وظائف التحقيق الاستقصائي وفق المنظور المعاصر

من جهتها ترفض الصحافة الاستقصائية بمنظورها المعاصر وظائف الصحافة بشكلها التقليدي، لتنطلق من أنها تُبنى على توضيح العلاقة بين الصحافة والديمقراطية، ما يتطلب الوقوف على خمسة أدوار للصحافة

تؤثر من خلالها على الحياة السياسية والديمقراطية بشكل عام، وضعها الباحثون باستخدام تشبيهات واستعارات مبنية على أساس العلاقة بين (الإنسان والكلب) لتوضيح هذه الأدوار والوظائف، وهي تصنف الصحفيَّ الاستقصائي وفق تعامله مع المعلومات مشبهين إياه بـ"الكلب" من حيث الوظيفة التي يؤديها، ويضم (وظيفة) كلب المراقبة، وكلب الحراسة، وكلب الإرشاد، والكلب الأليف، والكلب القائد:

1) **وظيفة المراقبة watching:** تعد هذه الوظيفة امتداداً لمفهوم السلطة الرابعة Fourth estate، أي أن الصحافة تسعى إلى أن تكون رقيباً على كل ما يدور في المجتمع من مدخلات ومخرجات بما في ذلك مراقبة المؤسسات الاجتماعية والسياسية النافذة في المجتمع، وهنا يوصف دور الصحافة بأنه مثلُ دور الحارس اليقظ الذي يعمل كحارس ورقيب ضد إساءات استخدام السلطة الرسمية، وكمراقب لمصالح المجتمع وحمايته من الفساد والانحراف، فالصحافة تعمل كرقيب للسلطة من خلال مراقبة المؤسسات والقضايا والأحداث والآراء، وتسليط الضوء على بعضها، وتقويم أداء الحكومة، وترويج مبدأ الحق في المعرفة، وحماية المجتمع من تسلط السلطة التنفيذية، وهذا الدور الواقي يتم بشكل أفضل بواسطة صحافة مستقلة تحكمها اهتماماتها ومعاييرها الخاصة، ما يجعل وظيفة الرقابة تعد من الوظائف التي يجب أن تقوم بها الصحافة الحرة نيابة عن المواطنين، انطلاقاً من أن الحكومات حتى وإن وصلت إلى الحكم عبر الطريق الديمقراطي فإنها قد تميل إلى الانفراد بصنع القرارات، وإلى حماية نفسها وأشخاصها، ومن هنا فإن هناك إمكانيةً كبيرة في جميع أنواع المجتمعات لإساءة استخدام السلطة، والصحافة تكمّل دور البرلمان في حماية المجتمع من ذلك.

2) **وظيفة الحراسة Guard dog:** وتعني هذه الوظيفة أن الصحافة تقوم بحراسةٍ فقط للمؤسسات النافذة في المجتمع، وتكون أشد الحرص على متابعة العناصر الطفيلية التي تدخل إلى المجتمع وتعكّر صفوه ونقاءَ العلاقة القائمة، لذلك تعد الحراسة بمثابة واحدة من الواجبات الرئيسية للصحفي حيث يمثل الصحفي حارس البوابة للبلاد، ويتطلب تحقيق ذلك، العملَ في العمق ونشرَ القصص التي تعتمد على البحث والتنقيب والمقابلات، ويتطلب من هؤلاء الصحفيين الاستقصائيين قدراً كبيراً من القدرة على طرح الأسئلة والتدريب عليها، وإمكانية الكشف عن المعلومات وكتابة القصص الأكثر تكاملية.

3) **وظيفة المرشد Guide dog:** وتعني هذه الوظيفة أن الصحافة تقوم بدور المرشد أو الدليل الذي يمد المواطنين بمجموعة من المعلومات عن السياسات، وصانعي السياسة، والتي يحتاجون إليها لصنع القرارات وتقييم مسؤوليهم.

4) **وظيفة الكلب الأليف أو الناقل lapdog dog:** وتعني هذه الوظيفة أن الصحافة ترتمي في حضن المؤسسات الاجتماعية والسياسية دون أن تكون أداة مستقلة، ودون إبداء أي مساءلة للسلطة، ودون الالتفات إلى الآراء والاتجاهات الأخرى في المجتمع بخاصة التي لا تتفق مع مصالح المؤسسات النافذة في المجتمع، فهي تكون بمثابة أداة ناقلة لما يريد النظام السياسي أن تعرفه الجماهير، وبالطريقة التي يريدونها من دون توجيه أي انتقادات للمؤسسات القائمة.

5) **وظيفة القائد lead dog:** وتعني هذه الوظيفة أن الصحافة تقوم بدور وضع الأجندة Agenda setting، للقضايا المطروحة على الساحة السياسية، حيث تعمل الصحافة كمصفاة لهذه الحلول وترتيبها حسب الأولويات والأهمية قبل تقديمها إلى الجمهور، كما تحث السياسيين على متابعة هذه القضايا نظراً لأهميتها في سياق الشأن العام، وبذلك تلعب دور الكلب القائد في الطريقة المحددة لإعطاء تغطية أكبر لإحدى القضايا أكثر من الأنواع الأخرى.

من هنا يوضح "سليمان صالح" أن الوظيفة الأساسية للصحافة المتمثلة في حماية المجتمع من الانحرافات والفساد، وتقديم حلول لمشكلات المجتمع، هي التي كانت وراء ظهور الصحافة الاستقصائية التي تعتمد بشكل أساسي على التحقيقات الصحفية، وهي تشكل جاذبية كبيرة للجمهور ومهمة للمجتمع، وهناك العديد من الأمثلة التي كانت الصحافة فيها سببًا من أسباب حماية المجتمعات لعل أشهرها عندما نشرت صحيفتا الواشنطن بوست والنيويورك تايمز عام 1971، أوراق البنتاغون حول الدور الأمريكي في فيتنام واكتشف الشعب الأمريكي المأساة هناك، والأعداد الحقيقية للقتلى، فقام بمظاهرات لوقف الحرب، وهذا الدور الذي أدته الصحافة الاستقصائية أخرج الولايات المتحدة من حرب كادت أن تصل بها إلى ما لا تُحمد عقباه.

وهنا يؤكد "هشام عطية" أن الفترة الماضية شهدت «هجمة على المنطقة العربية من خلال منظمات وهيئات ممولة دولياً تحت مسمى «تشجيع الصحافة الاستقصائية»، ومن دون الاعتراض على نبل الهدف المتمثل في تشجيع معالجة الشؤون العامة عربياً فالصحف التي تجري تحقيقاً يكشف عن جزء من فساد أو انحراف أو مشكلة يطلق عليه صحافة استقصائية ولا تحتاج إلى كل هذه "البروباغندا" الإعلامية، فهذا هو الدور الطبيعي للصحافة، وهي ليست مهمة مستحيلة بل هي ببساطة عبارة عن التعمق والتحري والبحث والاستقصاء في حدث أو قضية أو حادثة أو مشكلة للوصول إلى أسبابها ودوافعها وتقديم حلول لها، وغالباً ما تكون مرتبطة بقضايا الفساد والقصور في الأداء الوظيفي لجهة ما، وتتطلب وقتاً طويلاً لكشف الحقيقة

سابعاً: خصائص الصحافة الاستقصائية

ثمة معايير أساسية في صحافة الاستقصاء تتجلى في توثيق المعلومات، ومراعاة الدقة والوضوح مع احترام خصوصيات حياة المواطنين، واحترام الأديان والعقائد، وعدمِ إثارة النعرات العنصرية والكراهية، وتجنب نشر الصور الفاضحة والمفردات المبتذلة، وكذلك فصلُ الرأي عن المعلومة، وتوفيرُ حق الرد والحفاظ على مصادر المعلومات،



وبناءً عليه يمكن تحديد أهم خصائص الصحافة الاستقصائية ومبادئها فيما يلي:

1. تشمل تغطية القضايا المتعلقة بالخدمات العامة وفق أسلوب منهجي في التحقيق، وبحث وتغطية متعمقين على المدى الطويل.
2. تصميم ومثابرة للبحث عن المعلومات والحقائق وكشفها.
3. البحث الوثائقي واستخدام السجلات العامة، ومتابعة السجلات الورقية، واقتفاء أثر المستندات، فالصحافة الاستقصائية تستفيد لأقصى درجة من السجلات الموجودة، إضافة إلى الملاحظة واللقاءات الشخصية التي يقوم بإجرائها.
4. إجراء المقابلات على نطاق واسع.
5. استخدام أدوات وتقنيات حل الجريمة.
6. جمع المعلومات المتباينة لعرض قصة واحدة متماسكة عبر البحث عن قصة قابلة للتنفيذ وذات ملامح بارزة ومقبولة.
7. الكشف عن معلومات يرغب آخرون في إخفائها، فالصحفي الاستقصائي يسعى إلى الكشف عن المعلومات المهمة والتي تم إخفاؤها.
8. يُفترض في الجهة التي تسعى إلى إخفاء المعلومات أن تلتزم الموقف الدفاعي وألا تتعاون مع المحرر.
9. التغطية الإبداعية والموحية التي تضيف كثيراً إلى الرصيد العام والنقاش العام.
10. سلطة للمراقبة والرصد مع التركيز على مساءلة ومحاسبة الأفراد والمؤسسات التي تمارس السلطة ما يحقق الاضطلاع بدور الحارس الذي يحمي الناس من انتهاكات الموجودين في السلطة، ويركز على مسؤولية الأفراد والمؤسسات ذات التأثير.
11. الاهتمام بالدقة والمصداقية والعمق والأصالة في البحث.
12. الالتزام بالحياد والنزاهة، وعدم السعي إلى غرض معين.

ثامناً: عناصر الصحافة الاستقصائية

يذهب "جيمس أكوين" إلى أن **الصحافة الاستقصائية تتسم بخمسة عناصر مميزة لها** وهي:

1) الكشف عن المعلومات.
2) معلومات تتناول قضية تهم الرأي العام.
3) بعض الأشخاص أو المؤسسات لا تود إعداد تقارير عن تلك المعلومات.



4) الكشف عن هذه المعلومات من خلال عملية تنقيب تستغرق وقتاً طويلاً وجهداً أصلياً من جانب المحررين.
5) الكشف عن المعلومات بهدف الإيعاز بأفكار للإصلاح.

تاسعاً: مبادئ نجاح العمل الاستقصائي

أما "جلال الدين الحمامصي" فإنه يحدد مجموعة **خصائص يتوجب توافرها لنجاح التحقيق الصحفي** تنبع قوتها وتستمد استقرارها من واقع موضوعي وتطبيقي، ويمكن تلخيصها وفق التالي:

13. اختيار فكرة التحقيق الصحفي بما يناسب أهميته لدى الجمهور ويشغل ذهنه، فنجاح التحقيق ينطلق من مدى تجاوب الرأي العام مع موضوع التحقيق.
14. إن عنصر التوقيت أساسي في اختيار فكرة التحقيق، فالطرح المناسب في الوقت المناسب إضافة إلى إنجاز العمل ونشره في وقته المحدد عواملُ أساسية لإحداث رد فعل مناسب تجاه التحقيق الاستقصائي.
15. شرط التوازن عام لكل الأنواع الصحفية ولا ينفصل عن شرط الموضوعية الذي يجب أن يمتاز به الإعلام المعاصر، فالتوازن في معناه الأولي يفترض إتاحة المجال أمام أكثر من وجهة نظر متعارضة كي تقدم نفسها، والموقف الذي تستند إليه، ومعنى متعارضة يختلف بالتأكيد عن معنى متعددة، لأن الأول يعني الاختلاف في حين لا ينطوي التعدد بالضرورة على ذلك، فحينما نأخذ برأيين يوجهان اللوم لقصور جهة ما لا بد من أخذ رأي هذه الجهة التي قد يكون التقصير الموجه إليها ليس ذنبَها، وخارج نطاق عملها.
16. التناسب ويُعنى به تقدير الحجم المناسب لأجزاء التحقيق المختلفة سواء في (مقدَّمته أم تصديره أم مدخله) مقابل (صلبه أو متنه أو عرض أساسيته، وهو الجزء الأكبر من التحقيق) أو (خاتمته أو خلاصته).
17. كفاية المادة أو وفرتها معاً، ما يتيح للصحفي حرية كبيرة في عزل وحذف ما لا يراه ضرورياً للتضمين، وفي الاختيار الضروري للتحقيق، فالتعامل مع تحقيق بوقائع ناقصة يؤدي إلى فقدان الدقة والموضوعية والتوازن معاً، وعليه غياب عرض وجهات النظر جميعِها يُفقد التحقيق كل ما سبق، ويوصل إلى نتائج غير حقيقية لا تقنع الجمهور الذي يتلقى حالياً آلاف الرسائل ما يجعله خبيراً، ومن الصعب إقناعه دون وجه حق.

18. ينبغي أن يضيف التحقيق الناجح شيئاً جديداً للمتلقي ومعارفه، ويجعله قادراً على تصور المشكلة أو الحدث، بل يتعدى ذلك إلى تكوين فكرة جلية عن الموضوع، ما يمكّنه من اتخاذ موقف يطمئن إليه لكونه قائماً على الدراية التامة والأسس الموضوعية في قضية التحقيق.

19. الوصول إلى حلول عملية في نهاية التحقيق يعرضها الصحفي كعلاج لما تناوله بالبحث، فالحلول ترفع التحقيق من مجرد سرد للبيانات إلى استقصاء وبحث علمي مدروس، ومستقى من مصادر موثوقة.

من جهتها تحدد "فريال مهنا" **خصائص التحقيق الواجب مراعاتها لإنتاج هذا النوع الصحفي** من خلال:

1- التحقيق نوع إعلامي يتيح للمتلقي ما لا يتيحه له نوع آخر بمثل هذا الوضوح والتفصيل.

2- التحقيق لا يقتصر على تقدم الحدث في أثناء حركته الواقعية القائمة أو المنتهية، وإنما يستحضر أيضاً حركته المنتهية في ماضٍ قريب أو بعيد من خلال كلمات وصور ومشاهد ولقطات تبعث الحياة في أوصال الحدث.

3- ينقل التحقيق المتلقي إلى مسرح الحدث، ويوفر للمتلقي استقاء المعلومات من مصادرها الأولى.

4- التحقيق يتوغل في الرد على تساؤلات عدة أهمها (لماذا).

5- التحقيق يحيط بجميع جوانب الموضوع، ويشبعه شرحاً وتوضيحاً وتفسيراً.

6- التحقيق يحتضن الخبر والتقرير والتعليق والتحليل والمقابلة واللقاء.

7- آنية التحقيق مرتبطة بموضوعاته وأنواعه وطبيعته وظروف اختياره.

8- التحقيق يقع منفرداً شكلاً وجوهراً في المطبوع أو المتلفز.

9- التحقيق لا يكتفي فقط بتقديم الموضوع وشرحه وتفسيره بل يفتش أيضاً عن أدلة ملموسة وقرائن محسوسة، والبحث عن عناصر خفية لا تحيط بصورة واضحة بالحدث.

10- التحقيق لا يثمر إلا إذا كان محرره موضوعياً في معالجته للحدث.

11- يفقد التحقيق مبرراته إذا كان أحادي الجانب.

12- يتصدى التحقيق لقضايا ذات أهمية كبرى تقع في بؤرة الاهتمام العام.

13- يخوض التحقيق في جميع القضايا والموضوعات الحياتية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية والأدبية والفنية والتاريخية.

عاشراً:سمات الصحافة الاستقصائية ومستلزماتها

السمات:

اختصاراً **لقواعد الصحافة الاستقصائية** يحدد "محمد أبو حشيش" سمات التحقيق الاستقصائي ومرتكزاته، وفق التالي:

1. انتقاء الأخبار والانطلاق من خبر حقيقي قيّم بعيداً عن الخداع والأكاذيب والقصص المزعومة.
2. يتعين على الصحفي الاستقصائي أن تكون عيناه وأذناه مفتوحتين دوماً لالتقاط كل خبر وكل معلومة، ويجب عليه أن يستمع إلى كل ما يدور حوله، ولا يدع أي قصة تفلت منه.
3. جمع الحقائق المخفية ذات الصلة بموضوع الاستقصاء والتأكد من صحتها.
4. ربط الحقائق بعضَها ببعض، والتأكد من أنها تشكل معاً أمراً ذا قيمة ومعنى.
5. ضرورة التحقق من الوقائع والمعلومات والتأكد من صحتها، ويجب على الصحفي الاستقصائي أن يعلم أن تلقّي المساعدة في الصحافة الاستقصائية غير متوقع، لذلك يجب الابتعاد عن استخدام أي واقعة إلا بعد التأكد جيداً من صحتها ودقتها.
6. يتعين على الصحفي الاستقصائي الاعتماد على أدلة متعددة وملموسة في الوقت ذاته، وألا يقتصر على جمع الحقائق، بل يجب جمع الأدلة التي تدعم هذه الحقائق وتؤكدها.
7. يجب الحفاظ على سرية المصادر وحمايتها ما دام ذلك ممكناً.
8. لا يجب أن يقف الصحفي الاستقصائي صامتاً إذا ما تلقى تهديداً، حيث إن كثيرين من المعنيين بتقييد الصحافة الاستقصائية سيسعَون إلى وقف الصحفي الاستقصائي عن إنجاز مهمته، وقد يتلقى في هذا الصدد تهديدات عدة، ومن الضروري إبلاغ المؤسسة وتقاسم عبء القلق معها، إذ سيشكل ذلك حماية إضافية عدا عن إمكانية الإفادة من الشاهد على التهديدات في القصة عند إنجازها.
9. تعمل الصحافة الاستقصائية في إطار القانون وخلافاً لرجال الشرطة لا يمكن للصحفي الاستقصائي أن يستمع إلى مكالمات الآخرين أو أن يسجلها دون علمهم، ولا يمكنه دخول مبانٍ من دون موافقة مالكيها أو ضد رغبتهم، ويجب أن يعمل الصحفي الاستقصائي في حدود القانون، وأن يبتعد عن استخدام الأساليب غير الأخلاقية للحصول على معلومات.

المستلزمات:

إن تحقيق القواعد والسمات السابقة يحدد **مستلزمات خاصة تتطلب الصحافة الاستقصائية توافر عناصرها، لضمان نجاحها**، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

- مناخ سياسي ديمقراطي وحرية دستورية مكفولة.

- تحرر وتفهم المؤسسات من الخدمة الحزبية أو الفكرية البحتة.
- ترويض الرأي العام أو تدريبه على مثل هذا النوع من المعلومات.
- توفير ضمانات حق الحصول إلى المعلومات.
- بعد زمني غير منتظم حسب القضية أو الظاهرة قيد الكشف.
- قاعدة بيانات وأجندة علمية للعمل بهما على مستوى المؤسسة أولاً وعلى مستوى العمل الاستقصائي ثانياً.
- متابعة إيجابية من الحكومة ومراكز القرار.
- احترافية بالغة المستوى، وخبرة طويلة في مجال التخلص من إشكاليات القضاء.
- الاعتماد على النبض السياسي والاجتماعي والشؤون العامة فى بلورة القضية قيد الكتابة والتحرير.

احدى عشر: علاقة الصحافة الاستقصائية بالمناهج البحثية وأصول البحث العلمي



تؤكد الخصائص السابق ذكرها للصحافة الاستقصائية إصرارها الواجب على اتباع أسلوب منهجي في التحقيق، والبحث الوثائقي المتعمق بتصميم ومثابرة على المعلومات والحقائق بغية كشفها، وهذه أدوات المناهج البحثية نفسها، هي ما يوثق الارتباط الكبير بين الصحافة الاستقصائية والمناهج العملية وأصول البحث، ابتداءً من وضع الفرضيات، مروراً بتحليل البيانات ومعالجتها، وصولاً إلى استخلاص النتائج منها، ولهذا يتخذ التحقيق الصحفي الاستقصائي – وفق "جون أولمان" – من البحث العلمي منهجاً في التفكير، ويسير وفق طرق صحفية في التعبير، لكنه يأخذ الطابع البحثي من حيث البحث المستمر ل:

- التعرف على المشكلات والقضايا المطروحة في المجتمع، وتكوينُ الفروض والحلول المختلفة.

- والحصولُ على البيانات وتصنيفُها وتبويبها، واستخلاصُ النتائج على أن يتم في النهاية تحريرُ هذه النتائج تحريراً صحفياً، وهو ما يشير إلى أن المكلفين بإعداد المواد الصحفية الاستقصائية مثل التحقيقات الاستقصائية يجب أن يكونوا قادرين على التخطيط.

لقد انطلق استخدام أسلوب البحث العلمي في الصحافة الاستقصائية نظراً لتنبّه الصحفيين إلى مدى المنافسة التي أوجدتها وسائل الإعلام جديدة الظهور، وعليه يقول "بيل كوفاتش، وتوم روزنشيتل": أخذ الصحفيون يبحثون عن طرق كي يظل التحقيق الصحفي واضحاً ومتجرداً من أحكامه المسبّقة غير المنطقية في رصد الأخبار وفهمها وتقديمها، بينما كانت الطريقة التي يمارس من خلالها الصحفيون مهماتهم تقوم على صحفيين شهود بالمصادفة غيرِ مدربين، ومن هنا جاءت الحاجة إلى أهمية اكتساب الصحفيين الروح العلمية التي تشير إلى الوحدة في الطريقة، والوحدة في التجربة المنظمة.

وبناءً على ما سبق يلاحَظ أن للصحافة بحوثَها، وأن الصحفي يستخدم مناهجَ البحث وأدواته في خطواته العلمية، فلا يستطيع أن يُخرج للقراء تحقيقاً إلا إذا حدَّد منذ البداية فكرته والمشكلةَ التي سيناقشها، وصاغ الفروض، ووضع التساؤلات ليجيب عنها في تحقيقه، وبالتالي أخذ يجمع المعلومات حول هذه الفكرة، ثم يصنفها، ثم يتتبع نتائجها ومسبباتها، ويدرس العلاقة بين المعلومات والترابط بينها، ومن ثم يخلص إلى معلومات دقيقة غير قابلة للشك، وقابلة للتأكيد واختبار المصداقية والثبات لها، ثم يضعها في قالب صحفي مناسب ليعرضها للجمهور، فالصحفي لا يحضر ورقة وقلماً ويعمل خطة منهجية للتحقيق المراد عمله، لكنه يعمل ذلك في ذهنه وفكره، وفي جميع خطوات مراحل إعداد هذا التحقيق فالصحافة الاستقصائية مثلُ أي شكل آخر من أشكال العمل الصحفي تتطلب البحث، لكنها تختلف عنه في أنها تحتاج إلى الدخول في العمق لكون القضية المتداولة على قدر كبير من الأهمية للجمهور، وقد تستغرق وقتاً طويلاً في جمع المعلومات، وجهداً كبيراً في استغلالها.

اثنى عشر: جوانب إفادة الصحافة الاستقصائية من مناهج البحث العلمي

عند الحديث عن علاقة التقصي الصحفي باستخدام المناهج البحثية لا بد من التنويه إلى أن **الإفادة الصحفية من مناهج البحث في العلوم الاجتماعية تُقسم حسب** "**محمود علم الدين**" **إلى مستويين** هما:

المستوى الأول: يتحدد بالإفادة من الخطوات المنهجية للبحث العلمي في التصدي لموضوع معين، وهي عبارة عن مجموعة من المراحل التي تتميز بالتسلسل والتتابع من ناحية، وبالتداخل والترابط من ناحية أخرى

وتتضمن: الإحساسَ بالمشكلة، ودراسةَ المشكلة، وفرضَ الفروض، ووضعَ مجموعة من التساؤلات، وتحديدَ نوع البحث، وتحديدَ طرائق جمع البيانات وتصميمها، والمعالجة الإحصائية للمشكلة، وجمعَ البيانات وفقاً للطرائق التي تم تصميمها لهذه العملية، والمعالجة الإحصائية للبيانات التي تم جمعها، واستخدامَ النتائج المحددة التي انتهت إليها الدراسة، والتعميمَ، والتنبؤ.

المستوى الثاني: الإفادة من أهم سمات المنهج العلمي في جمع المادة أو البيانات الصحفية، وتصنيفها وتحليلها والوصول إلى خلاصات من أهمها: (التعميم والقياس، والثبات والصدق في القياس، والنظرية، وفرضُ الفروض، واختبارها، والاستنتاج السببي).

الخطوات المنهجية للبحث العلمي:

يطرح كل من "علم الدين وليلى عبد المجيد" في كتابهما "فن التحرير الصحفي" **الخطوات المنهجية للبحث العلمي التي تستفيد منها الصحافة الاستقصائية** على النحو الآتي:

1. الإحساس بالمشكلة: من خلال الملاحظة المتعمقة، والتجربة وكثرة الاطلاع بغرض التعرف على وجهات النظر المختلفة، والنظرة الناقدة لها.
2. دراسة المشكلة وتحليلها وصياغتها.
3. فرض الفروض أو وضع مجموعة من التساؤلات التي يسعى البحث إلى الإجابة عنها.
4. تحديد طرق جمع البيانات وتصميمها، وهنا يُذكر أنه يمكن الاعتماد في جمع المادة الصحفية عبر بوابة تقنيات وأساليب البحث العلمي الاجتماعي ضمن أربعة مجالات هي:

- الملاحظة بالمشاركة: وتعتمد على تنكر المحررين للحصول على معلومات وبيانات من الصعب الحصول عليها بشكل طبيعي، وتساعد هذه التقنية في رسم صورة دقيقة للمجال الذي يقوم الصحفي بملاحظته، ما يسمح له بتسجيل ما يلاحظه، وقيامه بما يهم الجمهور، وبقدر ما يجمع من معلومات من هذه الملاحظات بقدر ما يهتم الجمهور بتتبع هذا الموضوع.
- التجربة الميدانية: وتعتمد على التصميم التجريبي الذي يرتكز على توجيهٍ متغير مستقل وملاحظةِ تأثيره على متغيرٍ تابع، وفيه نمطان من التجارب التي تفيد المحرر الصحفي في عمله.
- تيار الدراسة المنظَّمة للوثائق: وتعتمد أداةَ تحليل المضمون كأداة منظّمة للوثائق.
- استقصاءات الرأي الصحفي العام: وتُستعمل بشكل متسع فيما يُعرف بحديث "رجل الشارع"، وهو تقليد صحفي قديم يُستعمل عندما تنفجر قصة صحفية مهمة، فتوجَّه أسئلة لعدد من

الناس، وعلى الصحفي القيام بخطوات عدة لتحقيق هذه التقنية مع مراعاة الإجابة عن مجموعة من الأسئلة في تغطيته للاستقصاء.

5. المعالجة الإحصائية للمشكلة: وتتحقق من خلال تفسير وعرض المشكلة في شكل إحصائي يسهل معه اختيار العينات، وتفسيرُ نتائجها للوصول إلى الاستنتاج العلمي السليم.
6. جمع البيانات وفقاً للطرق التي تم تصميمها لهذه العملية.
7. المعالجة الإحصائية للبيانات التي تم جمعها.
8. استخدام النتائج المحددة التي انتهت إليها الدراسة والتفسير المنطقي لها لاختبار صحة الفروض أو للإجابة عن التساؤلات التي طرحها البحث.
9. تعميم النتائج التي تم التوصل إليها من دراسته الخاصة على المجتمع الأصلي.
10. التنبؤ: ويعني استخدامَ الفروض والنتائج التي ثَبَتت صحتها للتنبؤ بأحداث معينة في مواقف جديدة، بحيث يساعد ذلك على مواجهة المشكلات الجديدة قبل حدوثها.

ثلاثة عشر: المراحل المشتركة بين الصحافة الاستقصائية والبحث العلمي

يوضح "فيليب ماير" أن الصحفي **يتشارك مع الباحث العلمي في بعض المراحل** من دون أن يعلم ذلك، وهذه الخصائص تتحدد عبر الخطوات التالية:

- **التشكيك:** بمعنى أن الصحفي يُخضع أي شيء للملاحظة والتدقيق للتأكد منه، وعليه يقول "ماير": "إذا أمك قالت لك إنها تحبك دقق في ذلك!! **(If Your mother says she loves you, check it out)**
- **المطابقة:** بمعنى أن الصحفي يوثق بحثه عن الحقيقة بالمعلومات والوثائق بحيث إذا تتبع المحققون والعلماء الخطوات فإنهم يتوصلون إلى النتائج نفسها.
- **غريزة التفعيل:** بمعنى نظرة الصحفي إلى الأشياء من باب أنها حالة للدراسة يمكن ملاحظتها والتحقيقُ فيها.
- **التحقق:** بمعنى إمكانية التأكد من تحقق هذا الحكم أو الظاهرة على موضوع الدراسة، وإمكانية الوصول إلى أرقام نسبية.
- **البساطة:** بمعنى اختيار الصحفي لأبسط الطرق وأيسرها للوصول إلى الحقائق، والحلول للمشكلات والظواهر التي يناقشها.

أربع عشر: أسباب استخدام البحث العلمي في الصحافة الاستقصائية

يمكن تلخيص **أهم العوامل التي دفعت إلى استخدام أسلوب البحث العلمي في الصحافة الاستقصائية،** وبخاصة التحقيق الصحفي الاستقصائي حسب ما أورده "محمد أبو حشيش":

1. منافسة وسائل الاتصال الإلكترونية والمطبوعة للصحف: مع زيادة حجم المنافسة بين وسائل الإعلام المختلفة، ودخول المجلات هذا المجال بعدما أصبحت أكثر تخصصاً وعمقاً وتحليلاً وتفسيراً للمواد الصحفية إلى جانب تغير عادات الجمهور وزيادة نسبة ثقافته ووعيه، بدأ الاتجاه لما يُعرف بصحافة العمق التي تتجلى سماتها بالتفسير والاستقصاء والتحري في عمل أشبه ما يكون بالدراسة العلمية.
2. الأخطاء والمعالجات الصحفية اليومية: وبالتالي أهمية دراسة مناهج البحث العلمي، ومن أبرز هذه الأخطاء:

- **(التعميم):** بأن ما حدث في مكان ما أو واقعة معينة يمثل جميع الاتجاهات، في الوقت الذي تكون فيه العينة التي تم تعميمها تمثل تجربة ذاتية.
- **إساءة استخدام كلمة (عشوائية): والتي** لا يعي كثير من الصحفيين أنها تحمل معنىً علمياً، وليست مجرد استقصاءات عن ردود أفعال بعض الجماهير تجاه حدث معين، ثم إعلان النتائج على أنها عملية مسح للجمهور من خلال عينة (عشوائية).
- **إجراء استقصاءات رجل الشارع:** عبر اختيار عينة على أسس غير ممثَّلة علمياً، وتوجَّه لها أسئلة حول بعض الموضوعات، ثم تُنشر في شكل موضوع صحفي لا يزود الجمهور بمعلومات كمية، ولا يذكر فيه الصحفي عددَ الناس الذين قابلهم، وقد يذكر حجم العينة ونسبةَ الموافقة أو عدمَها، ولكنها لا تكون ممثَّلة علمياً.
- **الوصول إلى استنتاجات سببية غير صحيحة في الموضوعات التفسيرية والاستقصائية:** ما يؤدي بها إلى استنتاجات لأحكام وبيانات من دون أي سندات علمية صحيحة، معتمدة فقط على ملاحظات بعض الأشخاص، أو من خلال المقارنة بموقف سابق، أو لإقناع رئيس التحرير أو المحرر بهذا السبب.
- **الافتراض السببي:** يَفترض المحرر الصحفي أنه بسبب شيءٍ ما سبق الحدث، فإن هذا الشيء هو سبب الحدث، وبالتالي يفسر الحدث بالمتغير الذي سبقه مع إهمال المتغيرات الأخرى.

يتبين مما سبق أن الدعوة للإفادة من البحث العلمي كطريقة منهجية جاءت بسبب الحاجة إلى طريقة علمية سليمة للتفكير وجمع البيانات والمعلومات، وهي ما يتيحها الإلمامُ الجيد بأدوات البحث العلمي، والقدرة على

توظيفها لصالح الصحافة الاستقصائية، وهذا سينعكس على الأشكال الصحفية الاستقصائية، وفي مقدَّمتها التحقيق الصحفي الاستقصائي.

التمارين

اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

1. تنطلق أهمية التحقيق الاستقصائي من:

A. المقام الذي يحتله في وسائل الإعلام.
B. مكانته عند الجمهور.
C. من الوظيفة التي يؤديها في المجتمع.
D. موقعه في الأنظمة الديمقراطية.

الإجابة الصحيحة: C. من الوظيفة التي يؤديها في المجتمع.

2. يضطلع التحقيق في المدرسة التقليدية بوظيفة:

A. محاربة الفساد.
B. كشف المستور.
C. التوسط للناس في حل مشكلاتها مع المسؤولين.
D. التثقيف والتوجيه والإرشاد والترفيه.

الإجابة الصحيحة: D. التثقيف والتوجيه والإرشاد والترفيه.

3. لقب الوحش في التحقيق الاستقصائي يعني:

A. عدد المسؤولين الذين سيطالهم التحقيق.
B. عدد الضحايا المتأثرين بالتحقيق.
C. الكلفة المادية للتحقيق.
D. اسم الصحفي الاستقصائي الذي سيجري التحقيق.
E. كل ما ذكر صحيح.

الإجابة الصحيحة: B . عدد الضحايا المتأثرين بالتحقيق.

الوحدة التعليمية الرابعة

مهارات ممارسة الصحافة الاستقصائية والتحديات التي تواجهها

الأهداف التعليمية:

بعد دراسة هذه الوحدة التعليمية يجب على الطالب أن يكون قادراً على أن:

- يشرح المهارات الأساسية الواجب على الصحفي الاستقصائي التحلي بها
- يعدّد المهارات الأساسية للصحافي الاستقصائي
- يشرح مداخل المهارات التي تلزم العمل الاستقصائي
- يعدّد خصائص الصحفي الاستقصائي حسب مركز المشروعات الدولية
- يشرح المجالات المثمرة للصحافة الاستقصائية
- يشرح خصائص الفكرة الجيدة للتقصي
- يعدّد التحديات والعقبات التي تواجه الصحافة الاستقصائية
- يعدّد العقبات التي تواجه الصحافي الاستقصائي
- يعدّد الأوضاع المناسبة للعمل الاستقصائي
- يشرح خلاصة التحديات الاستقصائية

النقاط البحثية للوحدة:

- المهارات الأساسية الواجب على الصحفي الاستقصائي التحلي بها:
  - أولاً: المؤهلات والمواصفات الذاتية (الشخصية).
  - ثانياً: المهارات الصحافية الخاصة بالعمل المهني.
  - ثالثاً: المتطلبات الأخلاقية.
- المجالات المثمرة للصحافة الاستقصائية.
- التحديات والعقبات التي تواجه الصحافة الاستقصائية.
- حدود الصحافة الاستقصائية.

الكلمات المفتاحية للوحدة:

مهارات الصحفي الاستقصائي – المؤهلات الذاتية للاستقصائي – المهارات المهنية للاستقصائي – المتطلبات الأخلاقية للاستقصائي – مجالات التقصي – تحديات التقصي وعقباته – حدود الصحافة الاستقصائية.

أولاً: المهارات الأساسية الواجب على الصحفي الاستقصائي التحلي بها

يتطلب الاستقصاء مهارات محددة لكنها ليست سحرية، بل أساسية تتطلب المهارة الإبداعية والفطنة والمحاكاة والتحليل العملي، ومن هنا يشبّه البعض المهارات المطلوبةَ من الصحفي الاستقصائي بمهارات رجل الشرطة، وليس المقصود بالتشبيه الناحية الأمنية بل مقدرة المحقق القضائي على إثبات الحادثة، لكنه هنا يؤدي كل **الأدوار مجتمعة:** (دور المدعي العام، ومحامي الدفاع، والنيابة العامة، والقاضي، والشهود بنفسه) فهو المنقّب والمكتشِف للموضوع، وهو المثبِت والحاكم فيه.

قد يعتقد بعض الصحفيين أن عملهم كمخبر أفضل من التقصي، ولا يسبب لهم دواراً مزمناً، وربما يكون عملهم في تلك الدائرة منطلقاً لبناء أساسهم المهني، والبعض يعتقد أنه أسهل، لكن حسب تصريح "هنتر" للشبكة الاستقصائية الدولية: "من الناحية النظرية يمكن لأي كان – ولأي صحفي- أن يكون صحفياً استقصائياً، إلا أنه من خلال تجربتي الأكاديمية في تدريس مادة الصحافة الاستقصائية لاحظت أنه يجب أن يكون هناك حد أدنى من الموهبة، والرغبة لدى الشخص في الاستقصاء عن موضوع ما، ولاسيما أن بعض الأشخاص لا يريدون معرفة واكتشافَ ما لا يريد الآخرون الإفصاح به، بينما تتلّخص الصحافة الاستقصائية بما سبق، أي بمعرفة ما لا يريد الآخرون الإفصاح به، إما لأنهم لا يجدونه هاماً، أو لأنه سر".

إن الصحفيين المحققين لا بد أن يأخذهم "**الهوس**" بعملهم إلى درجة يبدون فيها وكأن ليس لديهم وقتٌ لأي شيء آخر، وهذه الخاصية المكتسبة لمن يدخل دوائر الاستقصاء تنشأ مع تذوق شهد نجاحه، عندما يستطيع استقصاؤه خدمة الناس، وربما إنقاذ أرواحهم، وعلى الرغم من أن الحالة الذهنية ليست دائمة، وتنتهي بانتهاء تحقيق معين، لكن الالتزام الشخصي أحد متطلبات التحقيق الاستقصائي، ومن دون هذا الالتزام لن تُستكمل القصة، بينما يرى "شون .ت . شيفر" من مركز المشروعات الدولية الخاصة للوكالة الأمريكية للتنمية أن إجراء التحريات لإعداد التحقيقات الصحفية يتلخص في توفر **مهارتين أساسيتين** هما:

- "**الإعداد الجيد وحرفية الصياغة.**
- **عنصر الوقت**".

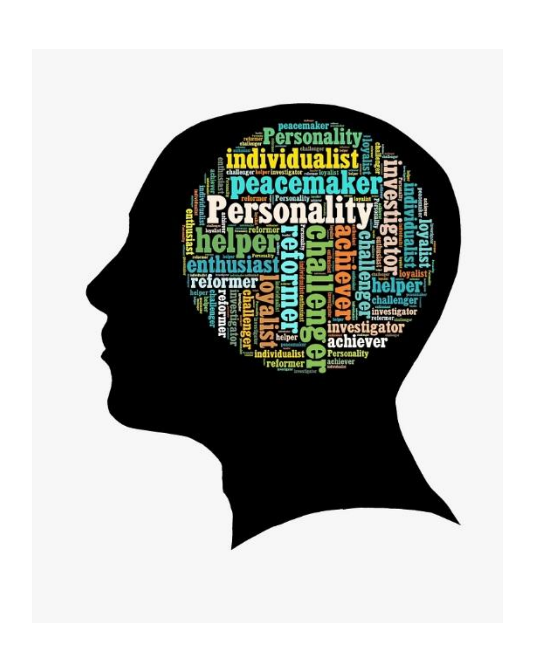
ثانياً: المهارات الأساسية للصحافي الاستقصائي

يعد "صحفي التحقيقات الاستقصائية" من لقبه صاحب ثلاث مهارات فهو:

- **صحفي:** يمتلك موهبة البحث عن قصص جديدة تثير اهتمام الرأي العام، والتعبير عن الذات والمجتمع المنتمي إليه، وعن الإنسان أينما كان.
- **محقق:** أي يشرح القضايا والشؤون ويحللها ويتوسع في تفاصيلها وخلفياتها.
- **استقصائي:** أي يتخطى معايير المهنة والشرح والتفاصيل والخلفيات ليكتشف حقائق جديدة يطرحها أمام الرأي العام والقضاء، للمساءلة والمتابعة والحكم النهائي عليها، ولأن هذه المهمة دقيقة وحساسة وذات آثار كبرى في حياة الناس، فلا بد من أن يتمتع صاحبها بمواصفات مميزة تعطيه القدرة على الاستحضار والغوص في غمار ما لا يستطيعه الصحفي العادي، ومن هذه المواصفات يمكن تفريع ثلاثة مداخل تتعلق (**بالمواصفات الشخصية للصحفي**، و**المهارات الخاصة بالعمل المهني**، إضافة **إلى المتطلبات الأخلاقية**).

ثالثاً: مداخل المهارات التي تلزم العمل الاستقصائي

المؤهلات والمواصفات الذاتية (الشخصية):



- المثابرة والعزم والإصرار لمواجهة الكثير مما سيحاول إعاقة عمله، وهذه القدرة على المثابرة في إنجاز العمل لن تترك مجالاً للتراجع والانكفاء أو التعب.
- الصبر، فالجهد الاستقصائي مضنٍ وطويل وحلقاته تبدأ مع بداية التحقيق وقد لا تنتهي مع نهايته.
- تجاوز الضغوطات أو التحديات الذاتية، إضافة لتلك المتأتية من محيطه، فثمن تجاوز خطوط الخط الأحمر غالٍ، وعليه أن يدفعه، كما عليه أن يترفع عن الإغراءات التي تُقدم له.
- المقدرة الذاتية في التغلب على الخوف عند قيامه بالعمل الاستقصائي، لأن التحقيق الاستقصائي يزعج مصالح النافذين من سياسيين واقتصاديين وفعاليات اجتماعية، ولأنه مع الخوف يُخشى أن يلجأ الصحفي إلى أسلوب التورية لإخفاء أو تجنب عرض بعض الحقائق.
- لا يُغرق نفسه بالرقابة الذاتية ليتفادى المواجهة مع النافذين أو قوى المؤسسات المدانة في التحقيق.
- المعرفة باللغة الإنجليزية، وتعد من الأمور الأساسيّة التي يجب على الصحفي أخذها بعين الاعتبار للحصول على هوية عالمية في مجال الصحافة، فليس بالضرورة أن يكتب الصحفي باللغة الإنجليزية، لكن على الأقل يجب أن يكون قادراً على فهم اللغة وقراءتها.
- اكتساب دراية جيدة في مجال تكنولوجيا الحاسوب، لوقع أثرها على جمع المصادر وأمن المعلومات.

المهارات الصحفية الخاصة بالعمل المهني:



1. الفضول المهني هي أولى مهارات التقصي العملية، فالاستقصائي لا يزال يتساءل عما حدث، ويتعجب لماذا حدث ذلك، ثم من المسؤول عن ذلك (المتسبب)، فما كلفة ما حدث مادياً أو معنوياً؟ وربما ماذا سيحدث في المستقبل؟ وكيف يُفترض أن يتم العمل (نظرياً)؟ وكيف تم العمل (فعلياً)؟

2. التفكير بطريقة منهجية وبأسلوب خلاق يسهم في توثيق جميع البيانات والأرقام المتحصَّل عليها.

3. على الصحفي الاستقصائي أن يكون ذا حس مرهف، لمّاحاً ودقيق الملاحظة، قادراً على تقبل معلومات غير متوقعة أو حقائق تناقض فرضية التحقيق مثار البحث، فدقة الملاحظة والحكم تساعد الصحافي التأكد من صحة الأحكام التي يطلقها والمواقف التي ينشرها.

4. يعمل الصحفي الاستقصائي بعقل منفتح لأنه يسعى للوصول إلى الحقيقة والدقّة ولا يريد أن ينقض المتسبِّب الخلاصة التي توصل إليها.

5. على الصحفي الاستقصائي أن يتمتع بملَكة الاهتمام بالتفاصيل، وأن يلتزم الحذر والتكتم لأن سمعة الآخرين بين يديه، وهذه أمانة تتطلب قدراً عالياً من المسؤولية.

6. غريزة الشك بطريقة منهجية بعيدة عن السخرية التي تشكك أو تحط من قدر الآخر وتزدري مؤهلاته وكفاءته، لأن الشك على نحو صحي روح وجوهر الإطار الفكري للصحفي الاستقصائي.

7. القدرة على العمل المنظم انطلاقاً من التحضير للعمل وانتهاء بتحليل النتائج، مروراً بتنظيم المعلومات بطريقة واضحة بغية تسهيل الوصول إليها عند الحاجة، والإسهام في فهم الصورة بشكلها الأشمل ما يوجب على الصحفيين أن يكونوا منظمين في إدارة التحقيقات، والاحتفاظ بسجلات المقابلات والمصادر كافة.

8. تنويع قدرة الوصول إلى مصادر الحصول على المعلومات، فالمصادر هي الوسيلة لبلوغ الهدف، ما يوجب التحقق من المعلومات المجموعة، ومقارنة المصادر، وبناء قاعدة بيانات خاصة إلى جانب القدرة الهائلة على اقتفاء "مصادر المستندات"، وهنا يتوجب على الصحفيين الاستقصائيين أن يكونوا ضليعين في وسائل البحث عن المعلومات على الإنترنت، ولا ضير أن يعرفوا بعض الخدع للحصول على معلومات سرية من مصادر ترفض الكشف عنها، فما يميز الاستقصائي قدرته في الحصول على المعلومات، والكشف عن القصص التي قد تشكل موضوعات مناقشة مهمة ومتابعة.

9. إن حسن التعامل مع المصادر يعزز المقدرة على كسب ثقة الآخرين والتواصل معهم، وإجراء الحوارات، وإقناعِهم بالتعاون معه لإنجاز التحقيق.

10. العمل بطريقة معمّقة ومتكاملة، فالصحفي الاستقصائي يهدف إلى أن يكون عمله قد استنفد كل أوجه القصة أو معظمها قبل أن يقرر بأن معلومة معينة هي صادقة وحقيقية ودقيقة.

11. الوقت أكسير التحقيق، وعبره تتبلور الأفكار، وتتطور بطريقة تمكّن الصحفي الاستقصائي من نسج خيوط موضوعه عبر ربط الوقائع والأحداث والحقائق بطريقة تُنتج قصة استقصائية واقعية وحية، ويتحول الصحفي الاستقصائي بذلك إلى حامي ضمير الرأي العام.

12. المعرفة المتشبعة والعميقة بموضوع التقصي ومجاله، وهذا يتحقق من خلال امتلاك الصحفي ثقافة عامة عريضة تتيح له فهم الظروف العامة لبلد التقصي، وفهم أبرز معطيات ومهمات المرحلة، والفهم العميق للمجال المحدد الذي يعمل فيه، والاستعداد والتحضير الجيدين لموضوع التحقيق، وغالباً ما يكون الصحفيون الاستقصائيون ذوو الخبرات قادرين على الوصول إلى المعلومات الخفية أو السرية، فمعظمهم ضليعون في الأمور المالية المعقدة، لأن المال عادة سبب كل مشكلة.

13. القدرة على التحليل، فالبحث والتنقيب المرحلة الأولى قد تضيع جهودها هباءً إذا لم يكن الاستقصائي يملك القدرة على تحليل النتائج والتقييم والاستنتاج، ما يوسم الاستقصائيين بالأكثر مهارةً، وغالباً ما يبرعون في حل الأحاجي، ويدركون كيف يستفيدون من معلومة قد تبدو مبهمة.

14. الميل الفطري إلى كشف الفساد، فالكثيرون يعتقدون أن الصحافة الاستقصائية تركز على كشف الأخطاء التي تُرتكب على مستوى المراكز العليا، لكن ذلك ليس صحيحاً في جميع الحالات، فأحياناً يهدف هذا النوع من الصحافة إلى تفسير آلية عمل بعض الأنظمة كسوء تنفيذ تشريع معقّد على سبيل المثال، ويبقى الواقع الأكثر عمقاً يستهدف الفساد الحكومي الذي هو جزء أساسي من أداء الصحفيين لدور "المراقبين" في المجتمعات الديمقراطية، ولأن الصحافة الاستقصائية تتناول الكشف عن أعمال إجرامية فهي مشحونة بالمخاطر التي تتراوح بين الأذى الجسدي والتهديد، والمضايقات والدعاوى القضائية عالية التكاليف حتى أن بعض المراسلين طُردوا من وظائفهم لكونهم شديدي الحماس وكثيري الشكوك، أو لتأثرهم عاطفياً بالقصة التي يتولونها، أو ربما لتطرقهم إلى مواضيع مقدسة أو محرمة لا يريدهم رب العمل أن يقتربوا منها، أو حتى لكونهم مخطئين بكل بساطة.

15. قدرة الصحفي الاستقصائي على تجاوز الغاية الإخبارية إلى البحث عن الحقيقة، فالمحقق الصحفي يتجاوز الغاية الأولية لعمل المراسل أو "الريبورتر" التي هي نقل الخبر ليصل إلى غاية أسمى تتجلى في الالتزام بحق القارئ في الحصول على الحقيقة الكاملة بكل شفافية ودون خوف أو تجاهل، أو تعصب أو مراوغة أو "تمييع"، فإن وجد عيباً في مكان ما أو شخص ما أو مسؤول ما، أو مخالفة في عمل ما، أو خدمة ما، وإن وقع على مستندات، أو وثائق اتهامية، أو محرّفة، أو مسيئة إلى المواطن أو الإنسان يجدر به أن ينقل ذلك بصراحة ووضوح ودقة، ودون مواربة إلى الجمهور.

16. التعامل مع الأرقام والحساب، فعلى الرغم من أنه لا أحد يمكن أن يتصور دخوله عالم الصحافة كي يؤدي إجراءات حسابية إلا أن ذلك لا يعفي الصحفي الاستقصائي من أن تكون لديه المهارات

الأساسية لذلك، كأن يقوم بإعداد تحقيق عن نسب البطالة والناتج القومي والموازنة العامة وفرص العمل والسكان، وتكاليف الحياة، والبورصة، وجميعها موضوعات تتطلب الإلمام بعلم الحساب، وعملياته البسيطة، كالجمع والطرح والضرب والقسمة وحساب النسبة المئوية، أو البحث عن الرقم المجهول، وأحياناً ما يكون غياب تلك المهارة بمثابة القشة التي تقصم ظهر البعير، لأن القاعدة الأساسية توجب تأكد كل صحفي بنفسه من كل رقم (كما يتأكد عن صحة كل كلمة ومصدر وواقعة).

17. إيمان العمل بروح الجماعة، فالتحقيق الاستقصائي يمثل نتيجة جهد جماعي يتمثل في خلاصة الإبداع بمجالات التقصي وجمع البيانات والإثباتات والقرائن والحوار، إضافة إلى التصوير والإخراج والتحرير والتخطيط ما يفرض سيادة العمل الجماعي وروح الفريق في إعداده على أن يترك لكل فرد متداخل في العمل حرية الإبداع ضمن الإطار العام لموضوع التحقيق وأهدافه وحدوده.

18. إتقان مهارات تحرير جميع الأنواع الصحفية والأسلوبية التي تضع المضمون القيّم ضمن الشكل القيّم.

19. أخذ المبادرة وترك المكتب والتحدث إلى المعنيين شخصياً، فمن المهم أن يمتلك الاستقصائيون حس إجراء المقابلات مع الأشخاص المعنيين، وإجراء الحوارت الصحفية، وحسن الاستماع للآخرين، وألا يعتمدوا على شبكة الإنترنت، والبريد الإلكتروني من دون لقاء الأشخاص بدلاً من ذلك.

20. يُلزم التحقيق الاستقصائي صاحبه بالسير في "حقول من الألغام" بسبب ملاحقته قضايا معظم أبطالها من الفاسدين والمفسدين والمتلاعبين بالعقول والأقدار، لذلك لا بد من التسلح بمعرفة قانونية أو استشارات قانونية ملائمة قبل الإقدام على أي تصرف استقصائي أو نشر للحقائق، فخطر وقوع الصحفي في استنتاج غير سليم أو التصريح بوقائع غير ثابتة، أو نشر معلومة مشبوهة المصدر قد يودي به إلى مزالق غير محمودة العواقب، فلا بد له من التحوط واليقظة ما يُلزم الصحفي الاستقصائي بضرورة التدريب القانوني، وتعلم كيفية تطبيق منهجية التحقيق القائم على فرضية، والتأكد من أن قصته مبنية على وقائع ومصادر موثوقة، وبذلك سيتمكن من تحليل الافتراضات بشكلٍ أفضل، واستخلاص النتائج من مختلف الحجج، وهذا كله يتأتى عبر فهم القوانين بعمق، ومن بينها قانون القذف والتشهير، وكيفية سير العمل في ظل النظام البيروقراطي.

المتطلبات الأخلاقية:

1. الشفافية: التي تعني تقديم المعلومات والوقائع والأرقام والإحصاءات والخلفيات بكل أمانة ووضوح، وفي أي وقت لجميع الناس والأفراد، فالمحقق الصحفي في بحثه عن الحقيقة لا يتردد في وضع كل ما يتوافر له من اكتشافات في متناول الرأي العام، أي وضع المعلومات التي حصل عليها،



2. وكذلك الوقائع التي عايشها والتحركات والتصرفات والإيحاءات والاتهامات والوثائق والمستندات في تصرف القارئ المتابع لتحقيقه الاستقصائي، فكون المحقق الصحفي أحد العاملين في "السلطة الرابعة" المستمدة قوتَها وحقوقَ تصرفها وكتابتها من الرأي العام الذي تعكس الصحافة صوته ورأيه، لذلك هو غير مسؤول إلا أمام الضمير المهني، وضمائر الناس الذين يقرؤونه، ما يعني التزامه الشفافية المطلقة، والخدمة المجانية للحقيقة، والأخلاقيات الإعلامية المتعارف عليها دولياً.
3. العدل: يأخذ بعين الاعتبار جميع الآراء والشهادات ويختار منها الصحيح والسليم.
4. التوازن: لأن المعلومة انعكاس لوجهات نظر عدة، فعلى الصحفي الاستقصائي احترام التوازن مع الأشخاص، كما مع المؤسسات المعنية بالحدث أو الموضوع.
5. النزاهة: عليه أن يعتمد مبدأ النزاهة والكمال بعدم توجيه النتائج وتجزيئها، وألا يكون ثرثاراً وبخاصة في بداية التحقيق، كما ليس عليه الإعلان عن نقاط التحقيق المركزية بل واجبه اعتماد مبدأ الكتمان.
6. الحياد: أن يكون محايداً فلا يؤيد أو يهاجم أي رأي أو موقف يراه قريباً إلى آرائه أو متعارضاً معها.
7. الموضوعية: أن يكون موضوعياً لأن في غياب الموضوعية لا وجود للحقائق، ومن دون حقائق لا وجود لتحقيق استقصائي.
8. الابتعاد عن الذاتية: التي تعد عدوة الموضوعية فأغلبية الصحفيين يشركون أنفسهم في القضية عبر ضمير المتكلم الشخصي أو الإكثار من (نون) الجماعة الدالة على الفاعلين.(مجتمعنا.رأينا) إلخ.
9. كتمان الأسرار: على الصحفيين الاستقصائيين أن يحافظوا على الأسرار كي يحموا مصادرهم، فغالباً ما يواجهون المخاطر من جراء الكشف عن معلوماتهم، لذا يجب أن يمكّنوا هذه المصادر من منحهم الثقة.
10. الالتزام والثقة: فالصحافة الاستقصائية الناجحة تتطلب قدراً كبيراً من الالتزام والثقة داخل المؤسسة الصحفية وخارجها، بين الصحافي ومصادر الأنباء، وبين المراسلين في فريق التحقيق والمحرر، وبين المحرر وصاحب المؤسسة الذي يدفع الأجور وهو المستوى الأعلى من المؤسسة

الصحفية، أي على مستوى الناشر أو صاحب الوكالة، وهنا يكمن المصير النهائي للصحافة الاستقصائية، ولاسيما أن هذا النوع الصحفي مكلف جدا، إذ قد يمتد تحقيق واحد مدة أشهر من دون نتيجة مضمونة.

11. اكتساب ثقة القراء: أن يعرف أن التحدي الكبير الذي يواجهه هو "اكتساب ثقة القراء" أولاً عبر تقديم التحقيقات غير المشوهة للحقيقة والمضللة للرأي العام، سواء عن قصد أو غير قصد ما يضع سمعته على المحك.
12. القدرة على الهروب من جاذبية الوقوع في مغناطيس فخ الاغتناء: لذا عليه الاستعداد للتنازل عن حاجات اجتماعية عدة كي يؤدي عمله على أكمل وجه.

رابعاً: خصائص الصحفي الاستقصائي حسب مركز المشروعات الدولية

يحدد "شون. ت . شيفر" من مركز المشروعات الدولية الخاصة للوكالة الأمريكية للتنمية خصائص الصحفي الاستقصائي وفق التالي:

1. الصحفي الاستقصائي شكاك وغير مطمئن، ويعمل وفق القاعدة الأشهر في الصحافة "لا تقبل الأمر على علاته".
2. لا يقبل بالأجوبة الناقصة أو الأجوبة غير المكتملة "Critical".
3. من هواة التنقيب والحفر تحت الأحداث والحقائق.
4. ليس له أهداف خاصة أو ولاءات، ولا يعمل بازدواجية المصلحة الشخصية والمهنية بل مصلحة العامة التي هي ذاتها منطلق عمل مصلحته المهنية والشخصية.
5. يعرف بالقانون لدرجة أنه يكاد أن يكون مختصاً به.
6. يتقن أدواته الاستقصائية.
7. يعرف كيف يحمي نفسه.
8. يعرف كيف يحمي مصادره.
9. يوقن أن مهمة الاستقصاء هي البناء والنقد البنّاء وليس الهدم والحقيقة المخربة.
10. يمتلك قدرات المهام المناطة به: فهو إضافة إلى مهارات الصحفي التقليدي يعمل على: (توصيف وتحليل الوقائع وتفسيرها، ويجعل المصدر يُظهر أفضل ما لديه، ويجيب بالأصعب، ويستطيع تدعيم معلوماته بالوثائق والمستندات، وأخيراً يملك الحس الذي يؤهله لأنسنة استقصاءاته).

من قبله يحدد "فوربيس Forbes" بعض المهارات التي يجب على رجل الصحافة الاستقصائية إتقانها:

1. التسجيل، والاختزال والتسجيل الصوتي.

2. تخزين وتسجيل التفاصيل ذات الصلة، وحفظ هذه السجلات في مكان آمن.
3. الدقة.
4. القدرة على تحديد النقاط الرئيسية في القصة.
5. التفكير الناقد.
6. قاعدة واسعة من المصادر.
7. يمتلك عقلاً متشككاً وقادراً على استنباط المعلومات.
8. استخدام الوسائل التكنولوجية في استخراج المعلومات من شبكة الإنترنت.
9. معرفة القوانين التي تحكم عمله ولاسيما قانون التشهير والقانون الخاص.
10. الحس الصحفي الذي يستطيع معرفة أماكن وجود المصادر والوثائق.
11. إتقان المحاسبة ومهارات الطب الشرعي.

خامساً: المجالات المثمرة للصحافة الاستقصائية

لا بد لحمَلة الأحجار ألا تكسر ظهورهم، وهذا لا يعني الولوج إلى مواضيع بسيطة – لا تسبب وجعاً للرأس – بقدر ما تعني أن يدخل الصحفي الاستقصائي ضمن ما يستطيع تنفيذه، وفي حال واجه "حوتاً" ضخماً لا بد أن يصيده، فالصحافة الاستقصائية من هذا المنظور تدخل جميع مجالات الحياة سواء ذات الوقع والجلل أم المتداخلة في تفاصيل المجتمع، والناشرة بقع الزيت على قميصه، صغيرة لكنها تكبر مع الوقت، ومن هنا لا تنحصر الصحافة الاستقصائية في محور أو محاور الأداء الحكومي فقط بل تمتد إلى ما يهم الجمهور من قضايا اجتماعية واقتصادية وسياسية وصحية وبيئية وتعليمية وخدمية، إلى جانب قضايا حماية المستهلك، وتجارة المخدرات والدعارة، ومهربي الأدوية الفاسدة، وقضايا الجرائم الغامضة، وجرائم غسيل الأموال، وغسيل السمعة لرجال الأعمال المنحرفين إلخ.

إن المجال المثمر في غمار الصحافة الاستقصائية ينطلق من التفكير بعناية حول النتيجة التي سيرسو على برها، وهو ما يحدد هل تستحق القصة الجهد المبذول والوقت المطلوب، فقصة التقصي تبدأ برائحة تفوح من مكان ما، أو حدس يشير إلى موضوع يشكل بذرة لقصة لا بد أن ينتهي به الأمر في عالم الصحافة إلى صدر فترات البث أو النشر على الصفحات الأولى عبر عنوان رئيسي مثير ومذهل إذا ما غاب فالتحقيق على الأرجح مضيعة للوقت، ومن هنا يوجه "مارك هنتر" إلى مجال الاستقصاء الجيد سؤالين مهمين رئيسيين حول اختياره هما:

أولاً: هل تستحق قصة التحقيق العناء؟

إن معرفة مدى استحقاق القصة كل هذا العناء يتطلب الإجابة عن الأسئلة التالية حين تكون في مرحلة تقييم أهمية القصة:

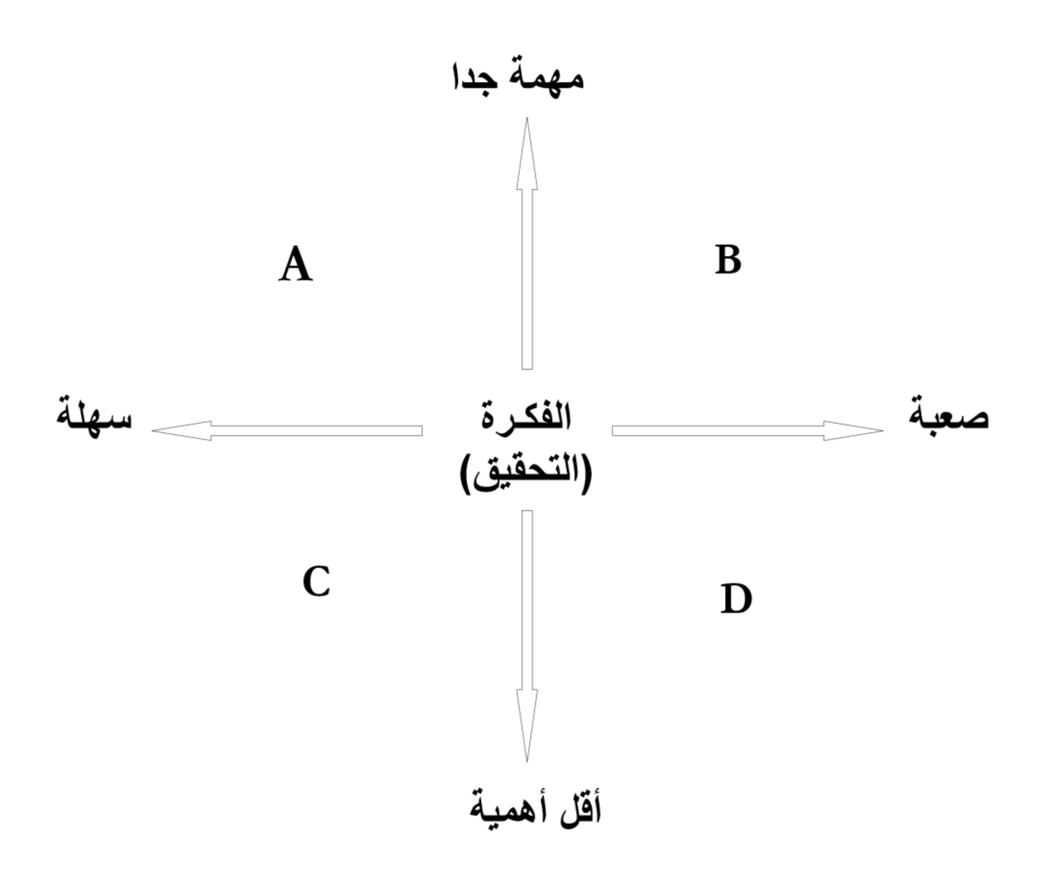
1. عدد الناس الذين سيتأثرون؟ ويسمى ذلك "**حجم الوحش**" "The size of the beast"
2. ما مدى قوة تأثرهم؟ وهنا تعد النوعية بأهمية الكمية ذاتها، فإن مات شخص واحد، أو تحطمت حياته أو حياتها تكون القصة مهمة.
3. إن تأثروا إيجابياً، هل يمكن تكرار السبب "الفعل" في مكان آخر؟.
4. هل هؤلاء الناس ضحايا؟ هل يمكن تجنب معاناتهم؟ هل يمكننا أن نبين كيف؟
5. هل هناك مذنبون يجب أن يعاقبوا؟ أو على أقل تقدير أن يدانوا؟
6. هل من المهم في أي حدث قول ما حصل حتى يتكرر أو لا يتكرر مرة أخرى؟

ثانياً: ما العائد من الاستثمار في مثل هذا التحقيق؟

ثمة قصص لا تنتهي، ولتكون موضوع التحقيق فإن المحك هو مدى أهميتها للجمهور، وإمكانيةُ التحقيق فيها، والوقت اللازم لإنجازها، إلى جانب ما العائد من التحقيق، وحجم إفادة الضحايا منه.

وليس بعيداً عن هذا المجال وضعت الصحفية "ديبرا نيلسون" الحائزة على جائزة بولتزر "**خريطة التعرف على مدى استحقاق الاستقصاء للنشر**" وفق عوامل الأهمية المشابهة **(**للقيم الخبرية**)**، فكلما زاد عدد المهتمين بالخبر زادت قيمته، صحيح أن التحقيق يمكن أن يظل مهماً حتى لو كان المتضرر شخصاً واحداً، لكن تبقى أهميته تزداد طرداً مع عدد المعنيين بالضرر أو المعاناة، إضافة إلى القيم الإنسانية التي تزيد أهميتها مع زيادة مأساة الضحايا، وكذلك كما الأسماء تصنع الأخبار فإن حجم الاسم أو المؤسسة التي وراء الضرر تلعب دوراً مهماً في قيمة التحقيق ومعرفة **(حجم الثمرة)** مع الشخصنة التي تُدعى في مجال التحقيق.– كما حددته "**نيلسون**" وفق الشكل التالي:

حدد نيلسون أهمية موضوع الاستقصاء وفق الشكل التالي:



الشكل () خريطة التعرف على مدى استحقاق الاستقصاء للنشر

A. المجال المغري جداً لأصحاب الهوس وأهل المخاطرة.

B. المجال الأهم الواجب التركيز عليه.

C. هي ليست مجال براق للتحقيقات، لكنها قد تبدو كذلك للأخبار

D. الذكاء ألا يدخل الصحفي هذا المجال، ويرفضه قطعاً.

سادساً: خصائص الفكرة الجيدة للتقصي



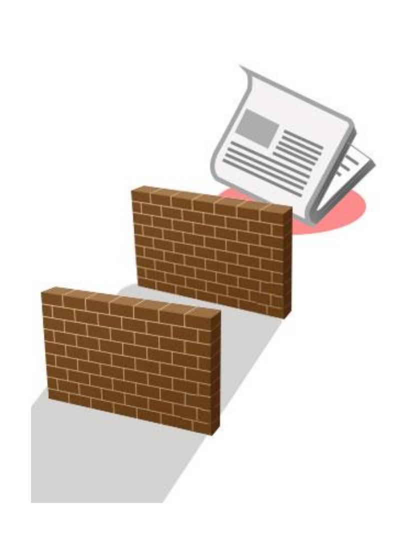
تؤكد جميع الممارسات والتنظيرات دون استثناء في العمل الاستقصائي على أن فكرة التحقيق الجيدة لا بد أن تكون مستقاة من حياة الناس وهمومهم ومعاناتهم اليومية، وحول خدماتهم الحياتية، وجوانبها الإنسانية المؤثرة.

والخلاصة أن أي قضية

يمكن أن تتحول إلى تحقيق ما دامت ذات علاقة بالناس وحياتهم ومصالحهم، ولاسيما همومهم، وبالتالي فأهم النصائح في هذا المجال ما يقوله الصحفي البلجيكي "كريس دي ستوب": "أنت لا تختار الموضوع، ولكنه هو الذي يختارك" ويقصد بذلك أن كل صحفي مؤهل لفهم قصص معينة، أكثر من غيره من زملائه الصحفيين، وفي الثقافة الأمريكية تعني (بقايا الطعام) التي قد تُستخدم لاحقاً أو تلقى بعيداً، وفي هذا المقام يمكن القول إن وسائل الإعلام مليئة بمثل هذه البقايا من القصص التي تكاد تصرخ: "هناك المزيد للكشف عنه في داخلنا!" إلا أنها تترك لكي تتعفن، ويكفي هنا للتأكد من أهمية التحقيق فيها توجيه السؤال: ما الذي قالته هذه البقايا من القصص مقابل ما عجزت عن قوله؟ وهل تسترت على شيء؟ وإذا كان التستر على فساد حينها سينطلق التحقيق ممن تستر؟ وعلى أي نوع فساد تستر؟ وغالباً فإن القصص التي تنشأ من خلال الملاحظة تكشف عن مشكلة تبدو مخفية، مع إنها تقع أمام أعين الجميع، لكن لا أحد ينتبه إليها إلا عين "الصياد" الاستقصائي الذي يحول بذرتها إلى شجرة مثمرة ضخمة.

سابعاً: التحديات والعقبات التي تواجه الصحافة الاستقصائية

إن هوامش التحرّك والاستقصاء والبحث والتنقيب في مواضيع لم يكن من السهل الخوض فيها تشكل تحديات للصحافة الاستقصائية التي تقع تحت مظلتها عوامل معيقة عدة، أهمها:



- طبيعة الأنظمة القائمة.
- وحالة التضييق على الحريات الصحفية.
- وصعوبة الوصول إلى مصادر المعلومات.

- وقوة قبضة الدولة التي احتكرت إدارة الشأن العام، واستأثرت بمهمة إبراز ما ترى في صالحها إبرازه، وإخفاء ما ينبغي إخفاؤه تحت غطاء الحفاظ على «الأمن القومي والمصلحة العامة والإساءة للروح الوطنية وضرب التعايش السلمي»، وما إلى ذلك من الذرائع.

إن هذه الجمل ستبقى ترافق الصحفي في كل مكان من العالم، سواء الذي يدّعي تحضره أم ذلك الذي لا يبالي بنمائه مع اختلاف الصياغات، على شاكلة «معاداة السامية والعنصرية والعرقية وإعاقة الحرب على الإرهاب».

وبهذا المعنى يصبح التحقيق الاستقصائي أحد أبرز الأشكال الصحفية وأرقاها وأشدّها تعقيداً، ذلك أن هذا المشهد الإعلامي والرقمي الجديد قد جعل من الأشكال الصحفية التقليدية كالخبر والتعليق والاستجواب والنقل، وحتى التحقيق في مستواه الأول، أجناساً صحفية عادية ويسيرة التنفيذ، قياساً بالتحقيق الاستقصائي الذي يستوجب بناءً وتخطيطاً وبحثاً وتمحيصاً ومكابدة، وحتى مخاطرة في سبيل الوصول إلى المعلومات الضرورية، وكشف ما خفي من حقائق.

إن المقدمات السابقة لا تعني أن يرمي الصحفي نفسه إلى التهلكة، فأي مهنة فيها نسبة خطورة، وحتى لو بدت غير ذلك.

الصعوبات التي تواجه الصحافة الاستقصائية العربية:

1. **مهنياً**: غياب ثقافة الجودة: (إدارة متفهمة، تدريب متواصل، فريق متكامل، ميزانية واقعية، وقت كافٍ)، وغياب الحماس الفعلي وانتشار الحماس الخطابي الشفهي.



2. **أمنياً**: دائماً توجد مخاطرة.فهل يستحق الأمر!



3. **قانونياً**: تحدي عدم خرق القانون ما يتطلب (ثقافة قانونية، قراءة متأنية لمعطيات التحقيق، توثيق لا لبس فيه للمعلومة، صياغة دقيقة للكلمة).



4. **سياسياً:** حجب المعلومة، والعمل وفق رؤية النظام الإعلامي والسياسي.



5. **ثقافياً:** إن الثقافة الشفهية (ومن ضمنها ثقافة المنطقة العربية ومعظم الدول النامية) لا تهتم بالأرقام والإحصائيات والمقارنات، ولا تمتاز بدعم ومساندة الرأي العام.



العقبات التي تواجه الصحافة الاستقصائية العربية:

يقدم المكتب العربي للقانون مجموعة من **العقبات التي تواجه الصحافة الاستقصائية** وهي مبينة على النحو الآتي:



1. وجود نقص في المعلومات وصعوبة الحصول على الوثائق.
2. معارضة أصحاب شركات الإعلام لنشر القصص المثيرة للجدل.
3. الخوف من العقوبة من قبل ذوي المصالح السياسية أو التجارية.
4. التهديدات للسلامة الشخصية.
5. الوقت غير الكافي لإنهاء المهام الصحفية الاستقصائية.
6. عدم وجود الميزانية الكافية للسفر أو للمصاريف.
7. الإرهاق والخوف من الفشل، والدعاوى القضائية، ما قد يدفع إلى ضعف التوجه نحو هذه الصحافة.

ثامناً: العقبات التي تواجه الصحافي الاستقصائي

ومن ثم لا تخلو ممارسة الصحافة الاستقصائية من مخاطر يواجهها المحقّق في مختلف مراحل إنجاز تحقيقه، وبعده فالمخاطر تبدأ من اختيار الموضوع والخطوات الأولى لتنفيذه وصولاً إلى نشر نتائج التحقيق، وما قد يسبّبه ذلك من إحراج لأكثر من طرف، وهنا لا بد من ذكر الحادث الذي تعرض له "دونبولز" بعدما نشر في صحيفة ولاية "أريزونا" تحقيقاً عن المافيا، فقُتل على إثره في انفجار سيارته ضمن سياق الجرائم المنظمة التي كانت تقوم بها المافيا هناك، لكن نتيجةً لهذه الحادثة تحركت جمعية المحررين الاستقصائيين وجندت عدداً كبيراً من الصحفيين لمتابعة التحقيق الذي بدأه دونبولز، وقرر 50 صحفياً في الولايات المتحدة الأمريكية الرد على هذه الجريمة عبر الذهاب إلى أريزونا وكتابة تحقيقات استقصائية تكشف جرائم المافيا وأسماء رجالاتها، وبعد 6 أشهر أُرغمت المحاكم على التحرك وإلقاء القبض على المجرمين وسوقهم إلى المحكمة.

فيما يقول "**عمر شيما**" الذي اختُطف عام 2010 في باكستان وتعرّض للتعذيب بسبب كتابته مقالات ينتقد فيها الحكومة: إن العنف والتهديدات تشير ببساطة إلى الدور الهام الذي يلعبه الصحفيون الاستقصائيون في الكشف عن الحقيقة وخدمة الجمهور.

ومن جانبه يروي الصحفي الاستقصائي "**رومان آنين**" لصحيفة «نوفايا غازيتا» اليومية في روسيا، والذي استمر في فضح الفساد في بلده على الرغم من أن أربعة من زملائه قُتلوا خلال العقد الماضي: "إنه من المهم أن يتم تحقيق هذه المهمة الأساسية كصحفي، لأنه ليس من المهم فقط أن تخبر الآخرين بما يجري، ولكن الأكثر أهمية أن تجعلهم يدركون كيف تجري الأمور، أي أن تقوم بتثقيف الناس، عبر إنجاز التحقيقات الصحفية"، وعليه حصل كل من "شيما ورومان" على جائزة المركز الدولي للصحفيين عام 2013 في واشنطن تكريماً للتغطية التي تحدِث الفرق في حياة الأشخاص حول العالم.

وضمن إطار الثوابت الوطنية والأصول القانونية لا مكان يُحظر على المحقق الوصول إليه، ولا شخصيات ممنوعٌ من التحاور معها، ولا وثائق أو مستندات مقفلة، ولا دوائر إدارية عصية على الدخول إليها والسؤال عن الحقيقة داخلها، ولأن الأمور هي هكذا – نظرياً – فمن الطبيعي أن تواجه **المحقق الصحافي الاستقصائي صعوبات (عملية)** هي:

1. صعوبة ذاتية: إن الصحفي الناشئ في بيئة بيتية أو اجتماعية وأخلاقية وسياسية وإعلامية متخلفة، اعتادت اعتبار الأخطاء وأشكال الفساد جزءاً لا يتجزأ من الواقع الأليم المتجذر في حياة الناس، والممتد إلى الحاضر والمستقبل سيتردد كثيراً في إقحام نفسه في موقف رفضي وتقدمي وإصلاحي، ويختار كما الكثيرين – الاحتماء – وعدم سماع صوت الحق الصادر من طبيعة الصحافة وسبب وجود الصحفي.
2. صعوبة مؤسساتية: إن المؤسسات الصحفية الناشئة دون إرث صحفي عريق متميز بالمواقف الصلبة من القضايا المبدئية، وبالانحياز إلى الحق والحقيقة في الشؤون الوطنية والإنسانية والاجتماعية، ستجد

نفسها غير **معنية** كثيراً بما يُدخلها في دائرة النقاش الحاد مع الآخرين، وبخاصة المفسدين منهم، كما أن معظم رؤساء التحرير المرتاحين إلى الهدوء والسكينة يتجنبون دفع صحفييهم إلى متابعة موضوعات دقيقة تزيد الأمور تعقيداً، مع علمهم بأن أي تحقيق استقصائي احترافي إنما هو رفع لشأن الصحيفة وصدقيتها واحترامها لقرائها، كما هو خدمة لمفهوم الدولة الساهرة على مصالح شعبها.

3. صعوبة المهنة: جرت العادة أن تنشر الصحف "تحقيقات"، وهي معظمها ريبورتاجات كبيرة تفسيرية، بمعنى أنها تعرض حالة أو قضية أو خلفيات خبر، فتصف وتنقل آراء ميدانية وتقنية من مصادرها أو استناداً إلى مراجع مكتوبة أو غير مكتوبة، ولكن على الرغم من صلابة هذه المهنة فإنها لا تصل إلى مرحلة التحقيق على طريقة التحقيق الاستقصائي (القضائي) الباحث عن الحقيقة عبر كشف الأسرار وجمع الوثائق والمستندات الورقية والصوتية والمرئية، والموازنة والمواجهة والتحليل والوصول إلى استنتاجات لتبقى في دوائر التحقيق (التقليدي) الذي يحتمي تحت خيمته جميع الخائفين من ضربة شمس الحقيقة، ما يُلزم بالتالي ضرورة تدريب الصحفيين المخلصين لمهنتهم على تنفيذ تحقيقات استقصائية (حسب الأصول)، ترفع قدراتهم، وتشدد التزامهم بالإنسان والناس والدولة التي تحميهم، وهذه الأصول لها قواعد وشروط وآليات عمل ومهارات تحتاج إلى معرفة ومساعدة على تطبيقها وتشجيع على نشر نتائجها، وهذا يفرض بدوره ضرورة مساعدة هؤلاء الرواد في الصحافة الاستقصائية على تأمين دعم المؤسسات والزملاء والحقوقيين والإصلاحيين لهم حتى يعملوا في بيئة صديقة متعاونة وحامية لهم.
4. صعوبة الوصول إلى المعلومات: فلا استقصاء ولا بحث عن الحقيقة دون معلومات خاصة تتمم المعلومات العامة وتغنيها، وتفتح لها أبواباً جديدة، ونوافذ مغلقة، وخفايا مستترة، وبخاصة أن الحصول على المعلومات المطلوبة في قضايا جادة وغير عادية بل خطيرة يصطدم دائماً – بل عموماً – بمواقف رافضة للتعاون أو مترددة أو غير مستدامة، فصاحب المعلومة الخاصة يخاف من "افتضاح" أمره وتعرّض مصالحه وقوته اليومي وربما حياته للخطر، إذا ما تعلقت القضية بأمور مخالفة للقانون أو بالفساد أو الأخطاء الكبيرة.. ثم إن هناك وثائق ومستندات تكون مخفية في دوائر حكومية أو خاصة، ونادراً جداً ما يُفرج الموظفون البسطاء أو المحنكون عنها بل إن بعض القوانين والقرارات الملتبِسة داخل هذه الدوائر قد تمنع تسريبها أو الإفصاح عنها، لذلك لا بد للصحفي المستقصي من طول البال، والتذرع والصبر، واستعمال الحنكة والذكاء وحسن الكلام.
5. عامل الوقت: من طبائع العمل الصحفي الإسراع في تسليم المادة المكتوبة لترى طريقها إلى النشر بسرعة، في حين من طبائع التحقيق الاستقصائي أنه ليس سيد الوقت الذي يسير فيه تحقيقه، فالبيئة البشرية والمكانية والنفسية التي يعيش فيها الصحفي معادية عموماً، وربما متحفظة، لذلك تحتاج إلى كثير من الوقت لاقتناص ما هو مطلوب في الوقت الذي يسنح ويفرض نفسه فيه.

6. خطر التلاعب بالصحفي: فقد تعمَد بعض المراجع أو مصادر الأنباء إلى استخدام الصحفي لغاياتها الخاصة من خلال تسريب بعض الأخبار، وهذه الأخبار قد تكون صحيحة، لكن الغاية من تسريبها ليست خدمة قضية عامة، لكنها تخدم غايات المصادر بتسريبها، لذلك قيل إن مسربي الخطوط الرئيسية "ووترغيت" إنما استخدموا الصحافة لتصفية حساباتهم مع الرئيس نيكسون، وهنا على الصحفي أن يستخدم حدسه وثقافته كي لا يكون أداة في أيدي مصادر الأخبار، كما أنه من الضرورة بمكان أن يتأكد الصحفي من صحة المعلومات التي يحصل عليها، أو التي يمكن لبعض المصادر أن تمررها له، فقد يكون من مصلحة هؤلاء تسريب أخبار كاذبة لغايات محددة ضد آخرين أو لتضليل التحقيق.

إذا كانت العقبات السابقة تواجه الصحافة الاستقصائية، فإن تحديات مماثلة تواجه الصحفي الاستقصائي:

- تعلم استخدام أدوات حديثة معقدة: فالمحرر الصحفي الذي يجهل مهارات استخدام الحاسوب يكون محروماً من ميزة يتفاقم حرمانه منها بمضي الوقت.
- الجهل بموضوعات الأحداث الجارية: فغالباً الصحفيون يبدؤون التحقيق دون أن يعرفوا عنه إلا القليل، أو عن اللاعبين الرئيسيين على الحلبة، أو عن قواعد اللعبة، أو عن كيفية التلاعب بهذه القوانين، أو حتى عن المعايير السليمة لقياس ما إذا كان الشيء يستحق القيام بتحقيق صحفي عنه.
- الضغط: ولعل أكثر نوعين من الضغوط شيوعاً هما التخلي عن موضوع أو الانتهاء منه سريعاً وهما وجها العملة للعقبة الضاغطة نفسها، مع التأكيد أن الشكاوى التي تصل إلى رؤساء التحرير حقيقية.
- عمل الصحفي ضد الوقت الذي يعد عدو جميع التحقيقات الصحفية: فالأحداث تتآمر دائماً لتخرج عن نطاق سيطرة الصحفي وتزيد من إلحاح سرعة استكمال التحقيق.
- اللعب مع الكبار ضد القانون ومسائله: فالصحفيون يتوقعون دائماً تعرضهم للمساءلة القانونية المضادة كاتهامهم بالتشهير أو القذف، أو انتهاك الخصوصية.
- حرية وصوله إلى المعلومات: فليس سهلاً إيجاد الأشخاص الذين سيتكلمون عن أفعال غير سليمة لنشرها، أو حتى لمجرد معرفة خلفيات الأمور، هذا علاوة على الصعوبة الدائمة في الحصول على الدليل.
- عدم التفرغ في ظل نظام الاستكتاب وحجم العمل المقرر عليه ضمن مهام الصحافة التقليدية: ما يدفعه إلى الرغبة في إنجاز أكبر عدد من الأعمال الصحفية في أقل وقت ممكن، وبأقل جهد، وأقل كلفة مادية، لأنه يحتاج إلى دخل مناسب حتى تستمر حياته الخاصة، وربما انشغاله بأكثر من عمل في الوقت نفسه بجانب الصحافة، كما هو الواقع في كثير الدول النامية ذات المناخ الإعلامي الفاسد.

وكما تواجه الصحافة الاستقصائية والعاملون فيها صعوبات يفرضها الواقع المحيط، فثمة **عقبات داخلية تتأتى من جانب رئيس العمل (التحرير):**

تاسعاً: الأوضاع المناسبة للعمل الاستقصائي



غالباً ما تؤدي الضغوطات برئيس التحرير المشرف إلى أن يكون غير متحمس لأفكار التحقيقات ذات المخاطر الكبيرة، أو المتعلقة بحجم وحش مخيف أو ذات المدى الأطول المكلفة والمضنية، ولهذا تتطلب الصحافة الاستقصائية توافر ظروف وأوضاع مناسبة على النحو التالي:

1. مناخ سياسي ديمقراطي وحرية دستورية مكفولة.
2. تحرر المؤسسات من الخدمة الحزبية أو الفكرية البحتة (الدعاية) فهي لا تنمو تحت مظلة تصفية الحسابات أو المعارك الانتخابية وما شابهها.
3. تدريب الرأي العام على مثل هذا النوع من المعلومات.
4. توفير ضمانات حق الحصول على المعلومات، حيث يرتبط العمل الاستقصائي إلى حد كبير ويزدهر طردياً مع حق الحصول على المعلومات.
5. بعداً زمنياً غير منتظم حسب القضية أو الظاهرة قيد الكشف.
6. قاعدة بيانات وأجندة علمية للعمل بها على مستوى المؤسسة أولاً وعلى مستوى العمل الاستقصائي.
7. متابعة إيجابية من الحكومة ومراكز القرار.
8. احترافية بالغة المستوى وخبرة في مجال التخلص من إشكاليات القضاء.
9. الاعتماد على النبض السياسي والاجتماعي والشؤون العامة في بلورة القضية قيد الكتابة والتحرير.

عاشراً: خلاصة التحديات الاستقصائية

تتجلى خلاصة التحديات التي تواجهها الصحافة الاستقصائية من اعتبار مهمة الاستقصائي تتحدد في العمل على إظهار حقائق يحاول غيره إخفاءها، لذلك فإنه يواجه تحديات من نوع آخر:

- وغالباً ما ترتبط بالمحيط (السياسي) الذي يعج بمسؤولين على استعداد لفعل أي شيء من أجل اكتساب "الأقلام والأصوات" الفعالة إلى صفوفهم.

- إلى جانب وجود المحاصصة والتوافقات السياسية.
- وعدم وجود معارضة سياسية برلمانية.
- وعدم وجود وعي لدى المؤسسات الحكومية بأهمية هذا النوع من الصحافة، ودورها في التنمية، ورصد الأداء العام.
- ووجود قصور في الثقافة القانونية لدى الصحفي.
- فضلاً عن عدم وجود إطار قانوني ينظم حرية تداول المعلومات، وقانون حق الاطلاع على المعلومات.
- وعدم وجود استراتيجية حكومية مكتوبة، أو برنامج حكومي تفصيلي أو تنفيذي معلن.

ومن بين التحديات الأخرى التي تواجه الصحافة الاستقصائية عدم وجود تقارير سنوية تنفيذية للمؤسسات الحكومية بشكل عام لوصف تنفيذ الخطط والبرامج، ونسب التنفيذ، وتضارب الأرقام، فضلاً عن عدم وجود صحافة متخصصة، ووجود تحديدات في حركة الصحافة في المؤسسات العامة، إضافة إلى عدم وجود مؤسسات تدريبية متخصصة في هذا النوع من الصحافة.. وكذلك من هذه المعوقات نصوص قانونية سارية المفعول تعود إلى فترات ما قبل إقرار حقوق الإنسان بالحصول على المعرفة والتعبير الحر، أو سابقة لتفهم الحكومات مبدأ الشفافية المطلوبة في الأخبار وتداول المعلومات، فلا بد من تجاوزها بالسعي إلى إلغائها مع الجهات المعنية انطلاقاً من ضرورة مماشاة المعاهدات الدولية الإنسانية المتطورة.

وأخيراً من المعوقات عدم التزام الصحفي و(الصحفية) ثقافة حق القراء بالاطلاع، وحقه بالتقصي، فالصحفي يعتقد (وكذلك صحيفته) أن المصالح الإعلانية، أو المصالح الإدارية مع الدولة، والمصالح الذاتية المتأتية من العلاقات العامة مع شخصيات نافذة أو سلطة قادرة لن تسمح له أن يكتب، أو ينشر كل ما عرفه في أثناء تنفيذ التحقيق ميدانياً، إذ إنه بفعله هذا قد يدفع المعلن الكبير إلى سحب إعلاناته، والانتقال بها إلى صحف منافسة، أو قد يدفع إدارات الدولة إلى التضييق على تدفق المعلومات الواردة منها، أو قد تقطع علاقات كاتب التحقيق بمصادر هامة وحيوية للمعلومات التي هي خبزة اليومي، وسبب استمرار عمله الصحفي، ما يؤدي في النهاية إلى الإخلال بحق القراء في الاطلاع وحق الصحافي بالتقصي، وهما حقان ملازمان لمهنة الصحفي، وهما من الأسباب الداعية إلى زيادة مبيعات الصحيفة، والإقبال على قراءة موضوعاتها وتضخم مداخيلها، ما يؤمن استمراريتها، وتوسع مدارات انتشارها، وكلما توسع الانتشار تهافت المعلنون على دفع إعلاناتهم نحوها، والأهم فإن القارئ سيشعر بدوام احترام الصحيفة لحقه في الاطلاع والتقصي عن حقوقه، ويصبح أكثر إخلاصاً للصحيفة، وأكثر مداومة على شرائها، وعلى الوجه المقابل فالصحفي الذي يشعر بتكريم القراء له من خلال إقبالهم على تحقيقاته الاستقصائية النظيفة يتعاظم موقعه في أسرة التحرير، وفي الأسرة الصحفية المحلية والإقليمية ما يعني تعويضاً مادياً ومعنوياً له عن خسارة

مصدر أو إعلان أو حظوة لدى الإدارة الرسمية، ويكفي الإشارة هنا إلى تحقيق "ووترغيت" الذي زاد مبيعات واشنطن بوست في أول أسبوع للتغطية بمتوسط 500 ألف نسخة يومياً.
من هنا فإن الدولة التي تريد أن تقوى إعلامياً لا بد أن تشجع الصحافة الاستقصائية بشكل خاص، فهذا النوع من الصحافة يوجد له جمهور كبير، ويحقق معدلات توزيع عالية، لكنه يحتاج إلى حرية كبيرة للكشف عن الانحرافات وسوء استخدام السلطة، وبالتالي لا يمكن الاستمرار بسياسة "دفن رأس النعامة بالرمل" التي لا ترى فتعتقد أنه لا أحد يراها، ولاسيما أن ثورة الاتصال ستفرِض على جميع الدول أن تطلق يدها، لأن الإنترنت أتاح مجالاً واسعاً للكشف عن المعلومات.. ويذكر "صابر سليمان" أن الاتحاد السوفيتي انهار لأن الصحافة لديه لم تقم بدورها الحقيقي في كشف الفساد والانحرافات وانتهاك حقوق الإنسان.
في المقابل يرى البعض أنه على الرغم من النجاح الذي حققته الصحافة الاستقصائية خلال السنوات السابقة في الولايات المتحدة الأمريكية، وتفجيرها لأخطر فضيحة أمريكية "ووترغيت" إلا أن الوضع قد تغير بعد انقضاء ثلاثة عقود على هذا الإنجاز، فلم تعد الصحافة الاستقصائية النجم الأكثر تألقاً، ففي الوقت الذي ظلت فيه الصحافة تفخر بما قامت به خلال سنوات ما بعد "ووترغيت" بدأت تنتشر موجة من التشاؤم حول الأوضاع الصحفية نظراً للتوسع في تركيز وسائل الإعلام على عدد قليل من الشركات الضخمة، والاتجاه إلى إدخال الإثارة في التغطية الإخبارية، وحدَّ ما تُدعى بالحرب على الإرهاب الكثير من التحقيقات عن استكمال دربها، وخير دليل على ذلك تحويل الرئيس بوش الابن صحيفتي النيوز ويك ونيويورك تايمز إلى الكونغرس بتهمة إعاقة تلك الحرب ما استدعى صحفاً أخرى إلى استكمال تحقيقات على درجة عالية من الأهمية مثل استقصاء "فضيحة كشف سرية الحسابات المصرفية، والتنصت على المكالمات الهاتفية" بعدما سلمت شركات الاتصال البنتاغون أكثر من 900 ألف مكالمة للاستماع إليها، وهذا كله استنزف النشاط الذي تتطلبه عمليات الاستقصاء فى الميدان الصحفي، بجانب ضغوط إدارة الأعمال التى تعوق القيام بنشاطات صحيفة استقصائية، فمثل هذه النشاطات تتطلب تخصيص أوقات طويلة وموارد بشرية ومالية كبيرة، كما أن احتمال تسبب التقارير الصحفية بدعاوى قضائية مكلفة يقلق المؤسسات الصحفية في دعم حملات الاستقصاء، لكن هذه العوامل لم تؤثر على عدد التقارير الاستقصائية التى تم نشرها خلال العامين الماضيين في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد نشرت صحف المدن الرئيسية تقارير كشفت عن حالات فساد وظلم وسوء إدارة.
وعليه فإن حدود الاستقصاء على الرغم من هذه التحديات ليس لها أي حدود، ولاسيما إذا كان مهنياً وقانونيًا ويصب في خدمة الصالح العام ولا يقوم على نوايا مبيتة وعواطف شخصية.. فعلى صعيد الزمن يمكن استقصاء الماضي والحاضر وآفاق المستقبل، فالحادث الذي راحت ضحيته الأميرة ديانا في باريس عام 1997 مازال ينقّب فيه صحفيون استقصائيون من مختلف دول العالم، وكلما توقف فريق عن البحث والاستقصاء ظهر فريق غيره ليواصل المهمة على الرغم من أن الحادث قد يكون وقع قبل عقود طويلة، ومن ذلك مقتل آخر قيصر روسي على يد ثوار أكتوبر/تشرين الأول عام 1917، إذ مازالت التقارير تكتب عنه

حتى يومنا هذا، والكثير من الحوادث والمآسي التي وقعت في الماضي، أما جرائم الحاضر فليس هناك داعي للحديث عنها لأنها أكثر من أن تعد أو تحصى، وهي معروفة للجميع ولاسيما المشهور منها.

والنتيجة النهائية في ظل هذا الأفق الواسع والتحديات الأوسع أن إدراك الصحفي الاستقصائي لوجود عقبات، وأن هذه العقبات لها ضحاياها، وأنه يجب مواجهتها يعد إحدى الخطوات الهامة في حياة مشروع تحقيق صحفي استقصائي ناجح، يتسلح الصحفي بمهاراته لإنجازها.

الخلاصة

تؤكد خلاصة هذه الوحدة التعليمية (الرابعة) أن الاستقصاء يتطلب مهارات محددة، لكنها ليست سحرية، بل أساسية تحتاج الإبداع والفطنة والمحاكاة والتحليل العملي، فالصحفيين المحققين لابد أن يأخذهم" الهوس" بعملهم إلى درجة يبدون فيها وكأن ليس لديهم وقت لأي شيء آخر، ومن هنا الصحافي الاستقصائي صاحب ثلاث مهارات أساسية، فهو: (صحافي أولاً، ومحقق ثانياً، واستقصائي ثالثاً)، وهذا ما يحدد المؤهلات والمواصفات الذاتية (الشخصية)، إضافة إلى المهارات الصحافية الخاصة بالعمل المهني، إلى جانب المتطلبات الأخلاقية، ما يوسم الصحافي الاستقصائي بسمات عامة أبرزها أنه شكاك، وغير مطمئن، ويعمل وفق القاعدة الأشهر في الصحافة" لا تقبل الأمر على علاته!، ولا يقبل بالأجوبة الناقصة، أو الأجوبة غير المكتملة، بالمقابل تبين هذه الوحدة أن المجالات المثمرة للصحافة الاستقصائية تشمل كل مناحي الحياة، فالمجال الغني في غمار الصحافة الاستقصائية ينطلق من التفكير بعناية حول النتيجة التي سيرسو على برها، وهو ما يحدد هل تستحق القصة الجهد المبذول والوقت المطلوب، ومدى المقدرة على تجاوز التحديات والعقبات التي تواجه التحقيق الاستقصائي، الذي يتجلى من اعتبار مهمة القائم به تتحدد في إظهار حقائق يحاول غيره إخفاءها، لذلك فإنه يواجه تحديات من نوع آخر، سواء مهنياً أو أمنياً أو قانونياً أو سياسياً أو ثقافياً.

التمارين

الإجابة الصحيحة: A. شون. ت . شيفر.

1. **اختر الإجابة الصحيحة:**

يعد "صحافي التحقيقات الاستقصائية" من لقبه صاحب ثلاث مهارات، فهو

A. استقصائي أولاً، مهووس ثانياً بالعمل، مفتش عن الدقة ثالثاَ.

B. استقصائي أولاً وثانياً وأخيراً.

C. صحافي أولاً ومحقق ثانياً واستقصائي ثالثاً.

D. أخلاقي أولاً واستقصائي ثانياً ودقيق ثالثاً.

الإجابة الصحيحة: C. صحافي أولاً ومحقق ثانياً واستقصائي ثالثاً.

2. **اختر الإجابة الصحيحة:**

أهم المهارات التي يجب أن يضطلع بها الصحفي الاستقصائي

A. المهارات والمؤهلات الذاتية الشخصية.

B. المهارات والمؤهلات الخاصة بالعمل الفني.

C. المؤهلات والمتطلبات الأخلاقية.

D. جميع المهارات والمؤهلات السابقة.

الإجابة الصحيحة: D. جميع المهارات والمؤهلات السابقة.

3. **اختر الإجابة الصحيحة:**

وضع القاعدة الأشهر في الصحافة الاستقصائية "لا تقبل الأمر على علاته"

A. شون. ت . شيفر.

B. مارك هنتر.

C. جون أولمان.

D. مورين جرين.

الوحدة التعليمية الخامسة

تاريخ الصحافة الاستقصائية جذورها وأبرز رموزها

الأهداف التعليمية:

بعد دراسة هذه الوحدة التعليمية يجب على الطالب أن يكون قادراً على أن:

- يشرح تاريخ التقصي وجذوره
- يعدّد العوامل التي أدت إلى ظهور الصحافة الاستقصائية
- يشرح تاريخ التقصي (إنهاء الخطر في حياة الخطر)
- يعدّد المحطات الإذاعية والتلفزيونية ذات الفضل في تاريخ الصحافة الاستقصائية

النقاط البحثية للوحدة:

- تاريخ التقصي وجذوره، وأبرز محطات الصحافة الاستقصائية.
- المراحل التي مرت بها الصحافة الاستقصائية وصولاً إلى شكلها الحالي.
- أهم العوامل التي أدت إلى ظهور التقصي وتطوره وازدهاره.

الكلمات المفتاحية للوحدة:

تاريخ الصحافة الاستقصائية – مراحل تطور الصحافة الاستقصائية – عوامل ظهور التقصي – أهم الاستقصائيين –خطر التقصي – محطات بارزة في التقصي.

أولاً: مقدمة عن تاريخ الصحافة الاستقصائية



تعدد الروايات حول رحلة الصحافة الاستقصائية وتطورها التاريخي، ليس محاولة لإعادة النسب والمجد إلى جهة دون أخرى، لكن اختلافاً تصنيفياً لما هو استقصائي وغير استقصائي.

وعموماً فإن التعلم من تاريخ الصحافة الاستقصائية لا يعني أن تحفظ سرداً تاريخياً للمهنة ورموزها، لكن باختصار التعلم من تجارب الآخرين يعني أنه: "لا داعي لاختراع الدراجة طالما هي موجودة اركبها واذهب نحو غايتك بشكل أسرع"، بمعنى الإفادة من تجارب الآخرين وخبراتهم وإيجابياتهم وسلبياتهم وأخطائهم، وهذا ما يقدمه استعراض لمحة تاريخية لتطور الصحافة الاستقصائية، وأبرز رموزها والعاملين فيها، ويشير "مارك هنتر" أنه بهذا الخصوص يمكن للصحفيين الإفادة من كتيّب الصحافة الاستقصائية العالمية إذ إن كل تحقيق منشور فيه يتبعه شرح من الكاتب عن المنهجية التي اعتمدها لإجراء تحقيقه.

ثانياً: تاريخ التقصي وجذوره

الولادة والنشأة للصحافة الاستقصائية:

تؤكد نظرية الأنواع الصحفية أن النوع الصحفي لا يظهر هكذا بطريقة عفوية أو مزاجية، ولا يتطور أو يزدهر بقرار، بل إن كل نوع صحفي ظهر عبر عملية معقدة وممتدة في التاريخ والمجتمع، وهذا ما يعطي للنوع الصحفي طابعه التاريخي والاجتماعي، وبالتالي يحدد السياق العام الذي ظهر فيه هذا النوع وتطور، أما بالنسبة لظهور مصطلح الصحافة الاستقصائية فيعد حديثاً نسبياً كمرادف للتحقيقات المعمقة التي يسعى فيها الصحفيون إلى كشف أمور خفية على الجمهور، سواء أخفاها أشخاص بشكل متعمد أم اختفت مصادفة في ظروف لم تفهم، لكن البعض يرى في تاريخ (المقابلة) كنوع استقصائي، وكأداة وظفت في الاستقصاء، واستُغلت لجمع بياناته، جزءاً من هذا التاريخ، وعليه تعود جذور الصحافة الاستقصائية إلى بداية وجود الصحفي على أرض الحدث، ونقله الوقائع كما يراها هو، لا كما تروى له، ويحدد الباحثون انطلاقة هذه المرحلة بتغطية الحروب الأوروبية في منتصف القرن التاسع عشر أي بعد حوالي مئتي سنة على انطلاقة الصحافة الشعبية.

البدايات الحقيقية للتقصي:

إن بدايات هذا النوع من التغطية كانت تقوم على اعتماد التحقيق الموسع والمتابعة الدقيقة لموضوع يثير اهتمام الجمهور، وقد بدأ هذا التوجه الجديد في الصحافة مع المنحى "الأنغلوسكسوني" للصحافة الذي أدخل مفهوم المقابلة منذ عام 1836 من خلال مقابلة نشرتها صحيفة "نيويورك هيرالد" مع امرأة اكتشفت جريمة قتل، وبالتالي يمكن اعتبار المثل الأول على هذا التوجه في مهنة الصحافة هو التحقيق الطويل الذي قام به عام 1871 "هنري ستانلي"

الذي واكب البعثة الموجهة لاكتشاف مصادر منابع نهر النيل، وفي السنوات اللاحقة انتزعت الصحافة الأمريكية شرعية لهذا المنحى الجديد من خلال حملات وتحقيقات تناولت الفساد ومشكلات العدالة الاجتماعية، ورفض المآسي الناتجة عن الحروب، وكانت هذه الصحافة تستند إلى القيم الأخلاقية أكثر منها إلى التحقيق المعمق الميداني، كما كانت تعمل على إثارة الجمهور في هذا الاتجاه، وعليه نشأ التحقيق في الصحف الأمريكية أولاً، ثم ظهر مفهوم المراسل الخاص الذي يُجري التحقيقات الكبرى من الأماكن البعيدة، ويتحمل مشقات السفر والانتقال من أجل نقل المشاهدات الفريدة التي تتميز بها صحيفته، وكان يطلب من المراسل بالدرجة الأولى إثارة حشرية القراء، وإحياء روح المغامرة عندهم وذلك بأسلوب يقظ وشائق بغض النظر عن الخط السياسي للصحيفة.

إن هذا التوجه تعمم في الوسط المهني **ابتداءً من مطلع القرن العشرين**، كما أن هذه البدايات لم تكن دون عناء، إذ وُجهت انتقادات عنيفة للصحافة حتى من داخل المهنة، لكونها تتخلى عن دورها الثقافي والتربوي على حساب الإثارة والمواضيع الشعبية، ومن هنا كان ينظر إلى هؤلاء الصحفيين على أنهم فئة مختلفة عن غيرهم في المهنة حيث غالباً ما كانوا خارج هيكلية المؤسسة وذوي رواتب متواضعة، لكن الأهمية التي اكتسبها هذا النوع من الصحافة جعل وضع هؤلاء ينقلب في وقت قصير، فباتوا من نجوم الصحافة الذين لعبوا دوراً رئيسياً في نجاح مؤسساتهم، ومن خلال تأكيد هيبتها عبر ما نقلوا وكشفوا ومن خلال زيادة مبيعاتها.

أبرز المحطات في تاريخ التقصي:

لعل **أبرز محطات الصحافة الاستقصائية** تجلت خلال حرب فيتنام (1975_1965) التي شكلت مرحلة هامة في هذه الصحافة الجديدة وتطورها في أواخر الستينيات، حتى أن البعض دعاها بالمرحلة الذهبية لهذا النوع من الصحافة، بحيث إنها فتحت الباب أمام المراسلين الصحفيين على الأرض كي ينقلوا مشاهداتهم الواسعة، وهنا يذكر المؤرخون أن حرب فيتنام كانت آخر الحروب التي تمت تغطيتها بحرية تامة من قبل الصحفيين دون تدخل السلطات العسكرية أو السياسية، وقد بينت تقارير المراسلين على أرض المعركة التناقض بين التقارير الرسمية الصادرة عن القيادة العسكرية وبين مشاهدات الصحفيين، وللمرة الأولى منذ الحرب العالمية الثانية كان على مديري الصحف في مطابخهم أن يختاروا بين ثقتهم بمندوبيهم وبين التزامهم الوطني حيال السلطات التي تعلن تصديها للشيوعية، ودفاعها عن الديمقراطية في العالم، ذلك أن تقارير المراسلين كانت تشير إلى أن الحرب خاسرة، وأن الأمريكيين وحلفاءهم على تراجع، كذلك أظهر مراسلون أمريكيون كـ"سيمور هيرش" مجازر ارتكبها الجيش الأمريكي بحق مدنيين فيتناميين، في الوقت الذي كانت فيه التقارير الرسمية الصادرة عن القيادتين العسكرية والسياسية تدّعي عكس ذلك، وهكذا أخذت الصحافة منحى جديداً بتأكيد دورها في إظهار الحقيقة من خلال معرفتها المباشرة للوقائع والتشكيك بالمعلومات المتداولة.

مما سبق يعد التحقيق الصحفي الاستقصائي جديد الصحافة الحديثة، وإن كان التاريخ يحدّث أن **التحقيق الصحفي فن قديم في الصحافة الأوروبية**، فيذكر عن "ديفو" أنه أول من اهتدى إلى هذا الفن في الصحافة الإنجليزية، ثم أتى بعده "ثور تكليف" عام 1896 الذي جعل منه ركناً هاماً في صحيفته الشعبية "ديلي ميل"، أما في فرنسا فكان التحقيق الاستقصائي الميداني الأول ما أجراه الصحفي في جريدة "لوفيغارو" "بيار جيفار" عام (1883) حين تقصى ما يقوم به صهر رئيس فرنسا جيل غرافي من تأسيس سلسلة من الصحف في المناطق الفرنسية، وقد بقي موضوع التحقيق الصحافي موضوع انتقاد لسنوات طويلة على اعتبار أنه ينحو بالصحافة نحو الثرثرة والوقائع غير المهمة، فالصحافة التي كانت في بداياتها تتركز حول المواقف والعقائد والدعاية السياسية راحت شيئاً فشيئاً تخرج من نطاقها لتعطي مكاناً أوسع للمعلومات من كل نوع، ثم وبفضل المنافسة انطلق "السبق الصحفي" حيث راحت كل صحيفة تحاول أن تعطي قراءها أكثر من غيرها، ما يعني

أن المنافسة وتوسيع دوائر توزيع الصحف كان لها دورها في التركيز على الجريمة والفضائح، وبخاصة من قبل الصحافة البريطانية والأمريكية تحت غطاء تقديم صورة موضوعية عن المجتمع، وحراسة القيم الكونية، وترويج الفضيلة والكشف عن الرذيلة، وهنا يذكر "مارك هنتر" في ورشته التدريبية (عمان/2014) أنه خلال هذه الفترة، وعبر تغطية الحرب الأمريكية الإسبانية ظهرت **صحافة التخفي** "Under Cover"، وأبرز من استخدم هذا أسلوبها "نيللي بلاي، ووليام. ت. ستيد".

الدور الأمريكي في الصحافة الاستقصائية:

مهما كانت التحقيقات البدائية في العالم مختلفة النسب، إلا أنه يمكن القول إن **الولايات المتحدة الأمريكية تعد رائدة الصحافة الاستقصائية**، فهي من أسس لظهورها على الرغم من أنها ليست من اخترعها، وذلك وسط تباين وجهات نظر الباحثين في تأريخ انطلاق هذا الفن حتى أن بعضهم ربطه بعام 1690 عندما كشفت صحيفة "الأحداث العامة" تعرض الجنود الفرنسيين للتعذيب الوحشي على أيدي القبائل الهندية الحمراء المتحالفة مع الجيش البريطاني في الأراضي الأمريكية.

عموماً يعاد ظهور الصحافة الاستقصائية Investigative Journalism إلى بداية تطور مفهوم الصحافة ودورها في المجتمع واتجاهها إلى الإبراز والتركيز والتحري عن قضايا معينة تحدث في المجتمع، ولاسيما في جوانب الانحراف والفساد، ونتيجة لذلك سُمي **محرروها "المنقبين عن الفساد" "muckrakers"**، كمجموعة من الصحفيين الذين قادوا حملات صحفية مهمة ضد الفساد وتحديداً عام 1901 حين أدى التوسع الصناعي السريع إلى الكثير من أنواع الظلم، وكانت الاحتكارات موضع قلق عاماً، ورأى فيها بعض المراقبين تحالفاً غير سديد بين التجارة والسياسة، واعتمد هؤلاء في حركتهم الصحفية على نشر التحقيقات الصحفية الكاشفة المبنية على وثائق رسمية وخاضعة لمراقبة الخبراء، وبرزت حركة "المنقبين عن الفساد" كقوة مهمة عام 1906، ثم بلغت قمة النجاح عام 1911، ثم تبددت عام 1912، فقد ملها الجمهور لكثرة الضغوط المالية على بعض الصحف، كما بدأ إصلاح بعض المساوئ التي تم كشفها، وبخاصة أن ثمة تجاوزات عدة خلال مراحل مختلفة شابت عمل الاستقصائيين، ولاسيما بين الحربين العالميتين، والتي شهدت بروز ما يسمى "بالمبتزين" الذي يستغلون الأخطاء لمص دماء مرتكبيها ما زاد من الحاجة إلى ربط التقصي بالأخلاقيات، والممارسات الاستقصائية بمواثيق شرف المهنة.

إذاً **بدأت عملية التحري وإعداد التحقيقات الصحفية بداية القرن العشرين** بفضل الجهود التي بذلها "المكراكرز"، ولذا يعد العديد من الكتب مثل كتاب الغابة لـ "إبتون سنكلير" الذي كشف فيه عن الوسائل غير الصحية لتجهيز وتغليف اللحوم وصناعتها في شيكاغو، أساس كل التحريات لإعداد التحقيقات الصحفية، وما ينتج عنها، فعلى إثره صدر قانون الطعام والغذاء الذي ينظم هذه الصناعة، وجوهر هذا العمل هو البحث فيما

تقوم به كل من الحكومة وقطاع الأعمال في جميع قطاعاته ونقاط التقائهما، فالتحريات والتحقيقات التي تمت فيما عرف باسم "ووترغيت" وما أدت إليه من استقالة الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون تعد العلامة الفاصلة في إعداد التحقيقات الصحفية، ففي هذه التحقيقات أكثر من مجرد تاريخ، ذلك أن دراسة ما كتبه "سنكلير وإدوارد وهيرش" وغيرهم يضع خريطة طريق، وعلامات هادية لصحافة اليوم والمستقبل.

من جهته يعد الأدب الأمريكي في مجال الصحافة الاستقصائية نموذجاً للصحافة الاستقصائية في جميع أنحاء العالم، ومعه برزت أسماء مثل "إرنست همنغواي"، وهناك من يرى أن الصحافة الاستقصائية دخلت عصرها الحقيقي مع بداية السنوات الأولى من القرن العشرين بفعل قوتين شكلتا الحافز الرئيسي:
الأولى تتمثل في (زيادة الانعزال عن السلطة العامة في المجتمع الأمريكي في تلك المرحلة) خصوصاً من الطبقة الوسطى المتعلمة، وأدت الثورة الصناعية إلى مضاعفة تأثير ونفوذ هذه الطبقة على الحكومة والاقتصاد في الوقت نفسه.
أما القوة الثانية فتمثلت في (وصول المهاجرين إلى المدن الأمريكية)، فيما يذهب البعض إلى القول إن سوابق الصحافة الاستقصائية في الولايات المتحدة الأمريكية ترجع إلى السنوات الأخيرة من القرن السابع عشر على الرغم من أن بدايات الصحافة الاستقصائية الحديثة ترجع إلى مطلع القرن العشرين.
وعليه يمكن التأريخ للحالة الاستقصائية **بربطها بصحافة التنقيب عن الفساد** بين أعوام (1902-1914) بينما هناك من يربطها بالحركة التقدمية السياسية، وسيطرة الطبقة الوسطى على الحياة السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية، وغيرها من الدول، كما شهدت لمعاناً مع

تاريخ دخول التقصي إلى مناهج التدريس:

إدخال الصحافة الاستقصائية كعلم تدرس مناهجه بطريقة علمية ، يرجع إلى افتتاح "جامعة ميسوري" أول مدرسة للصحافة الاستقصائية في الولايات المتحدة عام 1908، ولكن تقنيات الصحافة الاستقصائية

استُخدمت بصورة محدودة، وركزت على القصص ذات الطابع المحلي، ولذلك في ستينيات القرن العشرين، عاودت الصحافة الاستقصائية الاهتمام بالتقارير ذات الاهتمام القومي في الولايات المتحدة بأكملها، وقد بلغت هذه الموجة أعلى معدل لها خلال عقد السبعينيات.
والخلاصة: تشير أدبيات الإعلام المعاصرة إلى أن مفهوم الصحافة الاستقصائية **انطلق منذ الستينيات (من القرن العشرين) مع "الرئيس تيودور روزفلت"** الذي أسماهم "الفضائحيين"، ممن ينقبون في أوساخ الحياة، وغسيلها القذر، وذلك استناداً إلى لقب "المكراكرز" وهي التسمية التي لاتزال تطلق على الصحفيين الاستقصائيين حتى اليوم.

هكذا أمسى فريق "المنظفين" أصحاب الحملة ضد الفساد والرشوة عملاً مؤسسياً، له أصوله ومبادئه ويسهم في تغيير الأوضاع، وهو عمل بحثي كالذي يتطلبه أي تحقيق صحفي لكن في العمق، لذلك بدأت الصحافة الاستقصائية في المرحلة الأولى من ظهورها باعتبارها نوعاً من الصحافة يبحث عن تعقب الفضائح والفساد، ويعمل للصالح العام كإعداد التقرير حماية المستهلك، ما أدى إلى تأثيرها على العديد من الأفراد من ذوي التوجهات السياسية، إضافة إلى أفراد كثيرين من الأعضاء في المجتمع.

التقصي وما بعد منتصف القرن التاسع عشر:

شهدت مرحلة الستينيات من القرن الماضي خطوة مهمة في تاريخ التقصي **مع ما دُعي بمسربي الأخبار (قارعو الناقوس)** "**whistle blowers**" وهم أشخاص يعملون في مؤسسة رأوا أو سمعوا أو اكتشفوا شيئاً، وأخبروا عنه، ومثال ذلك قضية الممارسات العنصرية في مدارس بوسطن (الموت في ريعان العمر)، والتي حفزت إصلاحات نظام التعليم الأمريكي، مع الإشارة إلى برنامج 60 دقيقة لشبكة "سي بي إس" (1968) الذي اشتُهر بهذا النوع من الاستقصاءات.

ومع نهاية الستينيات وبداية السبعينيات من القرن الماضي طَورت الوسائلُ الاتصالية البديلة أو المعارضة حزبية وغير حزبية، أساليبَ إنتاجية وفنية جديدة لعرض المضمون الإعلامي متمثلة في التغطية الاستقصائية والتفسيرية للأخبار، كما لجأت إلى تطوير أساليب الكتابة الصحفية، فظهرت تيارات صحفية جديدة قضت على الأساليب التقليدية لصياغة الأنواع الإعلامية.

وخلال فترة سبعينيات القرن العشرين انتشرت الصحافة الاستقصائية في الولايات المتحدة الأمريكية لأسباب متعددة منها: الدعم المالي الذي حصلت عليه الصحافة، حيث أصبح منذ عام 1968 هناك منظمة أو صندوق مستقل يموّله المؤسسات والأفراد، Fund Of Investigative Journalism ونجح هذا الصندوق في تمويل أكثر من 60 مشروع تغطية استقصائية خلال الفترة من أيلول/سبتمبر عام 1971 حتى أيلول/سبتمبر 1973، كشفت عن أوجه نشاطات قابلة للمناقشة تتصل بالأوضاع المريبة في النشاط الاقتصادي والحياة السياسية، وعن فساد الحكومة.

وعلى إثر ذلك تشكلت العديد من الهيئات والاتحادات للمحررين الاستقصائيين بهدف تشجيع الصحافة الاستقصائية، وتنميتها وبخاصة في ظل الخطر الذي يتعرض له الصحفيون المنقِّبون عن الفساد في سعيهم من أجل تعزيز الشفافية والحكم المسؤول والحد من الفساد، أثمرت عام 1976 عن تأسيس اتحاد المندوبين والمحررين الاستقصائيين (Investigative Reporters & Editors :IRE) كجماعة صحفية لا تهدف إلى الربح، وذلك على يد مجموعة من المحررين الاستقصائيين بهدف تشجيع الصحافة الاستقصائية وتنميتها، مع تطوير مركز للموارد يضع خدمات ونشرة إخبارية عن الموضوعات الاستقصائية إلى جانب دليل للخبراء

وبعض الخدمات الأخرى، ومع نهاية عام 1976 شكلت الجماعة فريق عمل صحفياً بقيادة محرر جريدة Newsday الشهير "روبرت غرين" Robert Green لإجراء تغطية استقصائية عن الجرائم التي أدت إلى اغتيال "بالستون" Ballston محرر جريدة Arizona Republic، فبعدما كتب "دونبوز" في صحيفة ولاية أريزونا تحقيقاً عن المافيا والذي كان يقوم باستقصاء حول نشاط الجريمة المنظمة في الولاية قُتل إثر انفجار قنبلة وُضعت داخل سيارته في سياق الجرائم المنظمة التي كانت تقوم بها المافيا هناك، ونتيجةً لهذه الحادثة تحركت جمعية المحررين الاستقصائيين، وجندت عدداً كبيراً من الصحفيين لمتابعة التحقيق الذي بدأه "دونبوز"، وقرر 50 صحفياً في الولايات المتحدة الأمريكية الرد على هذه الجريمة عبر الذهاب إلى أريزونا وكتابة تحقيقات استقصائية تكشف جرائم المافيا وأسماء رجالاتها، وبعد 6 أشهر أرغمت المحاكم على التحرك وإلقاء القبض على المجرمين وسوقهم للمحكمة.

ويروي "دايفيد كبلان" رئيس اتحاد الصحفيين الاستقصائيين من صحيفة "يو إس نيوز" التي تطبع يومياً مليوني عدد، ويصل عدد قرائها إلى 10 ملايين عام 1976: "إن نشأة هذا النوع من الصحافة لم تكن سهلة، بل جاءت ثمرة نضال، فمنذ 50 عاماً كان الفساد يعم أمريكا والرشاوى قائمة، حتى رجال الشرطة كانوا يقبضون الرشوة، ما يُرجع الفضل إلى هذا النوع من الصحافة في العديد من الإصلاحات التي تمت في المجتمع الغربي حيث مع مطلع السبعينيات من القرن العشرين بدأت الصحف الأمريكية بشكل متزايد في تشجيع المحررين ذوي الخبرة على التحرر من القصص الروتينية لكي يستطيعوا معالجة القضايا والموضوعات ذات المغزى والتي تتطلب وقتاً أكثر وخبرة أوسع.

ويعِد الكثير من مؤرخي الصحافة الاستقصائية اليوم أن الأمريكي "سيمون هيرش" رائد الصحافة الاستقصائية في العالم، وهو الذي كشف عن مذبحة ماي لاي في فيتنام عام 1969، وكذلك وقوف أميركا وراء الخلافات الطائفية بين السنة والشيعة في لبنان، إضافة إلى تفجيره فضيحة سجن أبو غريب في العراق.

تاريخ التقصي بعد الوترجيت:

في المقابل ثمة من يربط دخول الصحافة الاستقصائية **بمنحى جديد بعد التقرير الاستقصائي الذي فجره الصحفيان الأمريكيان "بوب وودوارد وكارل برنشتاين"** "Bob Woodward & Cary Bernstein" في جريدة الواشنطن بوست "The Washington Post"، تحت عنوان (كل رجال الرئيس)، والمتمثل "بفضيحة ووترغيت"، حيث لعب المراسلان أدواراً حاسمة في كشف ما يُعرف بأخطر فضيحة في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بعدما توصلا عبر تحرياتهم إلى قرائن خلفتها سرقة في مبنى للمكاتب في "ووترغيت"، وقد دفعت التقارير الإخبارية الخاصة بالسرقة، الكونغرس الأمريكي إلى بدء تحقيقات أدت في نهاية الأمر إلى إجبار الرئيس الأمريكي "ريتشارد نيكسون" على الاستقالة من منصبه تحت تهديد عدم أهليته للحكم بعد إدانته هو وكبار معاونيه عام 1974، على خلفية فضيحة التجسس على مكاتب الحزب الديمقراطي المنافس، وبذلك

تركت "الفضيحة" تأثيراً عميقاً على مهنة الصحافة، ودفع الشباب الذين تأثروا بأسلوبها المعتمد على المصادر الداخلية إلى الالتحاق بأقسام الصحافة الاستقصائية بالمؤسسات التي يعملون بها، وكذلك لقي التخصص في الجامعات إقبالاً، وهذا أسس لظهور ما سُمي بكتابة التقرير من الداخل ما ثبت أن الحقائق أقوى من الرأي على الرغم من محاولات تكذيبه، وبالتالي يعِد البعض أن تاريخ الصحافة الاستقصائية دخل بعد هذا التاريخ مرحلة نوعية حيث **أضحى يقسم منذ ذلك الحين إلى قسمين:**

- التقصي **(قبل)** "الووترغيت".
- و**(بعد)** "الووترغيت".

صنع هذا التقسيم صورة ذهنية مختلفة للصحفي الاستقصائي، وأعاد تشكيل جوانب أساسية في مهنة التقصي على الرغم من الأساطير التي تختلف عن الواقع والمنقولة عن القضية، وبالتالي تفاوتت معدلات الاستقصاء (التحقيقات الصحفية) على مدى القرنين الماضيين بصورة واضحة حتى تاريخ الفضيحة الكاشفة عن أوراق البنتاغون.

وفي عام 1980 شكل بدء رواج استخدام تقنيات الحاسب الآلي لجمع المعلومات نقلة جديدة للصحافة الاستقصائية بعدما وجد الصحفيون أنفسهم أمام نظام تكنولوجي جديد، ومهام ومسؤوليات أخرى، وبالرغم من تفاوت استعداد تبني هذه الوسائل إلا أن الاهتمام بدأ يتزايد برؤية "ماير" وزملائه، حتى أصبح مفهوم التغطية الاستقصائية باستخدام الكمبيوتر يشتمل على جمع وتحليل المادة الصحفية عن طريق وسائل وقواعد البيانات الإلكترونية، وتحليل السجلات الإلكترونية العامة، وبناء قواعد معلومات نموذجية موثقة.

وصاحب هذا التطور للصحافة الاستقصائية نمواً متزايداً في توظيف الحاسبات الإلكترونية لأغراض تصنيف المعلومات والبيانات الكثيرة التي يحصل المحررون الاستقصائيون عليها، وتحليلها بشكل يساعدهم على الوصول إلى خلاصات كمية دقيقة، وقد ساعد على ذلك انتشار استخدام المؤسسات الحكومية والمؤسسات الخاصة للحاسبات الإلكترونية في تخزين المعلومات وتصنيفها واسترجاعها، ما أتاح إمكانية الحصول عليها بنفقات قليلة أو من دون نفقات على الإطلاق.

وبحلول عقد التسعينيات من القرن الماضي أصبحت الصحافة الاستقصائية نمطاً متميزاً، وقدمت كليات الصحافة والإعلام وأقسامُها المتخصصة مناهج دراسية تتناول هذه الصحافة ومبادئها.

وخلال السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين أدت شبكة الإنترنت إلى تغيير كيفية تقديم القصص الاستقصائية حيث تظهر الدراسات أنه على الرغم من أن حجم ومضمون القصص الاستقصائية على الشبكة العنكبوتية لم يرتفع بصورة ثابتة خلال تلك السنوات إلا أن القدرة على القص تطورت، أي القدرة على عرض المعلومات بصورة مترابطة ومشوقة (تحسن صياغة تقاريرها)، فضلاً عن إتاحة المجال لاستخدام المعلومات، وروابط الوثائق، واللقطات المصورة، وكذلك الخرائط والرسوم، وبحلول العقدين الأخيرين حددت الأدوات الرقمية

كيفية قيام المحررين بجمع المعلومات من خلال دوائر المعارف، وكذلك قدمت الإنترنت أدوات جديدة ومؤثرة، وبخاصة فيما يتعلق بالتواصل وتوفير الرسوم والخرائط والوثائق وقواعد البيانات.

التقصي في الألفية الجديدة:

يذكر أنه حديثاً – مع دخول الألفية الجديدة – استمر تشكيل العديد من الهيئات والاتحادات للمحررين الاستقصائيين، بهدف تشجيع الصحافة الاستقصائية وتنميتها، ولاسيما في ظل الخطر الذي يتعرض له الصحفيون المنقّبون عن الفساد في سعيهم من أجل تعزيز الشفافية، والحكم المسؤول والحد من الفساد، ولعل أهمها شبكة الصحافة الاستقصائية العالمية Global Investigative Journalism Network سنة 2001، التي تشكلت على هيئة منتدى لتبادل أفضل الممارسات في مجال الصحافة الاستقصائية، وسرعان ما تطوّر إلى ظاهرة مُدهشة، إذ ظهر أن أسلوب التحقيق الصحفي الاستقصائي القائم على حكاية ما تنطلق من فَرَضية، وكان منهجاً بصدد التجريب في بلدان عدة، ومن الأعضاء المؤسسين: "مارك هنتر" أستاذ الإعلام والصحافة الاستقصائية في جامعة باريس الثانية، وبيا ثوردسون عضو مجلس إدارة جمعية الصحفيين الاستقصائيين في الدانمرك، ونلز ميولفاد من المعهد الدانمركي للتغطية الإعلامية المدعومة بأجهزة الكومبيوتر، وبرانت هيوستن من منظمة محرِّرون وإعلاميون استقصائيون Reports and Editors Investigative، وعليه كان لهذه الهيئات والاتحادات دورُها في دعم الصحفيين الاستقصائيين، حيث باتوا أكثر عرضة للتهديد والقتل، حتى أنه خلال عام 2001 اغتيل 15 صحفياً لأسباب تتعلق بأعمال استقصاء عن قضايا الفساد وذلك من بين 68 صحفياً قتلوا في ذلك العام، وهذا رقم ينذر بالخطر.

التقصي على الساحة العربية:

أما على **الساحة العربية** فإن هذا اللون من الصحافة مارسته الصحافة العربية بشكل غير منهجي وبدرجات متفاوتة عبر تاريخها، وكانت أكبر تجلياته الكشف عن فضيحة الأسلحة الفاسدة التي تم تزويد الجيش المصري بها في مواجهته مع إسرائيل عام 1948، تلك الفضيحة التي فجرها الكاتب الصحفي "إحسان عبد القدوس" عام 1949.

خلاصة مراحل تطور الصحافة الاستقصائية:

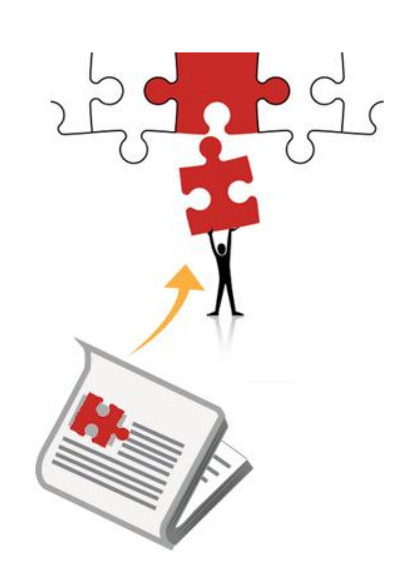
يلخص محمد أبو حشيش المراحل التي مرت بها الصحافة الاستقصائية على النحو التالي:

1. المرحلة الأولى: الجذور عبر الممارسات في الصحافة التقليدية: وتمثلت في المواد الصحفية التي عالجت الظواهر الغامضة، وهذه كانت حاضرة منذ القدم في التجربة الصحفية الأمريكية مثل كشف صحيفة "الأحداث العامة" عام 1690 تعرض الجنود الفرنسيين للتعذيب الوحشي على أيدي القبائل الهندية الحمراء المتحالفة مع الجيش البريطاني في الأراضي الأمريكية.
2. المرحلة الثانية: الصحفيون المنقبون عن الفساد: وهي حركة صحفية بدأت عام 1901، وبرزت كقوة مهمة عام 1906، ثم بلغت قمة النجاح عام 1911، وتبددت عام 1912.
3. المرحلة الثالثة: انطلاق مفهوم الصحافة الاستقصائية: وكانت هذه في مرحلة السبعينيات وفيها تشكلت هيئات واتحادات خاصة بالصحافة الاستقصائية، وتم فتح تخصصات أكاديمية في المجال.
4. المرحلة الرابعة: ترسيخ حضور الصحافة الاستقصائية: وتمثل ذلك في أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات بزيادة دور الحاسوب والإنترنت وتوظيفهما كأدوات لجمع البيانات وتحليلها، وتوظيف مناهج البحث العلمي.

ثالثاً: أهم العوامل التي أدت إلى ظهور الصحافة الاستقصائية

يمكن تحديد أهم العوامل التي أدت إلى ظهور التقصي وتطوره وازدهاره، على النحو التالي:

- ازدياد الطابع المعقد للكثير من القضايا والظواهر والمشكلات، وبروز الحاجة الماسة إلى تشخيصها وتحليلها، وتفسيرها وتقييمها، والبحث عن حلول لها ولاسيما مع التطورات السياسية المتلاحقة.
- ارتفاع المستوى التعليمي والثقافي للمتلقي المعاصر، وتنوع وتعدد حاجاته الإعلامية، وازدياد خبراته الاتصالية.



- ازدياد اهتمام الفكر الاجتماعي بمعالجة الأحداث والظواهر والقضايا والمشكلات في مختلف المجالات، وبروز فكر الضمير الاجتماعي والقيم الأخلاقية للمجتمع ومحاربة الرذيلة والفساد.

- ظهور الصحافة النوعية الجادة وتطور المجالات العامة والمتخصصة الأكثر مقدرة على إشباع الحاجات الإعلامية لمتلقٍ نوعي مثقف ومهتم، من خلال تقديمها معالجات جدية لموضوعات جدية.
- تزايد أهمية الدور الذي يؤديه الإعلام في حياة الفرد والمجتمع، وتحولها إلى فعالية فكرية إبداعية قادرة على الإسهام في مواجهة المشكلات وتطورات معالجتها وتفسيرها، وتقديم الحلول لها.

رابعاً: تاريخ التقصي (إنهاء الخطر في حياة الخطر)



لعل تاريخ المهنة السابق ورموزها يؤكدون معاناة الصحفيين الاستقصائيين وجلَدهم الطويل، وبالرغم من أنه لا توجد مهنة بلا خطر، لكن يبقى الاستقصائيون أكثر عرضة للملاحقة القضائية، كما حدث على سبيل المثال مع "مارك فينارو وادا" الذي كتب تحقيقاً استقصائياً في صحيفة "سان فرانسيسكو كرونيكل" أعدّه على مدى ثلاثة أعوام، كشف فيه عن تناول كثير من الرياضيين المنشطات، فتعرّض للمحاكمة بغية معرفة المصادر التي استقى منها معلوماته.

لكن هناك نماذج أخرى مهمة تجب الإشارة إليها ممن أنقذت حياة الملايين من الناس، وأبعدتهم عن الخطر، سواء في السياسات وفساد السياسة أم التي لا تقل أهمية عن التحقيقات في مجال السياسة، ولاسيما في مجالات أخرى خارج هذا الإطار، ومنها ما يورده "مارك هنتر" في ورشته التدريبية بعمان / التابعة لشبكة أريج / ضمن الشأن الاقتصادي، ومثاله الناشط المعروف "رالف نادر" الذي تمكن في الستينيات من إطلاق حملة على شكل تحقيقات استقصائية مدعمة بالإحصائيات والبراهين تكشف الخلل المصنعي في بعض السيارات التي أدت إلى حوادث بسبب السرعة، وتمكّن من خلال مجهوده الكبير في التأثير على صناعة السيارات في الولايات المتحدة وغيرها من الدول، ما أدى عبر هذه التحقيقات الاستقصائية إلى موجة من التصحيحات المصنعية في صناعة السيارات، وإنقاذ أرواح الناس، لينشر تحقيقاته إثر ذلك في كتب خلاصتها: "قد تعرض مرة حياة شخص واحد أو فريق واحد للخطر، لكنك بكل تأكيد ستنقذ مرات ومرات مئات الأشخاص من خطر أكبر بكثير".

خامساً: محطات إذاعية وتلفزيونية ذات فضل في تاريخ الصحافة الاستقصائية

دور BBC:



تعد محطة BBC البريطانية جزءاً من تاريخ الصحافة الاستقصائية، حيث يرجع إلى وحدة التقصي فيها الفضل في العديد من الاستقصاءات عبر برامجها التسجيلية كاختطاف مراسلة الفرانس برس من قبل تنظيم القاعدة عبر "عبد الرحمن المصري" الذي راهنها بحياتها على عدالة التغطية لعمليات المقاومة ضد القوات الأمريكية في العراق، فأشهدها لضرب طائرة نقل أمريكية في مطار بغداد بصاروخين يطلقان من على الكتف، إضافة إلى غرق الغواصة الروسية النووية "كورسك" في المحيط، وما أثارته من ضجة حول حياة 120 غواصاً كانوا على متنها، وكفن دافنشي، الذي يبين لعبة ليوناردو دافنشي في صناعته كفناً يظن الجميع في كنسية دي كابري بنابولي أنه يعود إلى السيد المسيح، وفساد أجهزة الكشف عن المتفجرات في العراق ومستورديها، إضافة إلى تحقيق "خلف جدران الصمت" للصحفية العربية الأردنية "حنان خندقجي" الذي طال دُور رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة في الأردن، حتى أن البعض يقول إن أول تحقيق إذاعي استقصائي يرجع إلى بدايات المحطة، حين تقصت عن تقصير "جهاز الأمن البريطاني "الإسكتلنديار" لواجباته، فاستأجر المراسلان غرفة مطلة على المبنى الرئيسي للجهاز، وأقاما اتصالاً هاتفياً على الهواء مباشرة، يخبران فيه عن جريمة قتل، وفيه سأل المراسل زميله في بث حي، كم يستغرق وصول وحدة الإنقاذ، فرد عليه "إذا صعدا بالسيارة سيحتاج إلى دقائق، لكن إذا جاؤوا مشياً فسيتطلب ذلك ثوان معدودات، لأنها ليست بحاجة إلى تحريك السيارة أمتاراً ثم ركنها"، وعلى الرغم من تصعيد المراسلَين الحملة المفترضة، ونقلها إلى سطو مسلح، ثم تحدثهما عن اختطاف رهائن، وإطلاق داخل الاستديو ما يعبر عن إطلاق نار، لم يصل الأمن البريطاني إلا بعد ما يربو عن 15 دقيقة، وهذا اعتُبر تقصيراً، ليفاجَأ الواصلون بخدعة المحطة، وقد أثار هذا التحقيق موجة غضب لتقاعس الأمن بواجباته، ما ألزم الملكة "إيزابيل" للتدخل وعزل المسؤولين عن التقصير، في تغييرات طالت رأس الجهاز وصلبه من الأساس.

دور ABC:



اشتُهرت ببرنامج 60 دقيقة المبني على استقصاءات "المسربين، والتخفي" الذي عُد أشهر برنامج إخباري استقصائي في التاريخ، كما قاد فريق إعلامي تحقيقاً استقصائيًا بالمحطة على مدى عامين بين إسطنبول وجاكرتا وأمريكا عن إمكانية دخول مواد خطرة منها اليورانيوم عبر مستوعبات نُقلت بحراً

ودخلت الأراضي الأمريكية مرتين عامي 2003-2004 من دون أن تلتقطها أجهزة الإنذار، حين بُث التحقيق الذي بلغت كلفته 100 ألف دولار وشكل فضيحة كبرى.

وهنا يُذكر أن العديد من المحطات ووكالات الأنباء الضخمة سار على نهج المحطتين السابقتين عبر وحدات استقصائية، كان لتحقيقاتها صرخات مدوية في عالم صاحبة الجلالة (الصحافة التلفزيونية والمسموعة والمطبوعة)، وصولاً اليوم إلى الصحافة الإلكترونية.

الخلاصة

يعد ظهور مصطلح الصحافة الاستقصائية حديثاً نسبياً، كمرادف للتحقيقات المعمقة التي يسعي فيها الصحافيون إلى كشف أمور خفية على الجمهور بسبب فاعل وفعل مبيت، ولعل أبرز محطات الصحافة الاستقصائية تجلت خلال حرب فيتنام (1975_1965)، التي شكلت مرحلة هامة في هذه الصحافة الجديدة، وتطورها في أواخر الستينات، وإن كان التاريخ يحدث أن التحقيق الصحفي فن قديم في الصحافة الأوروبية، لكن مهما كانت التحقيقات البدائية في العالم، مختلفة النسب، إلا أنه يمكن القول أن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر رائدة الصحافة الاستقصائية، وعموماً يعاد ظهور الصحافة الاستقصائية إلى بداية تطور مفهوم الصحافة، ودورها في المجتمع واتجاهها إلى الإبراز والتركيز والتحري عن قضايا معينة تحدث في المجتمع، خاصة جوانب الانحراف والفساد، ونتيجة لذلك سمي محرروها "المنقبين عن الفساد" "muckrakers"، وبالتالي فإن مفهوم الصحافة الاستقصائية انطلق منذ ستينيات (القرن العشرين) مع "الرئيس تيودور روزفلت"، الذي أسماهم "الفضائحيين"، ممن ينقبون في أوساخ الحياة، وغسيلها القذر، وذلك استناداً إلى لقب "المكراكرز" التسمية التي ما تزال تطلق على الصحفيين الاستقصائيين حتى اليوم.

وعليه يمكن تحديد أهم العوامل التي أدت إلى ظهور التقصي وتطوره وازدهاره إلى ازدياد الطابع المعقد للكثير من القضايا والظواهر والمشاكل، وبروز الحاجة الماسة إلى تشخصيها، وتحليلها، وتفسيرها، تقييمها، والبحث عن حلول لها، خاصة مع تزايد أهمية الدور الذي يؤديه الإعلام في حياة الفرد والمجتمع.

التمارين

1. اختر الإجابة الصحيحة:

بدأ التوجه الجديد في الصحافةالاستقصائية مع المنحى "الانكلوسكسوني" الذي أدخل

A. مفهوم التقصي منذ العام 1836 .

B. مفهوم المقابلة منذ العام 1836 .

C. مفهوم المصادر المفتوحة منذ العام 1836

D. مفهوم التحري منذ العام 1836 .

الإجابة الصحيحة: B. مفهوم المقابلة منذ العام 1836.

2. اختر الإجابة الصحيحة:

أكثر مصطلح امتازت به الصحافة الاستقصائية عبر تاريخها الطويل هو

A. الفضائحيون.المنظفون.

B. مسربو الأخبار.

C. قارعو الناقوس.

D. المنقبون عن الفساد.

الإجابة الصحيحة: D. المنقبون عن الفساد.

3. اختر الإجابة الصحيحة:

يرجع إدخال الصحافة الاستقصائية كعلم تدرس مناهجه بطريقة علمية إلى

A. افتتاح "صحيفة الواشنطن بوست" أول قسم للصحافة الاستقصائية.

B. افتتاح "مركز أبحاث تاي " للصحافة الاستقصائية.

C. إطلاق أول تحقيق قلب مفاهيم التقصي متمثلاً بفضيحة الرئيس جورج واشنطن.

D. افتتاح "جامعة ميسوري" أول مدرسة للصحافة الاستقصائية.

الإجابة الصحيحة: D. افتتاح "جامعة ميسوري" أول مدرسة للصحافة الاستقصائية.

الوحدة التعليمية السادسة

أبرز رموز الصحافة الاستقصائية وخلاصة تجاربهم

الأهداف التعليمية:

بعد دراسة هذه الوحدة التعليمية يجب عل الطالب أن يكون قادراً على أن:

- يعدّد أهم الاستقصائيين في تاريخ المهنة ويشرح عنهم
- يعدّد أهم استقصائي اليوم ويشرح عنهم

النقاط البحثية للوحدة:

- أهم الاستقصائيين في تاريخ المهنة مثل: (نيللي بلاي، وجونتير فالراف، وسيمور هيرش، وآنا ماري كاستيريه، وبوب وودورد وكارل برنشتاين وتجربتهما في "الووترغيت"، شون. ت. شيفر، ووليام. ت. ستيد، وجيمس ستيل، ودونالد بارليت، وروبرت غرين، ولو كيلزر).
- المحطات الإذاعية والتلفزيونية ذات الفضل في تاريخ الصحافة الاستقصائية.
- رموز الصحافة الاستقصائية المعاصرة: إليوت هينز، وميرندا باتريك ونموذج أفضل تحقيق استقصائي للعام 2015 الحائز على شبكة المحررين الدوليين: (التسريبات السويسرية.. تسريبات لوكسمبورغ).

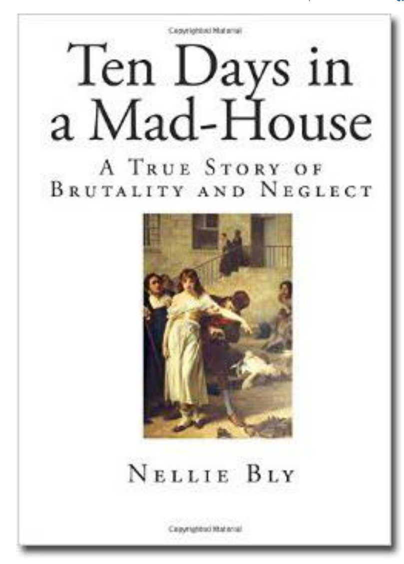
الكلمات المفتاحية للوحدة:

تاريخ الصحافة الاستقصائية – مراحل تطور الصحافة الاستقصائية – عوامل ظهور التقصي – أهم الاستقصائيين – نيللي بلاي – جونتير فالراف – سيمور هيرش – وآنا ماري كاستيريه – بوب وودورد – كارل برنشتاين – الووترغيت – شون. ت. شيفر – وليام. ت. ستيد – جيمس ستيل – دونالد بارليت – روبرت غرين – لو كيلزر – محطات استقصائية – إليوت هينز – ميرندا باتريك – التسريبات السويسرية.

أولا: أهم الاستقصائيين في تاريخ المهنة

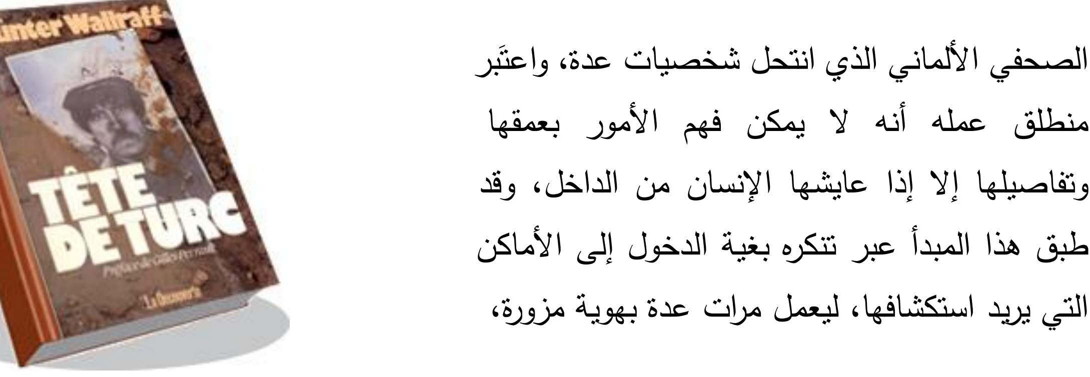
تتعدد الأسماء التي أضفت على تاريخ مهنة التقصي الطويل رونقها، وكان لتجربتها العامل الأساس في تطور المهنة، وسيحاول هذا (المطلب البحثي) تقديم أبرز الأسماء المختارة على كثرتها، من خلال عرض تجربتها لاستنباط الدروس والعبر، بعيداً عن مجرد السرد التاريخي:

نيللي بلاي "Nellie Bly" استقصائية التخفي الأولى في العالم:



بدأت بالكتابة لصحيفةPittsburg Dispatch عام 1985 بعد أن عملت في سبعينيات القرن العشرين في مطبوعة نيويورك وورلد New York World، وقد ادعت المرض بالجنون، لتكتب مقالات تحت عنوان: "عشرة أيام في مستشفى المجانين"، ودخلت المصحة التي وصفتها بمقبرة الأحوال الحية، وكشفت فيها عما يتعرض له المجانين من إذلال وتعذيب، إضافة إلى وجود الكثير من العقلاء فيها الذين دفعتهم الحياة للتظاهر بالجنون فوقعوا في قسوة المستشفى، علماً أن "بلاي" ادعت الجنون وعاشته فترة كي تقنع الناس قبل نقلها إلى المستشفى بجنونها، ولا يشك فيه أطباء المستشفى ونزلائها أبداً، ما سهل لها إتمام مهمتها على أكمل وجه، قبل أن تنتقل للتخفي بأدوار عدة **جعلتها استقصائية التخفي الأولى في العالم،** فبفضل تحقيقها دخل خزينة الإدارة العامة للجمعيات الخيرية 850 ألف دولار من التبرعات بعد نشر الاستقصاء، ثم أصدرت بعد ذلك كتاباً كاملاً عن التجربة التي عاشتها أسمته "عشرة أيام في بيت المجانين" Ten Days in Mad House.

جونتير فالراف Gunter Wallraff :





الصحفي الألماني الذي انتحل شخصيات عدة، واعتَبر منطلق عمله أنه لا يمكن فهم الأمور بعمقها وتفاصيلها إلا إذا عايشها الإنسان من الداخل، وقد طبق هذا المبدأ عبر تنكره بغية الدخول إلى الأماكن التي يريد استكشافها، ليعمل مرات عدة بهوية مزورة، كما في صحيفة" "بيلد"، وقد نشر بعدها كتاباً بعنوان "الصحفي المنبوذ"، كما دخل إلى مأوى مدمن كحول، وعاش تجربة مشرد دون منزل، وحالة طالب يحتاج إلى غرفة للإيجار وعمل، كما حاول الوصول إلى المعلومات من الشركات والمؤسسات والدوائر عبر اتصالات هاتفية، مدعياً أنه يتصل من مكتب وزير أو مسؤول رسمي، وهدفه من جميع هذه الشخصيات كشف معاناة الناس، وكيفية تعامل الآخرين معهم، وآليات عمل المجتمع، وقادته هذه الأساليب مرات عدة إلى المحاكم مدافعاً عن نفسه انطلاقاً من حق الناس في معرفة الحقيقة، وأوضح أن طريقته هي الوسيلة الوحيدة والأفضل التي تتيح الوصول إلى حقائق المعلومات، وقد توج تحقيقاته الاستقصائية في منتصف الثمانينيات بكتاب لخص فيه استقصاءه الأشهر" الرأس التركي" "Tete de Turc"وفيه تقمص شخصية مهاجر تركي، لتكشف معاناتُه سوء معاملة العمال الأتراك وهضمَ حقوقهم كعمالة في أوروبا، حيث تبين من خلال تحقيقات أولية أجراها أن العمال الأجانب في بلاده "ألمانيا" يعامَلون في الشركات والمصانع بطريقة مختلفة عن العمال الألمان، ما دفعه إلى استكشاف الأمر ميدانياً لتحديد ظروف عمالة الجالية التركية في بلاده، وعليه اتخذ هوية عامل تركي اسمه "علي سينيرغليو"، ببشرة حاذقة، وشعر وشاربين أسودين، وبلغة ألمانية مكسرة، ليقدم نفسه للحصول على وظيفته الأولى، وهو على أهبة الاستعداد لعمل أي شيء كسباً لقوت الحياة مهما كان العمل قاسياً ووسخاً وملوثاً، وهو حال وواقع يعيشه كل العمال الأتراك في البلاد الألمانية.

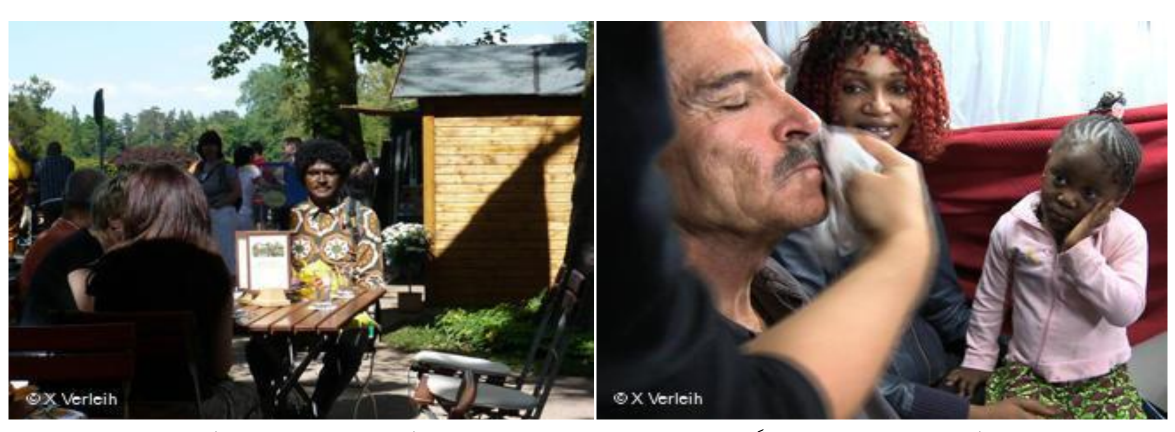
وطوال سنتين تنقل فيها جونتير في وظائف متعددة، وصل إلى خلاصة القهر والتمييز العنصري والإهانات، وجهنم على الأرض نتيجة قسوة أرباب العمل، وشملت أعماله تنظيف الحمامات في مطاعم ماكدونالد، وفأر اختبار لمختبر طبي، وعامل مصنع تنظيف صناعي 16 ساعة، وبنّاء، وعاملاً في محطة نووية، ليكتشف في النهاية أن أياً كان القطاع المهني فإن العمال الأتراك يعاملون برواتب أقل، ومواقع أخطر، وساعات عمل أطول، وصعوبة تحصيل المستحقات، وهنا يشار إلى أن هذه النتيجة التي تحصل عليها فالراف كانت نتيجة رواية معاناة العمال الأجانب (لا كما يراها الألمان بل كما يعيشها أصحابها)، فكان تحقيقه أداةً لتغيير في سلوكيات أرباب العمل في أوروبا، وتغيير تشريعات السوق الأوروبية.

وعلى الرغم من الجوائز العديدة التي حققها الصحفي، وأهمها الجائزة الأدبية لحقوق الإنسان في فرنسا، لكن هذا لا يلغي الأمراض الجسدية التي أصابته نتيجة التخفي، والعمل في ظروف قاسية.

يُذكر أن تعبير (الرأس التركي) يعود إلى القرن التاسع عشر حين كان أحد أنشطة الكريسمس والاحتفالات القروية في فرنسا يقوم على وضع شكل رأس إنسان ملفوف بزي تركي، يُستخدم للضرب عليه، بهدف قياس قوة الضربة، إضافة إلى كون المعنى المتداول لرأس التركي يدل على السخرية والتهكم والشخص المنبوذ، الذي يمكن تحميله أخطاء الآخرين، كما يشار إلى أن "فالراف" امتاز بمواقفه المدافعة عن القضايا الإنسانية، فقد امتنع عن الخدمة العسكرية في بلاده رافضاً حمل السلاح، كما تضامن مع المعتقلين السياسيين خلال الحكم العسكري لليونان، وفشل في إجراء تحقيقات عن الوضع الإنساني في الشيشان 2003 بعدما أبعدته السلطات الروسية، وأعادته في الطائرة نفسها التي أوصلته موسكو، وذلك نتيجة الكشف عن نشره مقالاً عن الشيشان، ما عده هو خطأ تكتيكياً فضح أمره، ومن هنا أكد لزومية تغيير طرق عمل الصحفيين، واللجوء إلى أساليب غير تقليدية للوصول إلى المعلومات الصحيحة في الصحافة الاستقصائية.
وفي هذا الإطار يشار إلى أن دور السينما الألمانية عرضت مؤخراً فيلماً للصحفي "غونتير فالراف" يسلط فيه الضوء على ممارسات عنصرية يومية في ألمانيا، وبطل الفيلم تنكر على مدى أكثر من عام في شخصية رجل صومالي يحمل اسم "كوامي أغونو" بعد أن قام بطلاء نفسه باللون الأسود، والفيلم بعنوان "أبيض على أسود "SCHWARZ AUF WEIß ما أثار العديد من علامات الاستفهام، إذ يصور الفيلم تجاربه داخل مجتمعه، حيث تلمس طريقه بين فئات المجتمع المختلفة متنكراً خلال تلك الفترة على هيئة شخص من أصول إفريقية للكشف عن العنصرية في حياة بطل الفيلم اليومية، ويتابع الفيلم محاولات أغونو لاستئجار شقة ما دفع المخرج "باغونيس باغوناكيس" الذي أشرف مع "سوزان ياغر" على إخراج الفيلم للقول في القناة الألمانية "دويتشه فيله": "بعد أربعة عشر شهراً أدركت مدى انتشار الممارسات العنصرية اليومية، والمقصود هنا ليست حوادث العنف التي نقرأ عنها في وسائل الإعلام فحسب بل تلك التي تحمل طابعاً يومياً، كتعذر الحصول على شقة للسكن، أو على وظيفة بسبب لون البشرة، أو كأن تجلس كشخص أسود في مقهى، وتسمع أحدهم يخاطبك قائلاً: أيها الزنجي!"، وقد قطع فالراف حوالي ستة آلاف كيلومتر عبر أنحاء ألمانيا المختلفة بصحبة المخرجَين باغونيس باغوناكيس وسوزان ياغر اللذين كانا يتظاهران بأنهما زوجان سائحان ويصوران المشاهد عن بعد، أما فالراف المتنكر على هيئة "أغونو" فكان يصور سراً عن طريق كاميرا خفية، ولم يتوقع أحد إطلاقاً أن يكون الثلاثة أصدقاء، لأن أغونو أسود البشرة بينما المخرجان الآخران أبيضان.
وبهذا يعد التنكر وطرح موضوعات مثيرة للجدل ليس بالأمر الجديد على فالراف، فالصحفي الألماني البالغ من العمر سبعة وستين عاماً قضى عامين متنكراً على هيئة عامل تركي – كما سبق ذكره – لكنه في تحقيقه المتلفز انتقل إلى الشاشة بدل الكتاب، ففي الفيلم الجديد "أبيض على أسود" يصور في جانب من المشاهد بعض الألمان الذين لا يجدون حرجاً في الإعلان عن دوافع مواقفهم العنصرية تجاه بطل الفيلم المهاجر

الصومالي منها مثلاً قول أحدهم صراحة: "إن لون البشرة هي السبب وراء عدم السماح لذلك الشخص بالحصول على مكان له ولعائلته في أحد معسكرات التخييم"، ويعلق المخرج باغوناكيس على ذلك بالقول: "أصبت بدهشة كبيرة عندما سمح لنا الكثير من الأشخاص استخدام المشاهد التي اُلتقطت لهم في فيلمنا، وهم لم يجدوا حرجاً في المجاهرة بعنصريتهم، ومن تلك المشاهد مثلًا إحدى السيدات التي رفضت تأجير شقتها لرجل أسود".

في المقابل انتُقد فالراف كما ذكرت الموسيقية الألمانية السوداء نوا سو في القناة الألمانية الأولى(ARD) لاعتقادها أنه وظف قضية العنصرية كأداة لخدمة مصلحته الشخصية، فهو في نظرها "يجعل من الأقليات المضطهدة أضحوكة، ويتلقى أموالاً لقاء ذلك، فضلاً عن تلقيه أيضاً الاهتمام بل والاحترام كذلك، فمن الصعب لشخص أبيض وحتى لو بمسحوق عيش حياة السود"، لكن مخرجه باغوناكيس دافع عنه، فهو يرى أن الأحداث لا تدور "حول السود ولا يحاول التحدث بلسان السود في ألمانيا، بل يعرض ردة فعل البيض عندما يصادفون شخصاً يبدو أسود اللون"، وهو يستشهد بمقطع من الفيلم يدور في إحدى الحانات، حيث يطلب بطل الفيلم ببساطة من امرأة لا يعرفها الرقص معه، وهذا المشهد كما يقول باغوناكيس يعد في نظر البعض استفزازياً.



غونتير فالراف قضى أكثر من عام متنكراً على هيئة الصومالي كوامي أغونو يظهر في أثناء تصوير فيلمه

"سيمور هيرش" من صحيفة نيويورك تايمز (أيقونة الصحافة الاستقصائية):

درس "هيرش" في شياغو جزءاً من دراسة القانون في الجامعة ما فتح الباب أمامه ليصبح صحفياً، وعمل عام 1959 كمراسل أنشطة لليونايتد برس (UP)، وفي عام 1963 انضم إلى القسم الرئيسي في الوكالة، ليبدأ في محاولة التقصي عن أمريكا والأسلحة البيولوجية، ومعها أصدر أشهر سبق حول **مجزرة** "**ماي لاي**" في فيتنام،

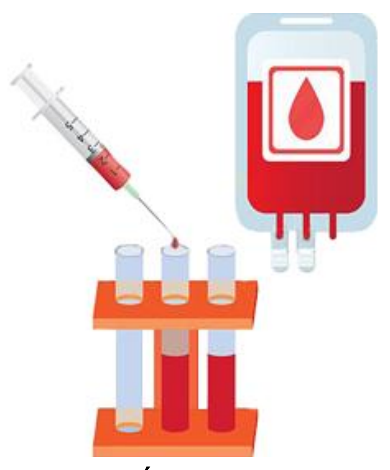
وعنها يقول: "لقد قتل الجنود ببرودة دم 550 قروياً فيتنامياً ودفنوهم هناك"، ما نتج عن التقصي تهديد بجفاف الدعم عن الحرب، كما استقصى في حجج غزو العراق، وفضيحة التعذيب والانتهاكات في سجن أبو غريب 2004، وكشف النقاب للمرة الأولى عن الترسانة النووية الإسرائيلية التي كانت سراً غامضاً لعشرات السنين في عام 1991 تحت مسمى "الخيار شمشون"، إضافة إلى تحقيقه (التاريخ البديل للحرب المتواصلة على الإرهاب)، والهجمات الكيميائية في سورية 2012، ومعرفة أمريكا المسبّقة بأحداث لبنان 2006، ودور أمريكا في إشعال الفتنة بين سنة وشيعة لبنان، والعمليات السرية على إيران 2005، واختطاف الموساد الإسرائيلي لمردخاي بعنونو العالم الكيميائي، وضلوع صحيفة بريطانية في تحديد مصنع الشفاء للأدوية الذي قصفته أمريكا 1991 في السودان.

وقد صرح حول الجيل الجديد من الاستقصائيين العرب خلال مؤتمر أريج 2014 في عمان: "أن تستطيع التميز في الشرق الأوسط يعني أن ترى صحفيين شجعان، ففي هذه المنطقة يتعرض الصحفيون الاستقصائيون للاضطهاد، أما في أمريكا والغرب يربّتون على أكتافهم، ويمنحونهم الجوائز لإسهاماتهم المجتمعية في محاربة الفساد" مضيفاً: "الاستقصائيون اليوم يعيشون في العصر الذهبي".

وحول مسيرته يقول "هيرش": "تربينا أننا نبلاء، مترفعون"، فمن وجهة نظره الهدف من العمل الاستقصائي أن تأخذ الرواية، وتفهم الرواية المضادة، فلقاء الرئيس الأمريكي بالملك الأردني رواية أولى، أما الرواية المضادة فهي أن ثمة تنسيقاً غيرَ مباشر عبر الوسيط الأردني لقصف «داعش»، والكل يتنكر لعمليات التنسيق، وبالتالي يمكن التحسين من أدائك المهني من خلال إنتاج الرواية المضادة.
وحول تقنيات العمل يقول: "ما الذي يمكنك عمله وحكومتك تقف على الصف المضاد، وكثير من الصحفيين يفقدون عملهم إذا وقفوا جانب الصوت الحر المظلوم" مضيفاً: "هناك أناس كثر صادقون وفي كل مكان" وحول أكثر المصادر خوفاً من التعامل يقول: "إنهم المتقاعدون، فقد ينسحبون في منتصف العمل ببساطة دون أي تبرير"، أما مقولته الذهبية فتعبر عنها الكلمات التالية: "الفاسدون، السيئون، المتطرفون، الانتهازيون، الطماعون، هم من يحكمون العالم، وهذا ما يجعل الصحافة أفضل مكان لحياتك إذا كنت تريد النشر عن المسيطرين لصالح المسيطَر عليهم، ودائماً تذكر هناك وجهة نظر أخرى، والتهديد تهديد في أمريكا، في أوروبا، وفي الشرق الأوسط، فدائماً للكلمة معنى واحد، لكن حسن العمل هو من يواجه جميع المخاطر، إن المزيد من الرجال والنساء الأغبياء من محبي أنفسهم، والفاسدين الذين يشاطرون فاحشي الثراء قيمهم، ولا يأبهون بمعاناة فقر الآخرين، يتحكمون في بعض الدول في يومنا هذا، ليس ثمة تغيير قادم من لدن هذه المجموعة، الأمر منوط بنا، نحن في الإعلام لنعثر على الحقيقة ونكشف الفساد لن يحدث ذلك من دوننا، لكن تذكر قبل أن تنشر القصة تعرّف على حجم المخاطر، وعرّف المخطئ بما ستنشر عنه، واجهه وتواجه

معه، وعموماً عندما تنشر معلومات من مصادر عدة لا يمكن حصر المسؤولية"، وعليه وُصف بأنه "أقرب ما تمتلكه الصحافة الأمريكية للإرهابيين".

آنا ماري كاستيريه Anne Marie Casteret:



الصحفية الفرنسية التي أثبتت الدور الكبير لصحافة الاستقصاء في المجتمع، وقدرتها على مراقبة أداة السلطات في مختلف المجالات، حيث نقلت "كاستيريه" عمل الصحافة الاستقصائية من المجال السياسي إلى الميادين العامة "الطبية" عبر استقصائها" قضية الدم الملوث بفيروس الإيدز" المنشور في مجلة" ليفينمان دو جودي" في L'Évènement de Jeudi 25/4/1991 بعد انتقال العدوى إلى مئات الأشخاص عبر نقل الدم عام 1985 لتثبت أهمية العمل البحثي والتوثيقي، وضرورة امتلاك الصحفي النفس الطويل لمتابعة الاستقصاء سنوات عدة.

1. وبدأت الصحفية استقصاءها بالخطوة الأولى التي تشير إلى انطلاقة التحقيق بعدما التقت مريضاً يُدعى "جان بيرون غارنوف" عام 1987 أكد لها إصابته بالمرض نتيجة نقل الدم الملوث إليه في المستشفى، وعلى الرغم من تقدمه بدعوى جزائية قبل عام ضد المركز الوطني لمركز الدم :CNTS) Centre National de la Transfusion Sangunie) والمختص بجمع الدم وتحويله إلى المستشفيات نتيجة الغش وتهديد حياته،ومع نقل شكواه إلى وسائل إعلام عدة، لم يلقَ النتيجة المتوقعة بسبب عدم وجود أدلة إثبات على هذه الاتهامات، والاعتقاد بأن الشكوى مردها الحالة النفسية لمصاب الإيدز في ظل تعقد الملف طبياً وإدارياً.

2. في المقابل الخبرة الطبية للصحفية ساعدتها في إثبات فرضية التورط بنقل الدم الملوث، إضافة إلى مراجعتها للتقارير الأمريكية الخاصة بدور نقل الدم الملوث في نشر فيروس الإيدز، ولذلك عمد الاستقصاء **بخطوته الثانية إلى "بناء الوقائع"**، إذ شبّكت الصحفية بين تقارير تؤكد وجود الفيروس أساساً في الدم، ووصف منظمة الصحة العالمية مدينةَ باريس عام 1983 بأنها عاصمة السيدا "الإيدز"، كما انطلقت لتقارن تلك المعطيات مع ما نشرته مجلة "لانست" من دراسة تظهر فيها أن تعريض منتجات الدم لحرارة عالية (تسخين الدم) يمنع انتقال الفيروس، وهو ما طالب به التعميم

الأمريكي لاستخدام الدم المسخن في كل عمليات نقل الدم، وهذا ما نفته المجلة نفسها في 2 شباط 1985عبر تأكيد عالم فرنسي أن مستشفيات بلاده مازالت توزع الدم غير المسخن حتى خريف ذلك العام، كذلك استندت الصحفية إلى محاضرة نُشرت عام 1985 لأحد أطباء المركز الوطني لنقل الدم المتهم بالقضية يعترف فيها أن 6 فرنسيين تزودوا بكميات دم ظهر عليها عوارض الإيدز، وبالتالي أسس هذا التسلسل للأحداث بناء وقائع "كاستيريه"، وتأسيس جدول لتطوير ملفها الشائك، فهذا العمل التوثيقي سمح لها بفهم القضية، والإحاطة بتسلسلها المنطقي، وبتفاصيل معطياتها الكبيرة والصغيرة على حد سواء مع تحديد الأطراف المسؤولة فيها، ورهاناتهم ومواقفهم.

3. ولإثبات مسؤولية المركز الوطني لنقل الدم بشخص رئيسه الدكتور "ميشال غاريت" بنت الصحفية في الخطوة الثالثة شبكة مخبرين بدأتها بالاتصال بمسؤولين سابقين في المختبرات المتخصصة التي تتعاطى نقل الدم، بغية التأكد من تصريح سابق لرئيس المركز قدمه لها شخصياً، مُفاده أن المشكلة كانت في النقص بكميات الدم المسخن بين عامي 1985-1984، وكي يثبت هؤلاء عدم مسؤوليتهم، وإثبات حسن نيتهم قدم لها بعضهم وثائق تثبت أنهم عرضوا على المركز كميات من الدم المسخن منذ عام 1983، كما حصلت على معلومات من المركز ذاته عبر أشخاص كان لهم المصلحة نفسها.
4. وعليه وانطلاقاً من هذه المصادر بنت الصحافية شبكة علاقات مع أكثر من 100 شخص، كانت تلتقيهم بشكل غير علني، مع وعد بالمحافظة على سرية المصادر، ما حقق لها هدفها الأول بفهم ماذا جرى، ولماذا، ومن خلال فهم آلية العمل لتفهم الدوافع قبل توجهها نحو هدفها الثاني المتعلق بجمع الأدلة والوثائق والذي يتم من خلاله تحديد اللاحق للمسؤوليات، وهذه كانت المرحلة الأخيرة لعملها، ففي نهاية عام 1990 استطاعت خرق الأوساط الطبية والصناعية المرتبطة بمختبرات الدم ليصبح التسلسل الزمني للوقائع عندها مكتملاً، فادعاءات المركز بأن الإصابات بالفيروس عبر الدم الملوث حصلت قبل عام1983 تعارضت مع تقرير اللجنة الاستشارية لنقل الدم المنشور في مجلة متخصصة مشيراً إلى أن أغلبية المتلقين للدم لم يخضعوا إلى اختبار الإيدز، وهذا يعني أن المركز لم يؤمن الحماية لمحتاجي الدم من حاملي الفيروس ولا السليمين منهم، وهكذا بدأت الهوة تتسع بين الرواية الرسمية والوقائع، وبين ما بات معروفاً، وما كان يمارس، ومع ذلك لم يكن هذا كافياً لتوجيه الاتهام الصريح وامتلاك الدليل القطعي.

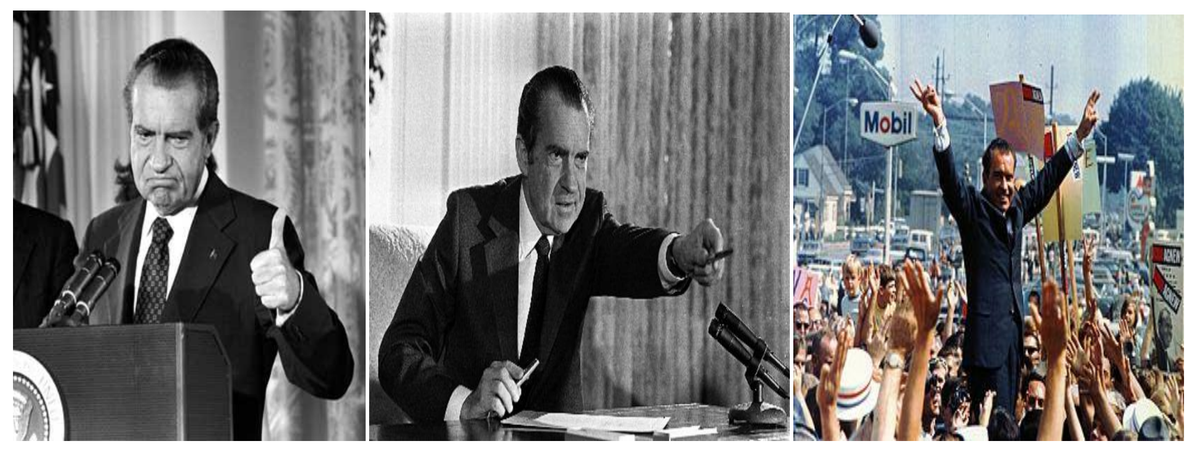
وبتسلسل أحداث زمني امتد بين 9 أيار 1985 و26 حزيران من العام نفسه تأكدت الصحفية أنه تم تداول المشكلة في المركز على أنها خطيرة، مع الاستمرار في نقل الدم الملوث، حيث أكدت مصادر للصحفية أن المركز كان على علم بتلوث منتجاته، وطرح ذلك في اجتماع عُقد في نيسان 1985، في حين أبلغ مدير المركز حسب صحيفة لوموند وزير الصحة في 9 أيار 1985 أن الوضع محرج للغاية، بينما أكد تقرير

لصحيفة "لوكنار إنشيني" نشر عام 1989 أن المركز وجه في26 حزيران 1985 رسالة إلى مراكز نقل الدم الباريسية يقول فيها إنه لا جديد في عمليات نقل الدم.

ولتأكيد استنتاج "كاستيريه" المسؤولية الجرمية على المركز، حصلت على تقرير اجتماع 29 أيار الذي أعلن فيه المدير "غاريتا" أن نسبة المتبرعين بالدم من حاملي الإيدز بين (2-3%)، وباعتبار التخزين يتم بكمية ألف متر مكعب في كيس واحد معاً، وبنسبة مشاركة فيه من (4000-5000) متبرع، فهذا يعني أن كل مخزون الدم لديهم ملوث، وبدل سحبه طلب المدير من مسؤول المختبر المركزي الرأي والنصيحة، مؤكداً أن على السلطة الوصائية اتخاذَ القرار بهذا الشأن الخطير، ومن واجباتها منع المركز من تسليم مستحضراته الملوثة، وهذا دليل على المسؤولية التامة والعلم اليقين لمدير المركز بتلوث جميع كميات الدم لديه، ومن ثم التصميم على الاستمرار في نقلها للناس، ما لم يُمنع من قبل المسؤولين، وهذا ما نشرته الصحفية في تحقيقها النهائي في25 نيسان 1991 مدعماً بالوثائق التي تؤكد مسؤولية المجرمين، ما أجبر السلطات التنفيذية على محاكمة مسؤولي المركز، وتحويل كل من لهم علاقة بين السلطات السياسية الحكومية في وزارة الصحة المشرفة على المركز إلى القضاء.

بوب وودورد وكارل برنشتاين (الرقم الأصعب في الصحافة الاستقصائية):

الصحفيان اللذان اكتشفا سر الصنعة، وغيرا وجهتها، وشكلا مرحلة فارقة في مسيرتها، ليس لأنهما فقط أجبرا رئيس أكبر دولة عظمى في العالم (أمريكا) على استقالته بعد تهديده لحجب الكفاءة من الكونجرس بل لأنهما قدما أساليب تقصٍ، وأحييا قيمة الاستقصاء في حياة المجتمع، ما أطلق دورها ورسخ أساليب عملها، عبر قضية الووترغيت (1972-1974) في صحيفة الواشنطن بوست، حيث تجلت أهمية عملهما بعيداً عما قدمه الفيلم الأمريكي " كل رجال الرئيس" عن القضية، والذي يحيي المخبر السري بل عبر ميادين تجلت في نسب المعلومات إلى مصادر سرية، ما أسس لمنهجية دعم الصحفي وحماية مصادره، وهو ما كان مرفوضاً قبل حرب فيتنام نظراً للتشكيك بالمصادر الرسمية، والسعي إلى خدمة الشأن العام من خلال أكاذيب محتملة، إضافة إلى تجديد العمل الاستقصائي عبر اللجوء إلى البحث عن المعلومة من خلال وضع لائحة أسماء ضخمة من المعنيين (بحملة الرئيس نيكسون)، ومقابلات مطولة تستمر لساعات حيث التفاصيل الصغيرة هي الأساسية، ولعل ردة فعل ضيوف المقابلات واضطرابَهم هو ما أوحى للصحفيين بأهمية القضية، ما يعني أن الاتكال على الموضوعية، والاستناد إلى الوقائع الصلبة، انتقل لاعتماد الصحفي على حدسه، واستشفاف الحدث من خلاله، وعبر أحاسيس الضيف المستجوَب، أما التجديد الثالث فتجلى في منهجية العمل عبر التنقيب في الوثائق العامة - بكمياتها الكبيرة - التي تتطلب أشهراً لإيجاد معلومة صحيحة يمكن مقارنتها بغيرها من الوقائع والمعطيات، ولهذا يرى الكثيرون أن "ووترغيت" علمت طلاب الصحافة الاستقصائية آليات البحث في الأرشيف الرسمي، وحوّل الاستقصاء إلى مدرسة في المهنة تحظى بالتقدير والشعبية الكبيرين.



الرئيس ريتشارد ملهاوس نيكسون / الرئيس السابع والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية

لمحة عن معنى الووترجيت وقضيتها:



المجمع السكني لووترغيت الذي يضم شققاً مترفة ومكاتب وفنادق وفيها كان مقر الحزب الديمقراطي

الووترغيت هو اسم القضية التي تُعد أكبر فضيحة سياسية في تاريخ الولايات المتحدة، والتي أطاحت بالرئيس "ريتشارد ملهاوس نيكسون" مرشح الحزب الجمهوري حيث إنه في 17 حزيران عام 1972 وفي عز الحملة الانتخابية لتجديد ولاية الرئيس، دخل خمسة أشخاص "مبنى الووترغيت" في واشنطن الذي كان يشغله الحزب الديمقراطي المنافس خلال انتخابات الرئاسية، وتبين لاحقاً أنهم كانوا يسعون إلى زرع أدوات تنصت مموهة خلسة فيه، ليكتشف الصحفيان لاحقاً أن مستشار الرئيس كان له علاقة بذلك، كما تبين أن لجنة إعادة انتخاب الرئيس على علاقة أيضاً بهؤلاء الأشخاص، وبالتالي بُنيت فرضية الصحفيَّين على أن الرئيس نفسَه على علم بالأمر، والوصولُ إلى إثبات ذلك لم يكن سهلاً، ولولا إصرارهما لما أولت صحف أخرى مثل "التايم والنيويورك تايمز ولوس أنجلوس تايمز" اهتماماً بالقضية، وبذلك أُجبرت السلطة القضائية ومجلس الشيوخ على الاستجابة لضغط الرأي العام والضغط على الرئيس نيكسون لتقديم استقالته في 9 آب 1974، وبخاصة أن "نيكسون" فاز بصعوبة شديدة على منافسه الديموقراطي "همفري" بنسبة 43.5% إلى 42%، ما جعل موقف

الرئيس ريتشارد نيكسون في أثناء معركة التجديد للرئاسة عام1972 صعباً جداً، وكان هذا العمل مؤثراً ما أحدث تغييراً.

تأثيرات الووترغيت:

1. تأثيرات على المستوى المهني:

- ارتفع عدد دارسي الصحافة في الجامعات الأمريكية بنسبة الثلث.
- زاد توزيع "واشنطن بوست" إلى نصف مليون نسخة.
- تضاعف راتب الصحفيين اللذين أجريا التحقيق مرات عدة.

2. تأثيرات على المستوى السياسي:

- استقالة الرئيس نيكسون وعزل بعض مساعديه.
- الحزب الجمهوري يفقد خمسة مقاعد في الكونغرس و49 مقعداً في مجلس النواب لصالح الديمقراطيين.
- تغييرات تطال عملية تمويل الحملات الانتخابية لتصبح خاضعة للرقابة الفيدرالية.
- تشويه كبير يطال صورة العمل القانوني والمحاماة نظراً لتورط الكثير من المحامين في القضية.
- الفضيحة تركت انطباعاً سيئاً لدى العامة عن حقيقة العمل السياسي، واللاحقة "غيت" أصبحت مميزة لكل فضيحة سياسية.



"All the News That's Fit to Print"

The New York Times

LATE CITY EDITION

NEW YORK, FRIDAY, AUGUST 9, 1974

NIXON RESIGNS

HE URGES A TIME OF 'HEALING'; FORD WILL TAKE OFFICE TODAY

'Sacrifice' Is Praised; Kissinger to Remain

The 37th President Is First to Quit Post

"نيكسون يستقيل".. كان العنوان الرئيسي لصحيفة "نيويورك تايمز" بعد فضيحة ووترغيت

3. تقنيات استقصائية فرضتها أسطورة الووترغيت:

- لا يوجد مصدر وحيد لبناء التحقيق.
- ألا يتم استخدام معلومات من مصادر مجهولة إلا إذا اتفق عليها أربعة مصادر على الأقل.
- أهمية المصادر المفتوحة.

- أهمية مصادر المواقع الدنيا بعيداً عن أصحاب المناصب العلية المضللين.
- تطوير نظام لحفظ وترتيب المعلومات "تشبيك المعلومات" أسوة بأسلوب مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي والقائم على ربط ما يذكره مصدر عن آخر بملف واحد.
- المصادر لا تهتم فقط بالمعلومات، لكن بالمشاعر، ولاسيما مشاعر الخوف من جانب المصدر التي تُنبه إلى خطورة القصة وصوابيتها.
- عدم التوسع في الاتهامات أكثر مما تدعمه الأدلة، فتدمير أناس لا علاقة لهم ولم يرتكبوا أي خطأ سبب في إيقاف استقصاء رائع في 6 أشهر.
- المحاولات اليائسة تستلزم حيلاً ذكية لكن أخلاقية.
- محاولة إظهار الحياد مهمة حتى لو كان الصحفي منحازاً ضمنياً، فصحفيّا ووترغيت كانا خصوماً لإدارة نيكسون الجمهورية لكن التزما بالحياد، واضطُرا إلى ألا يعلنا بعدها أنهما ديمقراطيان كي لا يُربط توجههما بسير الأحداث.
- المصادر السرية ومسربو الأخبار تؤكد الوقائع والحقائق والمعلومات أكثر ما يعطيانها، وهو ما يُدعى بصاحب الحنجرة العميقة الذي يجنب التقصي من الوقوع في الخطأ.
- المقابلات المطولة والغوص في الوثائق ومراجعة الأرشيف، تقنيات مساعِدة ومصادر من ذهب لكن إذا وُظفت بشكل صحيح.
- بناء التحالفات أساس كبير لنجاح الاستقصاء، ودليل ذلك تحالف القاضي الفيدرالي "جون سيريكا" الذي كان أساس نجاح ووترغيت، فالصحفي لا يمكنه العمل بمفرده بل بحاجة إلى مشاركة آخرين، سواء من مهنته أم في مجتمعه الكبير، ومن هنا طور "ديفيد وبروتس" نموذجَين لدعم الصحفي الاستقصائي في عمله ضمن كتابهما "صحافة الغضب" يقوم الأول على الحشد والتعبئة، المعتمِدَين على إبراز الغضب الشعبي لإجبار قوى المجتمع وقادته على التحرك استجابة لضغط الرأي العام، فيما يرتكز النموذج الثاني على بناء التحالفات مع القوى الأخرى التي تحمي وتدفع بالاستقصاء عبر تشارك المصادر وتبادلها، مع دراسة مخاطر تبادل المصادر إضافة إلى التشاركية في قوة التأثير والقدرات المتباينة بين الصحفيين، وهذا يعني أن المعلومات والطرق الموصلة إليها ينبغي أن تتاح للصحفيين الآخرين، أو لأي طرف يزيد قدرات الصحفي، أو يحميه قبل نشر القصة أو بعده، ولا ينسى بوب وكارل أن الضحايا هم الحليف الأول للاستقصائيين، وإن كان الأضعف والأجبن.
- العلاقة مع رئيس التحرير أو رئيس القسم المسؤول واقتناعُه بجدوى الاستقصاء أساس النجاح، ولعل سحرية "كاثرين غراهام" رئيسة الواشنطن بوست (الناشرة) كان له دور الجندي المجهول في التحقيق، وهنا نورد ما ذكره "بوب وودورد" للخدمة الخاصة في الواشنطن بوست حيث قال عن علاقته برؤسائه في الصحيفة: "في 15 يناير كانون الثاني 1973، وبعد سبعة أشهر من بداية عملي في فضيحة «ووترغيت» مع كارل بيرنشتاين، بادرت "كاثرين جراهام" ناشرة «الواشنطن بوست» إلى دعوتي مع

مدير التحرير، "هوارد سيمونز"، لتناول الغداء معها في غرفة طعامها الرائعة، حدث هذا حين كان كارل بيرنشتاين (شريكي في المتابعة الصحفية للقضية) خارج المدينة، وسجلت ملاحظتي عقب انتهاء الغداء – الأكلة الرئيسية كانت (عجة البيض) – وتحدثت "كاثرين" بحماس معبرة عن قلقها من التحقيقات، وسألت عن تقدمنا، وعن هوية مصادرنا، وعندما عرضت إبلاغها باسم المصدر الذي كنا نرمز إليه بوصف «العنق العميق / الديب ثروت/ الحنجرة العميقة» أجابت فوراً أنها لا تريد أن تحمل عبء مثل هذه المعلومة معها أينما ذهبت" ويضيف "وودورد": "بالنسبة لي، فإن النقطة المهمة خلال الغداء كانت عندما سألتني عما إذا كانت الحقيقة بخصوص «ووترغيت» ورجال ريتشارد نيكسون ستُكشف؟ لأن البيت الأبيض في عهد "نيكسون" كان خبيراً في سد جميع ثغرات تدفق المعلومات، فقلت لها إنني و"كارل" لسنا متأكدَين من اكتشاف الحقيقة كاملة أبداً، فردت: «أبداً»؟ لا تقل لي «أبداً»!" ويعقّب "وودورد" على ذلك: "كنت صحفياً في التاسعة والعشرين من عمري، ولم يكن مضى على عملي في «واشنطن بوست» سوى 16 شهراً، كانت كلماتها قوة دافعة، وفهمتها على أنها تعني بصدق، أن الرئيسة تريد مني الوصول إلى قلب الحقيقة، لم تكن المخاطر حادة فقط – إذا فشلنا – ولكن كلمة «أبداً» لم تكن مقبولة، وأشارت إلى أن الموارد الكاملة لصحيفتها وشركتها ومحرريها متوفرة، وبعدما انتهينا من الغداء قالت إنها اطمأنت، لكن وجهها الرائع الذي لم يكن قادراً قط على إخفاء المشاعر، كان يقول: "ابذل أفضل ما في وسعك"، ففي تلك اللحظة وصلت "كاثرين غراهام" إلى قمة الخبرة الإدارية لقد أشعرتني بالرهبة من جهة، لكن في الوقت نفسه تمت تغذيتي جيداً، وحصلت على الدعم، ودخلت طرفاً في القضية، وهي تعرف تفاصيل الموضوعات الصحفية بأكملها، حتى تفاصيل النفقات المادية المستخدمة من صندوق «ووترغيت» الخاص، والواقع أنها لم تكن تنوي التدخل، أو تعيد التفكير مرة أخرى إلا أنها أرادت أداءً أفضل، وكانت موهبتها هي رفع الحاجز إلى أعلى برقة، لكن بلا كلل، ولم تبلغنا أن ترخيص محطة التلفزيون التابعة لـ«الواشنطن بوست» يواجه تحدياً، وأن تقاريرنا عن «ووترغيت» يمكن أن تقضي على الصحيفة، وعلى الرغم من أنها رفعت يدها عن التغطيات الإخبارية والتحرير، لكنها ركزت تفكيرها على هذا الموضوع وبشدة، ومع تكشف المزيد من الحقائق بخصوص «ووترجيت» طوال العشرين شهراً التالية، حافظت على إبلاغنا بما يقوله هنري كيسنجر مستشار نيكسون لشؤون الأمن القومي، وإذا اتصل بها أي مسؤول في البيت الأبيض كانت تسجل ملاحظات وتبعث بها إلينا على الفور، بل إنها ساعدتنا على تحليل الدوافع والمعلومات الخاصة بكل شخصيات الأحداث، وكثيراً ما حذرتنا من النظر إلى أنفسنا نظرة ذات جدية مبالغة، ومن أخطار الأضواء الباهرة، وبكلمات أخرى كان يواكب شجاعتها إحساسٌ عميق بأخطار الوقوع في خطأ أو الظلم، أو أن توصف بأنها كانت من أنصار هذا أو ذاك، ولم يكن دورها في «واشنطن بوست» ثانوياً، ففي بعض الأوقات كانت مصدراً سرياً تقدم المعلومات المستوحاة خلال حفلات العشاء التي كانت تقيمها، لقد كنت أحميها دائماً، ولكنني كنت أمزح معها ومع غيرها بأننا نتبع قواعد

"غراهام" حيث كانت المعلومات غير الصالحة للنشر تعني بالنسبة لها عدم استخدامها إلا إذا كانت جيدة حقاً، غير أن تلك المعلومات لم تكن ملاحظات من مصادر بعيدة، لقد كانت كاثرين دائماً مستعدة للعمل، فإذا لعبت التنس فهي تلعب مع وزير الخارجية، أو محامٍ للبيت الأبيض، أو مدير سابق لوكالة الاستخبارات المركزية.. كانت تقرأ الكتب وتحب الموسيقا وتذهب إلى الأوبرا وتركز تفكيرها في القضايا الكبيرة ذات الصلة بقضايا العلوم والطب، بمعنى آخر كانت شخصاً بكامله، وتصر على فهم الشخص الكامل للقضايا التي كنا نغطيها". وعليه يتابع "وودورد" حديثه عن رئيسته: "مرة طلبت مني الحضور إلى منزلها لتقييمي الخاص حول قسم من أقسام الصحيفة مؤكدة الحفاظ على سرية ما دار بيننا، فقدمت نقداً حاداً تصادف أن توافق مع رأيها، وفي وقت لاحق اتصلت بي هاتفياً لإبلاغي أنها كانت مضطرة لإبلاغ رئيسي ومدير التحرير في ذلك الحين "بن برادلي" – الذي كان سخياً كعادته – على الرغم من أنه ذكّرني بمسألة التسلسل القيادي، غير أن "كاثرين غراهام" كانت تدرك حقيقة أن تتبع الأخبار والمعلومات يمكن أن يصبح مهمة شاقة تستغرق الكثير من الوقت، ويتطلب في بعض الأحيان انتهاك التسلسل القيادي، وعندما صدرت مذكراتها عام 1997 في 625 صفحة كانت شبه محرجة، لكنها كانت واثقة في أنها استغرقت كل ذلك الوقت لسرد كل شيء، مدركة بحرص جانب العلاج الذاتي في سرد القصة كلها، بكل ما فيها من مصاعب وانتصارات.. ولعل فهم الذات كان الهدف المحيّر، ليس فقط بالنسبة للتاريخ والقراء ولكن لنفسها، لذا كانت تحرص دائماً على الاقتراب منه مثل أي شخص آخر، بعيداً عن المسائل الخاصة، فحين أجريتُ قبل ثلاث سنوات مقابلة معها خلال عملي في كتاب حول آثار فضيحة «ووترغيت» على الرؤساء الخمسة بعد نيكسون، وافقت على الحديث، لكنها أصرت على عدم الاستشهاد باسمها، مقللة من أهمية معرفتها وفهمها للرؤساء "جيرالد فورد وجورج بوش وبيل كلينتون"، ويوم قلت لها: «لكن لديك ملاحظاتك الخاصة..»، ردت: «خاصة.. لذا لا أريد أن يذكر اسمي»، ولمدة ساعتين كاملتين استمرت في الحديث الذي دونته في 33 صفحة وأدلت بتلخيص ذكي وسلسلة من الحكايات المرحة حول الزعماء".. ويختتم "بوب وودورد" حديثه عن رئيسته في أثناء الووترغيت بقوله: "لاحظت "كاثرين" في حفل عيد ميلادها 84 أنها تعيش وحدها، لذا تزوجت أصدقاءها، هذا صحيح.. لكنها متزوجة من أكثر من ذلك.. فهي على ارتباط وثيق بروح الحرص، والسعي من دون كلل أو ملل للتحقيق والبحث والتحري، كما أنها على رباط وثيق بالرغبة في الاستماع وتقييم الحجج والترحيب بوجهات النظر الأخرى، والانفتاح على قبول المزيد من المعلومات".



احتجاجات واسعة أمام البيت الأبيض واستجابة الضغط العام لما نشرته الواشنطن بوست



صحيفة الواشنطن بوست: "نيكسون قال إنه لا يريد الاستقالة".. على تلفزيون AT9: الليلة استقالة نيكسون

تفاصيل الووترغيت وتسلسل أحداثها زمنياً:



ابتدأت الووترغيت في17 يونيو **حزيران** 1972 ضد الرئيس السابع والثلاثين للولايات المتحدة الأمريكية ريتشارد نيكسون (1913-1994) المنتمي إلى الحزب الجمهوري، والمنحدر إلى عائلة متدينة ذات أصول ألمانية كانت تعرف باسم ميلهاوزن، وذلك عبر صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية التي تصدر من واشنطن العاصمة، وباستقصاء يذكره التاريخ لأدواته وتقنياته ومقابلاته الطويلة ومراجعته آلاف الوثائق والأهم نتائجه، للصحفيَّين "بوب وود ورد" و"كارل برنشتاين" فقد مرت أحداثها وفق السيناريو التالي:

1. 17 يونيو حزيران 1972، لاحظ أحد حراس "مبنى الووترغيت" وجود شريط لاصق يغطي أقفال أبواب عدة في المبنى، فيتطوع لإزالته لكنه يكتشف أنه تمت إعادة وضعه على الأقفال من جديد، ما دعاه إلى استدعاء الشرطة بعد أن ساوره الشك حول الشريط اللاصق، واقتحمت الشرطة المكان لتلقي القبض على خمسة أشخاص يقومون بزرع أجهزة تنصت على المكالمات الهاتفية للجنة القومية للحزب الديمقراطي لتسجيل مكالمات مسؤولي الحزب، وتبين أن رجال البيت الأبيض قد سجلوا 64 مكالمة هاتفية.
2. 15 سبتمبر أيلول1972، وجهت هيئة المحلفين تهم التجسس والشروع في السرقة والاقتحام للأشخاص الخمسة، إضافة إلى رجلين آخرين على علاقة بالقضية.
3. في يناير /كانون الثاني 1973، أدين المتهمون في القضية، فيما ظل الشك يساور قاضي المحكمة وكثير من الشهود ولجنة المحلفين في تورط الرئيس نيكسون ومنظِّمي حملة إعادة انتخابه.
4. مارس آذار1973 أرسل "جيمس ماكورد" "أحد المدانين السبعة" برقية إلى قاضي المحكمة تشير إلى تورط جهات كبرى بالقضية.
5. أشارت التحقيقات إلى وجود مبالغ مالية بحوزة المدانين تثير الشكوك، وعند تتبع الحسابات المالية وجد أن لها علاقة بمؤسسات مموِّلة لحملة إعادة انتخاب الرئيس نيكسون.
6. تلقى الصحفيان "كارل برنشتاين وبوب وود ورد" من "الواشنطن بوست" معلومات من شخص مجهول، اصطلح على تسميته في تلك الفترة بـ "ديب ثروت/الحنجرة العميقة" تشير إلى أن هناك علاقة بين عملية السطو والتجسس، ومحاولة التغطية عليها، وبين جهات رسمية رفيعة مثل وزارة العدل، ومكتب التحقيقات الفيدرالي، ووكالة الاستخبارات المركزية، وصولاً إلى البيت الأبيض، وبدأ معها الصحفيان التحقيق، مع نشر مبدئي للأخبار بغية قراءة رد الفعل الأولي عليها.
7. بدلاً من أن تنتهي القضية بإدانة المتهمين توسع التحقيق أكثر فأكثر، ليشمل التحقيق طاقم البيت الأبيض، باعتبار أن الرئيس نيكسون كان رئيساً سابقاً، ونجح في مسعى إعادة انتخابه.
8. أشهر فصول الفضيحة حدث في 30 أبريل نيسان 1973 إذ قبل نيكسون استقالة أربعة من كبار مستشاريه المقربين، وهم النائب العام ريتشارد ج.كليندنست، وإتش.آر.هالديمان، وجون إيرليكمان ومستشار الرئيس جون دبليو دين، وقرر نيكسون تعيين وزير الدفاع آنذاك "إليوت ريتشاردسون" في منصب النائب العام الجديد، وكلفه بتولي المسؤولية القانونية الكاملة في كشف حقيقة ما حدث في ووترغيت.
9. في اليوم نفسه أعلن "نيكسون" خطاباً مثيراً إلى الشعب الأمريكي أكد تحمله المسؤولية الكاملة عن الفضيحة، ولكنه في الوقت نفسه أنكر أي تورط شخصي فيها، وتعهد بمعاقبة كل من يثبت تورطه قائلاً: «لن تكون هناك تبرئة داخل البيت الأبيض».
10. 17 مايو أيار 1973 بُثت جلسات الاستماع على شبكات التلفزة، ومعها بدأت شعبية الرئيس في التدهور.

11. أشارت التحقيقات إلى وجود نظام للتسجيل بالبيت الأبيض، ومعها طالبت لجنة التحقيق بالأشرطة، لكن الرئيس رفض تسليمها مستخدماً سلطته التنفيذية.

12. وفيما وصف (بمذبحة ليل السبت) أمر نيكسون في أكتوبر تشرين الأول 1973 بإقالة "آرتشيبولد كوكس" المدعي الخاص في فضيحة ووترغيت الذي كان يسعى إلى الحصول على تسجيلات صوتية للبيت الأبيض تتعلق بالمناقشات حول ووترغيت، حيث أمر وزيرَ العدل إليوت ريتشاردسون ومساعدَه وليام راكلزهاوس بتنفيذ الأمر، لكنهما استقالا من منصبهما بدل تنفيذ ذلك، وفي النهاية أقيل كوكس على يد المحامي العام "روبرت بورك" الذي رفض مجلس الشيوخ بعدها بأكثر من عشر سنوات ترشيحه لرئاسة المحكمة العليا.

13. وأشعلت إقالة كوكس غضباً واسعاً حتى بين زملاء "نيكسون" الجمهوريين، ما اضطر الرئيس بعدها إلى تسليم الأشرطة.. وكان ريتشاردسون قد عين كوكس أستاذ القانون السابق في جامعة هارفارد كأول مدعٍ خاص للقضية علماً أن "كوكس" توفي عن عمر يناهز 92 عاماً في منزله عام 2014.

14. سلم البيت الأبيض الأشرطة بعد حذف مقاطع مهمة منها مدعياً أنها حُذفت عن طريق الخطأ، فيما عرقلتCIA الحصول على أجزاء أخرى بحجة أنها تحتوي تفاصيل تمس بأمن الدولة.

15. 24 يوليو تموز 1973 قضت المحكمة العليا بعدم دستورية استخدام الرئيس لسلطته التنفيذية لحجب أجزاء من الأشرطة، وفي 30 من الشهر نفسه تم الكشف عن محتويات الأشرطة كاملة.

16. 28 يناير كانون الثاني 1974 أدين الرئيس نيكسون بتهمة الكذب على ال FBI.

17. 1 مارس آذار1974 صدر الحكم النهائي في حق المتهمين السبعة في قضية التجسس، مع الإشارة إلى الرئيس نيكسون كمشارك في تلك القضية.

18. ازدادت الحالة الدستورية للرئيس نيكسون هشاشة مع بدء الكونغرس مناقشات لعزله عن منصبه.

19. بعد أن بات من المؤكد أن أغلبية أعضاء الكونجرس سيصوتون مع عزل الرئيس، وعدم أهليته، يقرر نيكسون الاستقالة.

20. عشية 8 أغسطس آب 1974 اضطر الرئيس الأمريكي في خطاب درامي متلفز إلى إعلان استقالته رسمياً.

21. في الثامن من سبتمبر أيلول 1974 يتولى نائبه جيرالد فورد الرئاسة، وهو أول رئيس أمريكي بالتعيين، حيث كانت هذه سابقة لشغل رئاسة الولايات المتحدة دون انتخاب بعد أن ظل فورد عضواً في الكونغرس عن ولاية ميتشيغان لمدة 26 عاماً، ويُحسب له كنوع من الوفاء أن أصدر بعد شهر من استقالة نيكسون عفواً عنه في 8 سبتمبر 1974، وكان عفوا «كاملاً حراً ومطلقاً» عن أي جريمة قد يكون ارتكبها في أثناء توليه الرئاسة، لكن يبدو أن فضيحة ووترغيت أثرت على خليفته فورد ليفشل في الفوز بانتخابات 1976 أمام كارتر، وليظل محتفظاً في التاريخ بلقب الرئيس غير المنتخب.

22. كانت صحيفة واشنطن بوست من خلال محرريها بوب وودوورد، وزميله كارل بيرنشتاين بالمرصاد لنيكسون ورجاله، فهم الذين لعبوا دوراً رئيسياً في كشف تفاصيل الفضيحة، على الرغم من محاولات النفي والأكاذيب التي ظل يرددها البيت الأبيض لتبرئة الرئيس.

23. في2005 يكشف عمن كان يُعرف بـ"ديب ثروت/العنق أو الحنجرة العميقة" وكان أحد معاوني نيكسون، مسرب المعلومات إلى الصحفيين وورد وبيرنشتاين، وهذا «الواشي» كان قد أمضى أكثر من أربعة شهور في السجن لدوره في الفضيحة، حيث كان يُعرف باسم التاجر الذي يدفع أموالاً غير شرعية لحساب شخص آخر وإلى لاعبين في الفضيحة لضمان سكوتهم، وهو نائب مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي "مارك وليام فيلت" إذ يقال إنه كان يلتقي بالصحفيَّين في مرآب روسلين بالمبنى، وهذا جعله محورياً في أحداث الفضيحة، ما اعتبر من أماكن الصحافة الأمريكية التاريخية، وعليه حين صوّت مجلس مقاطعة "أرلينغتون بولاية فرجينيا" لصالح هدم المبنى والمرآب (2014) رأى الشارع الأمريكي أن في ذلك هدم لتاريخ القضية، لكن المقاطعة ستبقي نصباً تذكارياً أقامته في 2011 عند المرآب يشير إلى ذلك التاريخ.

24. يذكر أن من الشخصيات المؤثرة في القضية «جيب ماكرودر» مدير العمليات في لجنة ترشح نيكسون لفترة ثانية، ما جعله عنصراً مهماً في «ووترغيت» الأصلية، إذ أمر الرئيس الأميركي بالتجسس على مكاتب الحزب الديمقراطي المنافس في مبنى «ووترغيت»، وكان السياسي الراحل مشرفاً مباشراً على «غوردون ليدي» و«هوارد هانت» اللذين نظما عمليات اقتحام المبنى، ودبرا حملة التجسس والألاعيب الملتوية، وحضر «ماكرودر» الاجتماع الذي وافق فيه مدير حملة نيكسون الانتخابية والمدعي العام الأسبق "جون ميتشل" على العملية التي قادها «ليدي» و«هانت»، وإن كان "ميتشل" لم يقر أبداً بمسؤوليته عن ذلك، وربما كان «ماكرودر» يعرف أيضاً الكثير بشأن قرار استهداف مقر الحزب «الديمقراطي»، الذي أرجع «ليدي» اختياره إلى سهولة التجسس عليه، مقارنة بمقار الحملة الانتخابية لمرشح الحزب «جوجر ماكغفرن»، علماً أنه في حوار صحفي أجري عام 2003 زعم «ماكرودر» أنه سمع "ميتشل" يتلقى الأوامر من "نيكسون" لتعقب مكتب «لاري أوبرين» رئيس اللجنة الوطنية للحزب الديمقراطي في «ووترغيت».. وبموته عن 79 عاماً في عام 2014 يرى الخبراء أن «ماكرودر» أخذ معه بصيص الأمل الذي كان متبقياً للكشف عن بعض أسرار فضيحة «ووترغيت»، لكن يبقى الجميع على دراية ويقين أن "الرئيس نيكسون" أشرف شخصياً على المحاولة الأصلية للتستر على الفضيحة، وكان مسؤولاً بصورة شخصية عن المناخ العام للأنشطة غير القانونية في البيت الأبيض وفي حملته الانتخابية، وأنه كان مهووساً بالحصول على المعلومات السياسية التي أفضت مباشرة إلى فضيحة «ووترغيت» وجرائم أخرى.

شون.تات شيفر:

أهم ما أنجزه من تحريات وتحقيقات كان في مدنية "تولسا" في صحيفة "وورلد إن تولسا""World in Tolsa" ، عندما أمضى مع المحرر "زيفا برانستيتر" 13 شهراً في تجميع البيانات عن القضايا البيئة على مستوى ولاية "أوكلاهوما"، واستخدما قاعدة البيانات التي جمعاها في إعداد سلسة من التحقيقات عن التلوث في الولاية، كما عمل بمفرده لمدة عام في إعداد التحقيقات الصحفية عن الكارثة الصناعية في منطقة التعدين الواقعة شمال شرق "أوكلاهوما" بين ثلاث ولايات، وقد أدت تحقيقاته الصحفية عما عرف بمنطقة "تار كريك" مع غيرها من التحقيقات والضغوط إلى شروع الولاية في البدء بشراء البيوت التي يقطنها الأطفال، لتمكين أصحابها من مغادرة المنطقة، وتبع ذلك مشروع فدرالي لشراء البيوت من سكانها في هذه المنطقة المليئة بالرصاص والزنك، وتشجيعهم على مغادراتها، وبالتالي عُد من رواد التقصي المجتمعي في مجاله.

وليام ت ستيد:

نشر في ثمانينيات القرن الماضي في صحيفة "بال مال جازيت" اللندنية تقريراً صادماً من أربعة أجزاء بعنوان "تكريم العذراء في بابل المعاصرة"، استعان فيه بمومس سابقة، ومديرة بيت دعارة، ليكشف عن تأجير عذراوات من أجل الجنس، ليعد من أوائل الصحفيين الذين استخدموا الحوارات المطولة التي تزيد عن الساعة كأداة للاستقصاء، ما أسفر عن اكتشافات دقيقة ومفصلة من المصادر التي برع في حمايتها، وإخفاء هويتها.

جيم (جيمس) ستيلjim steele ودون (دونالد) بارليت don barlett:

تصدى **ستيل وبارليت** الفائزان بجائزة "بوليتزر" مرتين لموضوعات كبرى وشاقة، من نوع موضوعات العدالة التي يمارسها القضاء، أو عدالة جهاز الدخل الداخلي INTERNAL REVENUE SERVICE، أو "ميراثنا من النفايات النووية"، أو من المعاملة التفضيلية التي تلقتها بعض الشركات الخاصة من الكونغرس عندما يصدر قوانين تضيّع ملايين من الدولارات، أو عما يجري من فساد لا يصدق من أمريكا، ومما لا شك فيه أن" بارليت وستيل" استفادا بشكل هائل بعملهما منذ عام 1970 في صحيفة فيلاديلفيا إنكوايرار، غير أن بارليت وستيل قدما صحافة تجيب عن أسئلة أساسية يتجاهلها الجميع تقريباً، أي تلك الرغبة في الاتصال بحياة قرائها عن طريق الاستكشاف الفعلي لموضوعات تؤثر أساساً وبشكل مباشر في الناس وحياتهم.

وحسب "**ستيف واينبرغ**" من جامعة "ميسوري–كولومبيا" بدأ "**دونالد بارليت** "و"**جيمس ستيل**" العمل في صحيفة "**فيلاديلفيا إنكوايرار**" في اليوم نفسه من شهر سبتمبر عام 1970 لكنهما لم يلتقيا على الفور، وإنما جمعتهما المصادفة في أحد الأيام عندما طلب منهما "ماكمولان" رئيس تحرير الصحيفة التأكد من صحة الاتهامات التي تشير إلى وجود مخالفات في برنامج الإدارة الفيدرالية للإسكان لترميم منازل تشغلها عائلات من ذوي الدخل المنخفض.

وخلال أربعة أعوام فاز "بارليت وستيل" بأول جائزة بوليتزر، وبحلول عام1993 كانا قد فازا تقريباً بكل الجوائز الكبرى الأخرى عن الأنباء المثيرة أو التحقيقات الصحفية، فضلاً عن جائزة بوليتزر للمرة الثانية.

على الرغم من ذلك كانا بلا شك تقريباً أفضل فريق في تاريخ التحقيقات الصحفية جنباً إلى جنب مع وودوورد وبرنشتاين، وفي عصر يعَد فيه التحقيق الصحفي هو بطل وصاحب الشهرة في مجال الصحافة، كان لدى بارليت وستيل تلك الصورة شديدة الجفاف التي ربما كانت هي المصير المحتوم للمحررين الصحفيين الذين ينقبون عن منشأ الثغرات في الضرائب، ويرجع التصاقهما إلى حد ما إلى أن كليهما كان يمتلك القدرة على السيطرة على الغضب، وهي الصفة الأساسية من أجل استمرارية القيام بتحقيقات صحفية لها قيمتها.

إن المصدر الأصيل لكل هذه الموضوعات هو افتتان "دونالد بارليت وجيمس ستيل" بالطريقة التي تعمل بها مؤسسات الأعمال والوكالات الحكومية، وغيرها من المؤسسات، سواء أكان ذلك بشكل سوي أم غير ذلك، ممن يكون له مردود طيب أو ضار على المجتمع.

إن العمل الذي أدى إلى حصولهما على العديد من الجوائز هو التحقيق الصحفي عن برنامج الإسكان الفيدرالي الذي أوكله إليهما "ماكمولان"، عن أدلة لاستغلال النفوذ في برنامج الإسكان الفيدرالي235 لترميم وبيع المنازل القديمة للعائلات ذات الدخل المنخفض، ذلك أن المشترين من ذوي الدخل المنخفض سرعان ما سيكتشفون أن المنازل التي يُفترض أنه تم ترميمها ليست سوى شكل خارجي خادع، ومن ثم سوف يرفضونها، ولن يرغب أحد بعد ذلك في شرائها، وعليه يقول "ستيل": "لقد استغرق منا الأمر ما بين ستة إلى ثمانية أسابيع، قبل أن نصبح على استعداد لكتابة أول موضوع، فقد كان علينا أن نبحث في صكوك ورهنيات، لنعرف ماذا كان يفعل المضاربون، ومن الذي اشترى المنازل منهم".. فخلال عمليات البحث التي قام بها بارليت وستيل في عمليات التلاعب في برنامج (FHA) لترميم المنازل، سمعا عن القضاة الذين يتساهلون مع الغشاشين، ومن ثم فقد قرر الدويتو القيام ببحث لحسم هذه القضايا، وانتهى بهما المطاف إلى نتائج أكثر من ذلك بكثير، إذ إن أنواعاً أخرى من القضايا بدأت في جذب اهتمامهم كالعنف في فيلادلفيا، وهكذا تمكّن بارليت وستيل بناءً على المطبوعات الناجمة عن ذلك، والتي بلغت أربعة آلاف صفحة، فضلاً عن الزيارات التي قاما بهما إلى المحاكم واللقاءات مع ضحايا الجريمة، والمدّعين، والمتهمين، والمحامين، والقضاة من الكتابة بشكل روتيني عن المحاكم الجنائية حيث تحدثوا فيها عن العدالة (غير العادلة).

وقد ذاع صيت هذه الحلقات، ودور الحاسوب فيها بين صفوف كتاب التحقيقات الصحفية، حتى أن "فيليب ماير" استشهد بحلقاتهما في كتابه الشهير الذي أصدره عام 1973 بعنوان: (صحافة التدقيق: مقدمة المحرر الصحفي عن أساليب العلوم الاجتماعية)، وهكذا بدأت التقنية التي اتبعها بارليت وستيل تنتشر تدريجياً في مجال الصحافة.

من جهة أخرى بدأ بارليت وستيل خلال البحث الأولي الذي أجرياه يلاحظان توسع شركات البترول متعددة الجنسيات خارج البلاد، فانطلقا بتحقيق جديد حكمته المأثورة تقول: (الأزمة البترولية) كانت نتيجة لتلاعب شركات التداول في الإمدادات أكثر منها بسبب الحظر العربي، وعلى ذلك يعقّبان: "إن الناس يسألوننا في

دهشة، كيف تقرؤون التقارير السنوية، وتخرجون منها بشيء مفهوم، أو تكتشفون فيها بذرة موضوع للنشر؟ إنك إن قرأت أحد تقارير IRS فإنك لا تخرج منه بالشيء الكثير، ولا بد لك من قراءة ما يقرب من 10 إلى 20تقريراً تغطي فترة طويلة من الزمن، وبعدها يمكن أن تخرج منها بوجود نوع من الاتجاهات المقصودة داخل هذه الوكالة"، وبالتالي ركزت الحلقات المنشورة على ميل IRS إلى تركيز جهود تنفيذ قوانينها على دافعي الضرائب من ذوي الدخل المنخفض، وليس على الأشخاص ذوي الدخل المرتفع والشركات، وهو استنتاج يعتمد على الإحصائيات التي تضمنتها التقارير السنوية.

لقد اكتسب البحث الذي أجراه بارليت وستيل في هذا الشأن معنى جديداً لأنهما وضعا نظاماً نموذجياً للعمل اعتماداً على قائمة بالأحداث والتواريخ (كرونولوجياً)، ذلك أن الكرونولوجيا (التسلسل الزمني) تسمح لهما بالاستنتاج عند ربط المعلومات المستقاة من مصادر مختلفة بعضها بالبعض الآخر.

في الحلقات التي نُشرت حولIRS، كان من الشخصيات الرئيسية التي ألقى بارليت وستيل الضوء عليها، رجل أعمال في شيكاغو أشهر إفلاسه، وبدا أن لديه قليلاً من أصول الفائدة المدين بها لـIRS، ومع ذلك فإنه في اليوم السابق على إشهار إفلاسه اشترى منزلاً خارج واشنطن بمبلغ200 ألف دولار، ولم يكونا ليكتشفا ذلك لو لم يكن لديهما تسلسلاً كرونولوجياً لحياته العملية، وعليه فازت هذه الحلقات بجائزة بوليتزر لعام1975 للتحقيقات الصحفية، وبدأ بارليت وستيل بعد فوزهما بجائزة بوليتزر الأولى في نشر حلقات مطولة في صحيفة "إنكوايرار"، نُشرت بعدها في كتب عدة (بمعدل كتاب كل عامين)، وكان الموضوع التالي هو النفايات والاحتيال في إنفاق المساعدات الخارجية الأمريكية.

بعدها قاما بالسفر كل على حدة لزيارة مواقع في البيرو وكولومبيا وتايلاند وكوريا الجنوبية، واكتشفا أن الأموال الموجهة إلى الإسكان الخاص بذوي الدخل المنخفض تُنفق على المنازل والشقق ذات الرفاهية، وقد فاجأ بارليت مدير مكتب وكالة التنمية الدولية (AID) في تايلاند بالكم الهائل من المعلومات التي لديه، وبذلك تمكن من استخلاص اعتراف منه بأن (AID) لم تفعل الكثير للتأكد من أن أموالها تنفق في الأوجه التي خصصت لها، وحول ذلك يقول "ستيل": "قضينا أسبوعاً غرقنا خلاله في عملية البحث في الملفات، وبعدها بدأت تتكشف لنا صورة في التسيب وسوء الإدارة، من خلال تلك السجلات المتضخمة.. وفي اليوم الأخير وقعت في يدينا وثيقة محشورة داخل الملفات تكشف بوضوح إلى أي مدى ضل مشروع الإسكان طريقه إلى الهدف الذي حدده الكونغرس الأمريكي".

وكان بطل حلقتهما التالية من التحقيقات الصحفية "هاوارد هيوز" تلك الشخصية الشهيرة، والذي يعد من أغنى شخصيات العالم، والذي فضحاه في مقدمة الحلقات بأن متوسط ما أخذته إمبراطورية "هيوز" من الحكومة الفيدرالية يومياً ولمدة عشر سنوات بلغ 1.7 مليون دولار.. لتركز الحلقات اهتمامها على النفوذ المفسد الذي تمارسه قطاعات الأعمال، التي لا تخضع بوجه عام للإشراف من جانب الوكالات الحكومية أو المستقلة.. بعدها انتقل بارليت وستيل لنشر كتاب حول "هيوز" نهاية عام 1980 بعد نشره على حلقات بعنوان: "فوضى الطاقة"، ويدور حول اعتزام الحكومة إنفاق مليارات الدولارات في تطوير مصانع للوقود الصناعي، على الرغم

من أن هذه الحكومة نفسها تخلت عن مصانع مشابهة طول ثلاثة عقود، مع اعتزامها التنقيب عن البترول في مواقع غير سليمة، وكعادتهما فإنهما قدما منظوراً خلاصته أنه (من اليسير على المتلقي رؤية الغابة بأكملها، وليس مجرد شجرة واحدة فيها)، وافتتحا الجزء الأول من هذه الحلقات على النحو التالي: "إن المستقبل ينذر بالخطر، فالأمة تواجه نقصاً بالطاقة"، ومن البترول انتقلا إلى الطاقة النووية واستغرقت استكمال التحقيقات التي ظهرت عام 1983 قرابة 18 شهراً، قطعا خلالها 20 ألف كيلو متر في رحلات عمل، وأجريا مئات اللقاءات الصحفية، وجمعا 125 ألف صفحة أو نحوَ ذلك من الوثائق، ولنتائجها المبهرة تقدمت 40 ولاية أمريكية ودولة أجنبية على الأقل بطلبات إعادة طبع هذه الوثائق.

وكما حدث في الحلقات الأخرى لبارليت وستيل أثارت الحلقات عن النفايات النووية انتقادات في الأوساط الصناعية – على الرغم مما حظيت به من تقدير – غير أن هؤلاء النقاد لم يثبتوا على الإطلاق وجود أي خطأ في الحقائق، كما أن صحيفة "إنكوايرار" لم تضطر إلى نشر أي تصحيح في هذا الشأن، وكانت هذه أصل فكرة كتاب: "مزيد من التفاصيل: النفايات النووية في الولايات المتحدة".

وللوهلة الأولى بدا أن هذا الموضوع قد يكون مملاً، ولكنه حتى بعد أن قضى بارليت وستيل أكثر من20 عاماً يكتبون التحقيقات الصحفية ذات الموضوعات المعقدة التي لا يجرؤ صحفي آخر على الخوض فيها، فإنهما يُعِدان موضوع الذين يتمتعون بمعاملة خاصة من الضرائب أهم خبطاتهم الصحفية.. فقد بدأ "الدويتو" تحقيقهما الشاق بفحص قائمة اللجان المالية في مجلس الشيوخ الأمريكي التي تضم أسماء نحو 650 من المستفيدين بما يسمى" القواعد الانتقائية"، والتي تم إدماجها في ثنايا تعديل تشريع الضرائب، وكانت هذه القواعد تستثني أعمالاً تجارياً معينة وأفراداً معينين من الإذعان لقانون الضرائب، ليكتشفا لاحقاً أن ثمة آلاف الشخصيات الثرية ومئات الشركات ذات النفوذ قد جاء اسمها بين من يستفيدون من هذه المحاباة الخفية، وحتى يتسنى لهما تحديد الشخصيات المجهولة، بحثا في عينات الأوراق المالية والبورصة الجمركية، وفي سجلات الشركات بمجالس الولايات، وفي الدعاوي القضائية، وإجراءات إشهار الإفلاس، وبيانات الإفصاح المالية لأعضاء الكونغرس، وفي قاعدة بيانات الكمبيوتر التي تغطي آلاف الصحف والمجلات والنشرات الإخبارية والتقارير الحكومية، ولم يتمكنا من جمع أجزاء تحقيقهما معاً وكتابة حلقاته إلا بعد مرور خمسة أشهر من العمل المتواصل، لكنه كان أبعد ما يكون عن الملل، والدليل على ذلك أن الجزء الأول منه يبدأ على النحو التالي: "تصور إذا أنك أب طويل، وأصلع له ثلاثة أولاد، تقيم في "نورث إيست بفلادلفيا" في أحد المجمعات السكنية، وتكسب رزقك من بيع الألمنيوم الجانبي للأبواب، وتخيل أنك تذهب إلى عضو الكونغرس في دائرتك لتطلب منه إدخال نص في القانون الفيدرالي للضرائب، يستثني الأب الطويل، والأصلع له ثلاثة أولاد من دفع ضريبة الدخل على مبيعات الألمنيوم الجانبي للأبواب.. وتخيل أكثر من ذلك أن عضو الكونغرس في دائرتك يقوم بكتابة الاستثناء، ويدرجه في التعديل التشريعي القادم، وتخيل بالفعل أن هذا الكونغرس يوافق على هذا التعديل ليصبح قانوناً.. يا لك من إنسان محظوظ!".. وبعد ذلك قدمت القصة نبذة عن أشخاص موتورين من ذوي النفوذ، الواحد تلو الآخر، ممن حظَوا بمعاملة خاصة، وكانت كل حالة دراسة

من هذه الحالة تحقيقاً صحفياً مصغراً متميزاً، تتجاوز قدرات ومهارات معظم الصحفيين، وقد تلقت الحلقات بعد إعادة طبعها في 44 صفحة من القطع الصغير طلبات تجاوزت 50 ألف طلب للحصول على نسخ منها، ليعاود بارليت وستيل عام 1990 دراسة محاباة الكونغرس للأثرياء، ولعل كل ما سبق دفع مؤرخي الصحافة الاستقصائية إلى وصف تحقيقات "بارليت وستيل" بأنها لا تقف عند حد.

خلاصة تجربة "بارليت وستيل"

يمكن من خلاصة تجربة "بارليت وستيل"، ومن كتابهما "خلاصة الحكمة عبر العصور "استنتاج أهم تقنيات التقصي لديهما وفق ما يلي:

1. اعمل دائماً على جمع معلومات تفوق كثيراً ما يمكن أن تستخدمه، فالواقع أن المعلومات المعاونة ينبغي أن تكون متناسبة على نحو هندسي مع كل فقرة مكتوبة، والمهارة هنا تتمثل في أن تعرف متى يكون لديك الوثائق الكافية، حين تكون أجريت اللقاءات الصحفية الكافية التي تمكّنك من إثبات وجهة نظرك.
2. لدى تعاملك مع كم هائل من المعلومات، فإن الحاسوب يساعد في تخزين البيانات وتحليلها.
3. إن هناك بعض الموضوعات التي لم يكن من السهل أبداً حل طلاسمهما، فمهمة بارليت وستيل كانت معقدة ليس بسبب صعوبة الموضوع فقط، وإنما أيضاً بسبب اختلاف وجهات النظر بين الخبراء إزاء المسائل الحساسة.
4. إن ما يصل إلى 95% من المعلومات التي تستخدمها يمكن العثور عليها في السجل العام، لكن التحدي هو جلبها وتحليلها، ومحاولة الخروج بشيء له معنى منها، ونادراً ما يكون العمل في هذا المجال مريحاً أو باعثاً على البهجة، إذ إنك تجلس في أحد المباني المخصصة للمكاتب باحثاً في جبال من ملفات لا تعني شيئاً لمن ليس لديه معلومات عنها، والشيء الوحيد المغري بالاستمرار هو إدراك أن الكلمات المتقاطعة ستجد مكانها الصحيح في نهاية الأمر، فسجلات العمل اليومي لا يكون فيها شيء ذو معنى إلا بعد تحليلها وفحصها، ما يبهر بكيفية عمل تلك المؤسسات.

روبرت غرين، robert green:



إن التاريخ المهني لروبرت غرين الفائز بجائزة "بوليتزر" مرتين في صحيفة "نيوز داي" كمحرر صحفي ومساعد رئيس التحرير للتحقيقات الصحفية، مليء بالعبرات والحكم، ودلائل ذلك:

- هو الأب الروحي لفريق من كتّاب التحقيقات الصحفية، ففي عام1967 شكّل فريقاً دائماً للتحقيقات في صحيفة نيوز داي هو الأول من نوعه في تاريخ الصحافة في الولايات المتحدة.
- هو مؤلف كتاب رجل العقرب"The stingman" وهو كتاب يأسر الانتباه، لكونه يحتوي على أفضل وصف كُتب حتى الآن عن العمليات المصرفية الخارجية المشبوهة.
- فاز هو وفريقه بالعديد من الجوائز القومية والإقليمية، بما في ذلك الفوز مرتين بجائزة بوليتزر الذهبية، أولهما عام1970 لكشف الفساد السياسي الهائل في "لونغ آيلاند" الذي طال من بين من طالهم أحد كبار رؤساء التحرير في صحيفة نيوز داي، وثانيهما عام 1974 عن "انتشار الهيروين"، وهو تحقيق امتد لمدة عام عن كيفية جلب الهيروين من حقول الخشخاش في تركيا، وضخه في شرايين أطفال "لونغ آيلاند" في الولايات المتحدة الأمريكية.
- هو واحد من بين اثنين أسهما في إنشاء ونجاح نقابة محرري ورؤساء تحرير التحقيقات الصحفية (IRE)التي تم إنشاؤها عام 1975، وتعد أهم ملاذ للصحفيين العاملين في مهنة التقصي.
- هو الشخص الرئيسي المسؤول عن الجهد الذي بذلته نقابة (IRE) في كتابة تقرير لم يسبق له نظير من قبل، وهو " مشرع أريزونا ريبابليك "Arisona Republic" "دونبولز" حيث كان رئيس الفريق المكون من 50 صحفياً متطوعاً للرد على جريمة اغتيال "بولز" وكتابة التحقيقات الاستقصائية التي تكشف جرائم المافيا التي قتلته، والأب الروحي الذي يبوحون له بالأسرار، وذاكرته ومنظم عمله، والمتحدث باسمه، فضلاً عن أنه أحد كبار المحررين في الفريق.

"لو كيلزر lou Kilzer":

لم يحصل "كيلزر" الفائز بجائزة "بوليتزر" قط على دراسة في الصحافة، لكنه بنى لنفسه قاعدة ذهبية في العمل مُفادها: "أن يدرك المرء أن هنالك خطأ ما شيء، وأن يكتشف ما هو الخطأ على الرغم من ضآلة القرائن

شيء مختلف تماماً"، ولهذا ليس هناك من هو أفضل من "لو كيلزر" في هذا المجال، فهو يفكر بطريقة دائرية غير مستقيمة، ومتشككة وتحليلية، وحول ذلك يصف "كليزر" الأساليب التي يتصدى بها لعمل تحقيق على الشكل التالي: (هل تذكر المخبر كولومبو في الحلقات التليفزيونية، وكيف أنه يحصل على جميع المعلومات الكبيرة من الشرير بطريقة غير مباشرة؟ فما عليه إلا أن يُخرج مفكرته التي لا يثق إلا فيها، ويسأل الأسئلة المناسبة تماماً، فهذا ما يفرضه وجود جثة وجريمة يجب حل طلاسمها، وهل تذكر كيف أن كولومبو يظل يتردد على الرجل الشرير ليسأله بمزيد من الأدب مزيداً من الأسئلة المناسبة تماماً؟ وهل تذكر كيف يصاب الجاني بالتوتر كلما زاره المخبر، إلى أن يدرك الموقف، ويقرر أن يمتنع تماماً عن الكلام مع المخبر؟)، وهنا يمكن حسب "كليزر" أن يلاحظ مشكلتين:

- أولاً: كون الصحفي في بعض الأحيان على خطأ تماماً.
- ثانياً: إن المستفيد من الانتظار لفترة طويلة قبل التحدث مع الشخص موضوع البحث، هو وحده من يرغب إطالة هذه المدة، وبالتالي لا يستطيع الصحفي تحقيق أي مكاسب من ذلك التأخير.

وهنا يختلف "كولومبو" في الحياة الحقيقية عن "كولومبو" التحقيقات الاستقصائية، وفي الحلقات التلفزيونية، فليس كل مشتبه به مذنباً، والتوجه مبكراً إلى مشتبه به تتساوى فائدته تماماً، سواء قررت أن المشتبه به بريء أم مذنب، وعموماً لا يعني ذلك اقتحام باب الحجرة على المشتبه به موضوعِ التحقيق عند أول بادرة فضيحة، فهنا تجيء قاعدة جثة الميت لتعمل عملها، كما يلي: (يجب أن تفاتح الشخص موضوعَ التحقيق في أسرع وقت ممكن، بعد أن تقوم بتجميع مجموعة لا بأس بها من الاتهامات، أو مما يبدو أنه سلوك مشبوه، تجعل من الشخص العادي مثل قارئ الصحيفة يرغب في سماع تفسيره بشأنها).

وهنا ينصح "كليزر" الاستقصائيين: (إننا ندخل عليه ونقول: من فضلك، إن هذه التسجيلات تقول كذا وكذا، أو أن الشخص الفلاني يقول هذا وذاك، ولقد عنّ لنا أن نستوضح الأمر، وأنا واثق بأنك تستطيع أن تتفهم لماذا يريد منا رؤساء تحرير صحيفتنا كشف هذا ولماذا).

إن الرصد البارع وفق "كليزر" يُعد صفة من صفات التحقيقات الصحفية المتقدة، وللصحفيين الاستقصائيين أن يتأكدوا أن فن الرصد هو خليط من المهارات، تمثل عصارة الفكر والتدريب وسنوات طويلة من الخبر

ثانياً:استقصائيو اليوم "بصمات مؤثرة"



برز في الآونة الأخيرة صحفيون عدة تركوا بتجربتهم بصمة في تاريخ المهنة على الرغم من معاصراتهم وتجربتهم الجديدة التي بدأت تظهر ملامحها خلال العشرية الأخيرة، وسنعرض فقط لأبرز ثلاثة استقصاءات خلال الفترة الماضية، كان لها كبير الأثر في عالم صحافة التقصي المعاصرة، وهي:

الاستقصائي المعاصر"إليوت هاينز، Eliot Higgins" "صحفي الكنبة":



"إليوت هاينز، Eliot Higgins" "صحفي الكنبة

الرجل الذي وصفته الصحافة الغربية بأنّه يغطي الحروب وهو جالس على الكنبة بتفوق يغلب من ذهبوا إلى أرض المعارك وغطوها من هناك، ويعد "إليوت" مشهور أيضاً باسم Brown Moses نسبة إلى مدونته الشهيرة التي كرسها لتحليل الصور والفيديوهات القادمة من سورية، ثم أسس بعد ذلك موقعbellingcat المتخصص في التحقيق الاستقصائي عبر الصور والخرائط والفيديوهات والأقمار الصناعية لما يحدث في الحروب، وتعتمد على تحليلاته كبريات الصحف ووسائل الإعلام العالمية، وله مصداقية كبيرة، فهو أول من حدد مكان إعدام الصحفي

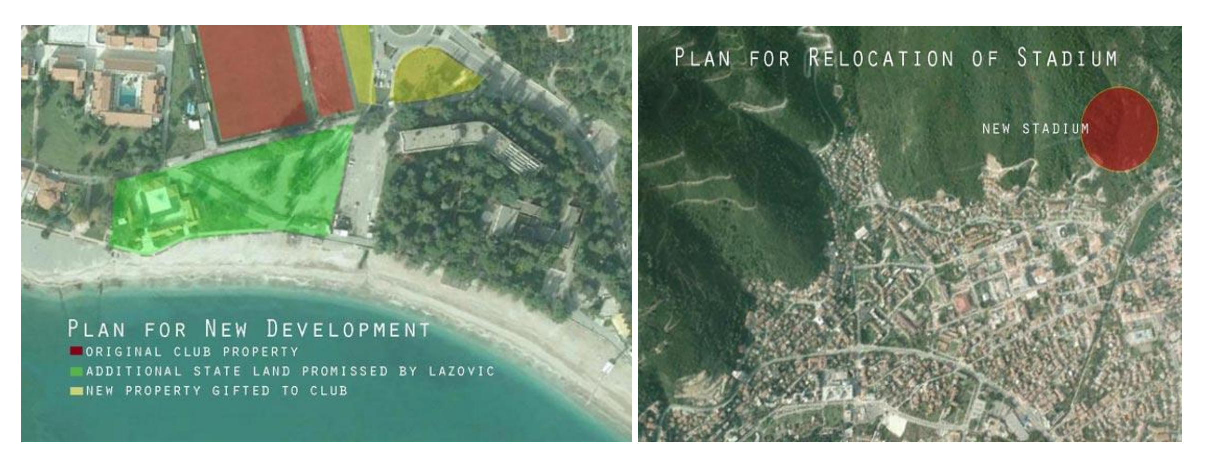
الأمريكي "جيمس فولي" في سورية، وهو أول من كشف أنواع الأسلحة التي تستخدمها الأطراف المتصارعة بالتقاط أرقامها التي تظهر في الأفلام والصور وتتبع حركتها عبر طرق الاستقصاء للوصول إلى أماكن شرائها وتوريدها، وبالتالي عُد بطل الأدوات مفتوحة المصدر، ورائدَ الأدوات والتقنيات للعمل مع المعلومات مفتوحة المصدر، وعليه يقول "إليوت": "مع Bellingcat أحاول أن أفعل شيئاً من شأنه أن تبقي هؤلاء الناس تعمل مع تلك الأدوات والتقنيات، وأيضاً إظهار الآخرين كيفية استخدامها، فعلى مدى العامين الماضيين استعملت المعلومات مفتوحة المصدر للتحقيق في الصراع في سورية، لكنها ليست فقط حول مناطق النزاع مع OCCRP ما يدل على استخدام المعلومات مفتوحة المصدر للتحقيق في الجريمة العابرة للحدود والفساد، ويكفي النظر إلى ما يحدث مع أوكرانيا وقطاع غزة لمعرفة أهمية فهم المعلومات مفتوحة المصدر، وماذا تحقق". وموقعه: https://www.bellingcat.com ومدونته: http://brown-moses.blogspot.com

ميرندا باتريك Miranda Patrucic:

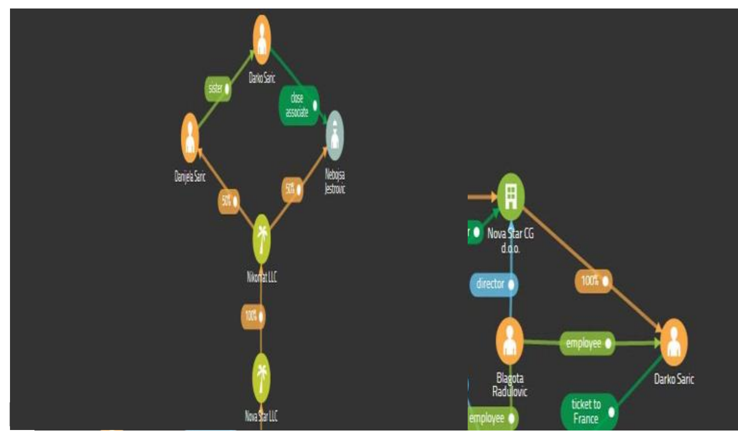
كشفت في تحقيق استقصائي نُشر عام 2014 أن رئيس حكومة مونتنيغرو يعمل في الجريمة المنظمة، تحت عنوان: "الجبل الأسود: كرة القدم والسياسة والكوكايين"، " Montenegro: Football, Politics, and Cocaine"، وفيه قدمت وثائق تكشف عن وجود صفقة سرية بين مسؤولين من الحزب السياسي الحاكم للجبل الأسود وجهة مهرّب الكوكايين داركو ساريتش، ما عُد نقلة نوعية في استقصاءات الكشف عن الجريمة المنظمة.



صورة الاستاد ورئيس الحكومة المونتونيغري هدف استقصاء الصحفية "ميرندا باتريك"



موقع الاستاد في مونتينغرو الذي بنت عليه الصحفية "ميرندا باتريك" استقصاءها



إنفوغراف لاستقصاء الصحفية "ميرندا باتريك"

أفضل تحقيق استقصائي للعام 2015: (التسريبات السويسرية، تسريبات لوكسمبورغ):

أحدثت تلك التسريبات التي جاءت ضمن تحقيق أنجزته شبكة المحررين الدوليين للصحافة الاستقصائية بمشاركة 140 صحفياً، من 45 دولة، وبالمشاركة مع 70 مؤسسة إعلامية عالمية عن الحسابات السرية في بنوك سويسرا ردود أفعال عالمية واسعة لما تضمنته من معلومات بنكية سرية تخص حسابات مشاهير وشخصيات أصحاب مناصب سياسية رفيعة، وعُد نموذجاً يُحتذى للتقصي عبر الحدود لينال على إثرها جائزة أفضل تحقيق استقصائي في العالم، وهي الجائزة التي تنظمها شبكة المحررين الدوليين.

ويُذكر هنا أن صحيفة الوطن المصرية الوحيدة في الشرق الأوسط التي شاركت في هذا التقصي عبر هشام علام الذي تقصى وتناول كشف الحسابات السرية لأحد كبار رجال نظام «مبارك» الهارب "رشيد محمد رشيد" وزير الصناعة في أثناء حكم المخلوع، والذي أخفى 31 مليون دولار في بنك «HSBC» السويسري الخاص،

كما كشفت أيضاً الحسابات السرية لأمراء دولة قطر، ومسؤولين سوريين، وقائمة ثروات أثرياء العالم في البنوك السويسرية.. إضافة إلى مراسلَين في صحيفة "المصري اليوم" كشفا عن ثروة حسين سالم الملياردير صاحب الاستثمارات في مجال النفط والغاز في مصر، واليد اليمنى للرئيس السابق حسني مبارك، وقد نُشر ذلك بالتزامن مع نشره في مؤسسات إعلامية على مستوى العالم منها «الغارديان، وبى بى سى، ولوموند»، وتناول كشف الحسابات السرية في بنك «HSBC» الخاصة بكبار رجال السلطة، والمسؤولين ورجال أعمال وملوك وأمراء عرب في عدد من الدول العربية ليبلغ التقصي 100 ألف عميل من عملاء بنك «إتش إس بى سى» البريطاني.



تحقيق التسريبات السويسرية.. تسريبات لوكسمبورغ

ملاحظة: لم نعرض للصحفي الاستقصائي **مظهر محمود** على الرغم من شهرته ذائعة الصيت، وذلك للحكم عليه بالعمل غير الأخلاقي من أجل كشف الحقيقة عبر توريط الناس، وسنعرض تفاصيل عمله في فصل أخلاقيات المهنة.

الخلاصة

تؤكد خلاصة هذه الوحدة التعليمية (السادسة) أن الأسماء التي أضفت على تاريخ مهنة التقصي الطويل رونقها تتعدد، مثل: "نيللي بلاي" استقصائية التخفي الأولى في العالم، و"جونتير فالراف" الصحفي الألماني الذي انتحل شخصيات عدة، أشهرها (الرأس التركي)، و"سيمور هيرش" من صحيفة نيويورك تايم (أيقونة الصحافة الاستقصائية)، و"أنة ماري كاستيريه" الصحافية الفرنسية التي أثبتت الدور الكبير لصحافة الاستقصاء في المجتمع، وقدرتها على مراقبة أداة السلطات في مختلف المجالات، ولعل بوب وودورد و كارل برنشتاين يعتبران الرقم الأصعب في الصحافة الاستقصائية، كونهما الصحفيين الذين شكلا مرحلة فارقة في مسيرة المهنة، ليس لأنهما فقط أجبرا رئيس أكبر دولة عظمى في العالم (الأمريكي) على استقالته بعد تهديده لحجب الكفاءة من الكونكرس، بل لأنهما قدما أساليب تقصي، وأحيا قيمة الاستقصاء في حياة المجتمع، عبر قضية الووترجيت (1972-1974)في صحيفة الواشنطن بوست، ما أسس لتأثيرات على المستوى المهني، وعلى المستوى السياسي، وأسس لتقنيات استقصائية فرضتها أسطورة الووترجيت.

ومن استقصائي اليوم عضت الوحدة لتجربة "إليوت هينز" "صحفي الكنبة"، و"ميرندا باتريك"، وأفضل تحقيق استقصائي للعام 2015 الحائز على شبكة المحررين الدوليين: (التسريبات السويسرية.. تسريبات لوكسمبورغ).

التمارين

1. **اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:**

أهم الاستقصاءات التي اعتبرها جيمس ستيل ودونالد ضربتهما الأكثر قوة دارت حول

A. صناعات السيارات المميتة.

B. إفادة الأثرياء من التهرب الضريبي.

C. غسيل الأموال عبر تدويرها البنكي.

D. تحويل الكوكائين من مزارع تايلند إلى أطفال شياغو.

الإجابة الصحيحة: B. إفادة الأثرياء من التهريب الضريبي.

2. **اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:**

أهم استقصائيي التخفي في العالم يرجع إلى

A. رالف غونتر.

B. روبرت جرين.

C. نيللي بلاي.

D. مظهر محمود.

الإجابة الصحيحة: C. نيللي بلاي.

3. **اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:**

يدعى سيمور هيرش في عالم الصحافة الاستقصائية

A. الرقم الصعب في التقصي.

B. أيقونة الصحافة الاستقصائية.

C. سيد التخفي في الصحافة الاستقصائية.

D. صائد الجوائز في صحافة التقصي.

الإجابة الصحيحة: B. أيقونة الصحافة الاستقصائية.

الوحدة التعليمية السابعة

أخلاقيات ممارسة الصحافة الاستقصائية وثقافة عملها الموضوعي (1)

الأهداف التعليمية:

بعد دراسة هذه الوحدة التعليمية يجب على الطالب أن يكون قادراً على أن:

- يشرح أخلاقيات العمل الاستقصائي
- يعدّد انعكاسات أخلاقيات المهنة على الصحافة الاستقصائية
- يشرح أخلاقيات نشر الحياة الخاصة للأشخاص العموميين
- يشرح أخلاقيات التحقق من المواد المنشورة على شبكات التواصل الاجتماعي
- يشرح أخلاقيات صحافة عربية تواجه الفساد

النقاط البحثية للوحدة:

- انتقادات حول المنهجية الأخلاقية والمهنية للدخول في الممنوع والمحظور.
- أسئلة تتعلق بأخلاقيات الصحافة تصلح نقطة بداية لأي صحفي استقصائي.
- أهم المعايير التي يجب الالتزام بها في وسائل الإعلام.
- أخلاقيات العمل الاستقصائي فيما يتعلق بالبحث عن المعلومات.
- مبادئ حول أخلاقيات المهنة للصحافة الاستقصائية.
- نصائح لمن يريد عدم المثول أمام المحاكم.
- أخلاقيات التقصي عبر "الحقيقة بالجمع".
- انعكاسات أخلاقيات المهنة على الصحافة الاستقصائية.
- أخلاقيات نشر الحياة الخاصة للأشخاص العموميين.
- أخلاقيات التحقق من المواد المنشورة على شبكات التواصل الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية للوحدة:

المنهجية الأخلاقية للتقصي – أسئلة انطلاقة الاستقصاء – معايير الصحافة الاستقصائية – أخلاقيات البحث عن المعلومات – المثول أمام المحاكم – التقصي عبر "الحقيقة بالجمع" – الحياة الخاصة للعموميين – التحقق من شبكات التواصل الاجتماعي – أخلاقيات الموضوعية – "الانحياز" – صحافة عربية تواجه الفساد.

أولاً: مقدمة عن أخلاقيات ممارسة الصحافة الاستقصائية



بما أن الصحافة الاستقصائية تدخل في تناول القضايا التي تمس مصالح الناس، وتلامس أعراض من يتناوله التقصي، وتنال من سمعته، وربما تعبث بمستقبله المهني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، فلا بد من أن تكون بنى هذه الصحافة موضوعة فوق دعائم العمل الأخلاقي، ومستندة إلى ركائز مواثيق الشرف، بعيداً عن المصالح الشخصية أو المؤسساتية لجهة دون سواها، ولعل هذا ما دفع المنظرين إلى وسم الاستقصاء بالجهد الذاتي الذي لم يدفع الصحفي إليه إلا المصلحة العامة.

ويمكن تشبيه عمل الصحفي الاستقصائي (هنا) بالقصة المأثورة التي تخبر عن سيدة تعترف لرجل دين بارتكابها معصيةَ الثرثرة بحق سمعة آخرين، وتسأل عن كيفية الغفران والتوبة، فأمرها أن تُحضر وسادة من ريش، وتصعد بها إلى سطح منزلها، ثم تضرب الوسادة حتى يتطاير كل ريشها على المدينة، وبعدها تجمع الريش، وحين أخبرته باستحالة ذلك، لأن الريش تطاير إلى أقاصي المكان، قال لها هكذا هو العبث بسمعة الناس وأعراضهم، من السهل استباحته لكن من الصعب جداً التراجع عن تلك النميمة والثرثرة والاستغابة، وعليه تشبَّه الصحافة الاستقصائية وفق منهجها الأخلاقي بأداة بنّاءة تصحح الأخطاء، وتردع مرتكبيها، وليست بالهدامة والمخربة، وإلا تحولت إلى تلك المرأة التي لا يُقبل مجرد الاعتذار للتراجع عن معصيتها، ونيلها من شرف وسمعة الآخرين.

ثانياً: أخلاقيات العمل الاستقصائي



مما سبق يجب التأكيد على أن تعلم التقصي يقتضي درسين في المهارات والتقنيات الاستقصائية، مقابل درس في أخلاق التقصي، بمعنى أن الممارسة الأخلاقية يجب أن تنال ثلث الاهتمام بمهارات هذا النوع الصحفي لخصوصيته المذكورة.

يقول "مارك هنتر": "ثمة مواقع رمادية في العمل الصحفي لا يمكن مساءلتها إلا بالقيم الشخصية، فمواثيق الشرف لا يمكن تجاوزها، لأن الصحفي ملتزم أخلاقياً بعدم تخطي الحدود، وخيانة الأمانة، أو اتباع الأساليب غير الشريفة للحصول على المعلومات"، والقاعدة الذهبية لذلك لا يستطيع الاستقصائي أن ينشر النسخة الأخيرة من قصته قبل العثور على جميع الحقائق المتعلقة بها وتقييمها.

وبالرغم مما يوجَّه إلى الصحفيين الاستقصائيين من انتقادات حول المنهجية الأخلاقية والمهنية على اعتبار أنهم قد يقعون في الدخول في الممنوع والمحظور، وما يمثله ذلك من انتهاك للخصوصية الفردية وتشويه لسمعة الأفراد والمؤسسات من دون أدلة دامغة، أو ما يمثله ذلك من تعدٍ على مؤسسات يكون التحري والحكم من اختصاص المحاكم ورجال الأمن، وهو ما يمثل تحدياً كبيراً أمام الصحفيين الاستقصائيين حول المعايير الأخلاقية التي يجب الالتزام بها.

أخلاقيات التقصي حسب معهد بونتر:

يحدد "بوب ستيل الخبير في أخلاقيات الصحافة بمعهد بونتر للدراسات الإعلامية" عشرة أسئلة تتعلق بأخلاقيات الصحافة تصلح نقطة بداية لأي صحفي استقصائي، وهي:

1. ماذا يعرف الصحفي فعلاً عن الموضوع الذي ينوي الكتابة عنه؟ وما الذي يحتاج إلى معرفته عن الموضوع نفسه؟
2. ما الهدف الصحفي؟
3. ما الجوانب الأخلاقية التي تهم الصحفي ويسعى إلى ترسيخها؟
4. ما سياسة الوسيلة التي يعمل بها الصحفي؟ وما الخطوط الإرشادية المهنية التي يجب أن يلتزم بها؟
5. كيف يمكن ضم آخرين ممن لهم وجهات نظر وآراء مختلفة في اتخاذ القرار بشأن التحري والتحقق والنشر؟
6. من هم أصحاب المصلحة الذين سيتأثرون بقرار الصحفي؟ وما دوافعهم؟ وأي هذه الدوافع مشروع؟
7. ماذا لو تم عكس الأدوار؟ وماذا سيكون شعور الصحفي لو أنه كان مكان أحد أصحاب المصلحة؟
8. ما الآثار المحتملة لقرار الصحفي أو تصرفاته على المديَين القصير والبعيد؟
9. كيف يمكن تعظيم أثر قول الصحفي للحقيقة، والحد من أضراره في الوقت نفسه؟

10. هل يستطيع الصحفي أن يبرر أفكاره وقراراته بشكل منصف وعادل لزملائه، ولأصحاب المصلحة، وللجمهور؟

المعايير العامة التي تشمل الصحافة الاستقصائية وأخلاقياتها:

إذاً ثمة قواسم مشتركة بين مواثيق شرف أو أدلة السلوك المهني تقع ضمن المسؤولية الاجتماعية للصحفي أو الإعلامي في مجال التقصي، ولعل أهم المعايير التي يجب الالتزام بها في وسائل الإعلام (المطبوعة والمرئية والمسموعة والإلكترونية) التي تشمل مهنة الصحافة وأخلاقيتَها، وتُلزم العاملين فيها، وتتجلى في:

1. الحقيقة لا يحتكرها أحد، لكن كل واحد قد يمتلك جزءا منها.
2. الدقة والموضوعية والتوازن والنزاهة في عرض المادة الصحفية.
3. عدم التمييز.
4. فصل الرأي عن الوقائع والأخبار والمعلومات.
5. توثيق المعلومات ومراعاة الدقة في نشرها.
6. عدم نشر معلومات وحقائق وأخبار ووقائع مبهمة أو مبالغ فيها.
7. احترام الحياة الخاصة للمواطنين: فاحترام الحريات العامة للآخرين، وحفظ حقوقهم، وعدم المس بحرمة حياتهم الخاصة أمر واجب.
8. احترام الرأي الآخر: وهو رأي الحكومة والمعارضة والأقلية، وعلى الصحافة ضمان تعددية الآراء لإيجاد سوق حر للأفكار Free market of ideas.
9. اعتبار حرية الفكر والرأي والتعبير والاطلاع حقاً للصحافة والمواطن على السواء.
10. تضارب المصالح: ويقع تحتها (الهدايا) وتقبلها، أو البحث عن مصالح شخصية.
11. احترام الأديان والعقائد وعدم إثارة النعرات العنصرية والطائفية، وبالتالي الامتناع عن نشر كل ما من شأنه أن يثير العنف أو يدعو إلى إثارة الفرقة بين المواطنين بأي شكل من الأشكال.
12. عدم نشر صور فاضحة، أو استخدام ألفاظ مبتذلة.
13. الإعلانات: إذ يجب فصل المادة الإعلامية عن الإعلانية، وأيضاً فصل التحرير عن تأثير الإعلانات (المبالغة في إيجابيات الشركات المعلنة، وتقليل سلبياتها أو عدم نشر الحقيقة مراعاة للمصالح الإعلانية).
14. الحفاظ على سرية مصادر المعلومات، وضرورة اعتراف الصحفيين بالقاعدة الأخلاقية التي تنادي بحق الصحفي في حماية مصادر معلوماته وعدم الكشف عنها إذا كانت هذه المصادر سرية.
15. مراعاة أدبيات نشر الجريمة بشكل عام، وبخاصة عندما يكون المجني عليه طفلاً.
16. الالتزام بحق الرد: جميع التشريعات العربية تنص على حق الرد، وفي الولايات المتحدة نشر الرد من أخلاقيات المهنة، لكنه ليس حقاً قانونياً.

أخلاقيات البحث عن معلومات:

فيما يتعلق بالبحث عن المعلومات، فأخلاقيات العمل الاستقصائي تشمل هنا، ما يلي:

1. على الصحفي الامتناع عن الحصول على المعلومات غير المشروعة، فسرقة المعلومات من مصادرها أمر يعاقب عليه القانون، ولاسيما إذا كانت مصنفة سرية.
2. يجب التفريق بين نشر أصل الوثائق التي صُنفت على أساس أنها سرية، وبين نشر مضمون هذه الوثائق، ونشر أصل الوثيقة السرية أو صورة عنها، إذ يعاقب عليه القانون، لكن نشر مضمونها فإنه جائز ولاسيما أن للصحفي الحق في كتمان مصدر معلوماته.
3. على الصحفي الابتعاد عن انتحال الشخصية، وهنا يجب الانتباه إلى طبيعة الشخصية المنتحَلة، فانتحال صفة رسمية مثل شرطي أو موظف هو أمر معاقب عليه، لكن القانون في الوقت ذاته لا يعاقب على انتحال صفة مريض أو عامل أو مواطن ذي مصلحة مثلاً، إلا إذا كان العمل الذي يقوم به بموجب الشخصية المنتحَلة يعاقب عليه قانونياً مثل انتحال صفة متسول، فالتسول يعاقَب عليه قانوناً.
4. على الصحفي الامتناع عن تصوير أي شخص دون الحصول على إذنه بالتصوير، وكذلك الحصول على إذنه بالنشر، مع العلم أنه يحق للصحفي تصوير الشخصيات العامة أو أحداثها دون إظهار تلك الشخصيات بمظهر يحط من احترامها وسمعتها وكرامتها.
5. على الصحفي تحري الحقيقة والمعلومات الصحيحة، والقانون ينظر أيضاً إلى مقدار الجهد الذي يبذله الصحفي بحسن نية في السعي وراء المعلومات؛ إذ يجب على الصحفي بذل العناية والحرص، وواجب التدقيق والتمحيص عن المعلومات، وهذا أحد أهم معايير حسن النية التي يسعى القضاء إلى استظهارها خلال نظره في أي قضية إعلامية معروضة عليه.
6. يُحظر على الصحفي قبول رشاوى مهما كان مصدرها أو نوعها، فالرشوة جريمة يعاقب عليها القانون بغض النظر عما إذا كان الصحفي راشياً أو مرتشياً، وهنا يجب الانتباه إلى مسألة "شراء المعلومات"، وهو القالب الذي توضع فيه الرشوة عادة في الصحافة الاستقصائية، وهنا يتحمل الصحفي مسؤولية المخاطرة في اتباعها إذا تمكنت النيابة العامة من إثبات قيام الصحفي بها.

واستناداً إلى ما سبق يكمن إضافة مبادئ حول أخلاقيات المهنة للصحافة الاستقصائية تتمثل فيما يلي:

1) لا تكذب.
2) لا تسرق (وثائق من مكتب موظف أو مسؤول).

3) لا تنتحل شخصية غير أنك صحفي كأن تدعي بأنك موظف أو تاجر وغير ذلك، لكن هناك بعض المؤسسات التي تجيز ذلك كحل أخير إذا لم تكن هناك أي وسيلة أقل ضرراً للحصول على المعلومات.

4) لا تدفع أي أموال لقاء الحصول على المعلومات، وبخاصة من الموظفين العموميين، فقد يعد ذلك رشوة بالقانون، في حين دفع أتعاب المختبر لقاء تحليل عينة، أو دفع لموظف مقابل تحليل البيانات أو شرحها أو دراسة بيانات معينة جائز.. وتذكر هنا أن من يبيعك مديره ببضع مكتسبات يبيعك لمديره من دون مقابل، فعند سؤال كيفية الحصول على مناقصات شركة من الأرشيف يتبادر للصحفيين أول ما يتبادر رشوة عامل الأرشيف، بدل طلب كل مناقصات الشركة بحجة موضوع صحفي عام.

5) لا تصور أو تسجل دون أذن، ولا تتجسس على مراسلات الآخرين، وفي حالات خاصة ربما يُضطر الصحفي الاستقصائي إلى التصوير أو التسجيل دون إذن، بشرط استنفاد الطرق الأقل ضرراً للحصول على المعلومات.

أخلاقيات التقصي حسب مواثيق الشرف الدولية:

وبالعودة إلى "ميثاق شرف الفيدرالية الدولية للصحفيين وفق الإعلان العالمي" الذي يعد معياراً للأداء المهني للصحفيين الذين يقومون بجمع ونقل وتوزيع المعلومات..



إضافة إلى أولئك الذين يعلّقون على الأنباء في أثناء تناولهم للأحداث يمكن استخلاص ما قد (يفيد الصحفيين الاستقصائيين الذين يتطلب عملهم كل ما سبق من جمع ونقل وتوزيع الحقائق والتعليق عليها وتفسيرها وشرحها وتحليلها في أثناء تغطيتهم الاستقصائية)، **وهو:**

1. احترام الحقيقة وحق الجمهور في الوصول إليها أول واجبات الصحفي.
2. خلال أدائهم لعملهم سيقوم الصحفيون – وفي جميع الأوقات – بالدفاع عن الحرية من خلال النقل الأمين والصادق للأنباء والمعلومات والحقائق ونشرها، وكذلك الحق في إبداء تعليقات وآراء نقدية بشكل عادل.

3. سيقوم الصحفي بنشر تلك الأنباء والحقائق والمعلومات وفقاً للحقائق التي يعلم مصدرها فقط، ولن يقوم بإخفاء معلومات هامة أو تزييف وثائق.
4. سيستخدم الصحفي وسائل مشروعة للحصول على الأنباء والمعلومات أو الصور أو الوثائق.
5. سيقوم الصحفي ببذل أقصى طاقاته لتصحيح وتعديل معلومات نُشرت ووجد أنها غير دقيقة على نحو مسيء.
6. سيلتزم الصحفي باتباع السرية المهنية فيما يتعلق بمصدر المعلومات الذي يطلب عدم إفشائه.
7. على الصحفي التنبه إلى المخاطر التي قد تنجم عن التمييز والتفرقة، اللذين قد يدعو إليهما الإعلام، وسيبذل كل ما في وسعه لتجنب القيام بتسهيل مثل هذه الدعوات التي قد تكون مبنية على أساس العنصرية أو الجنس أو اللغة أو الدين أو المعتقدات السياسية، وغيرها من المعتقدات أو المتعلقات الجنسية أو ذات الأصل الاجتماعي.
8. سيقوم الصحفي باعتبار ما سيأتي على ذكره بأنه تجاوز مهني خطير: (الانتحال، والتفسير بنية السوء، والافتراء، والطعن، والقذف، والاتهام على غير أساس، وقبول الرشوة سواء من أجل النشر أم لإخفاء المعلومات أو لشرائها).
9. على الصحفيين الجديرين بصفتهم هذه أن يؤمنوا أن من واجبهم المراعاة الأمينة التي ذُكرت، ومن خلال الإطار العام للقانون في كل دولة.. وفيما يخص القضايا المهنية على الصحفي أن يراعي استقلالية زملائه باستثناء أي شكل من أشكال التدخل الحكومي أو غيره.

وفي الفلك نفسه من الحكمة ختم هذا الفصل عبر عرض ميثاق شرف الفيدرالية الدولية للصحافيين، الذي يتم اعتماده كإعلان عالمي، وبمثابة معيار للأداء المهني للصحافيين:

1- احترام الحقيقة وحق الجمهور في الوصول إليها هو أولى واجبات الصحفي.
2- خلال أدائهم لعملهم سيقوم الصحافيون وفي جميع الأوقات بالدفاع عن الحرية من خلال النقل الأمين والصادق للأنباء ونشرها وكذلك الحق في إبداء تعليقات و أراء نقدية بشكل عادل.
3- سيقوم الصحفي بنشر تلك الأنباء وفقا للحقائق التي يعلم مصدره فقط ولن يقوم بإخفاء معلومات هامة أو تزييف وثائق.
4- سيستخدم الصحفي وسائل مشروعة للحصول على الأنباء أو الصور أو الوثائق
5- سيقوم الصحفي ببذل أقصى طاقته لتصحيح وتعديل معلومات نشرت ووجد بأنها غير دقيقة على نحو مسيء
6- سيلتزم الصحفي بإتباع السرية المهنية فيما يتعلق بمصدر المعلومات الذي يطلب عدم إفشائه.

7- على الصحفي التنبه للمخاطر التي قد تنجم عن التمييز والتفرقة اللذين قد يدعو إليهما الإعلام، وسيبذل كل ما بوسعه لتجنب القيام بتسهيل مثل هذه الدعوات التي قد تكون مبنية على أساس عنصري أو الجنس أ و اللغة أو الدين أو المعتقدات السياسية وغيرها من المعتقدات أو الجنسية أو الأصل الاجتماعي

8- سيقوم الصحفي باعتبار ما سيأتي على ذكره على أنه تجاوز مهني خطير الانتحال، التفسير بنية السوء، الافتراء، الطعن القذف، الاتهام على غير أساس، قبول الرشوة سواء من أجل النشر أو لإخفاء المعلومات.

9- على الصحافيين الجديرين بصفتهم هذه أن يؤمنوا أن من واجبهم المراعاة الأمينة للمبادئ التي تم ذكرها. ومن خلال الإطار العام للقانون في كل دولة، وفيما يخص القضايا المهنية على الصحفي أن يراعي استقلالية زملائه باستثناء أي شكل من أشكال التدخل الحكومي أو غيره.

أخلاقيات التقصي وجنحة القذف:

تثير التحقيقات الاستقصائية على المدى الطويل مناقشات تتعلق بالأمور الأخلاقية والقانونية، وأول هذه الأمور والمشاغل هي جنحة القذف، والإضرار بسمعة شخص أو مؤسسة، لتتلخص لاحقاً بالمسائل المتعلقة بنشر أو كتابة أشياء غير صحيحة عن ذلك الشخص أو تلك المؤسسة، ومن هنا يتحدد القذف في ثلاثة إثباتات إضافة إلى إثبات نية الضغينة والإساءة عمداً إلى الجهة المتداولة، وهي:

1. ما نشر أو أذيع يسبب إساءة لسمعة المتناول.
2. يمكن لآخرين التعرف على المُساء إليه حتى لو لم يُنشر اسمه علناً.
3. عرف بالإساءة آخرون بخلاف الجهة المتناولة والموجه الاتهام إليها.

الأمور التي يجب أن يحترفها الاستقصائيون:

إن القاعدة الذهبية لمواجهة القذف أخلاقياً هي: "أن الوقائع أفضل طريقة لتجنب هذه التهمة"، وسلاح الاستقصائيين في وجهها المستندات والبيانات، وعليه لا بد أن يحترف الصحفيون الاستقصائيون أموراً عادة ما تسبب رفع دعوى جنح القذف ضدهم، مثل:

- الإهمال في الكتابة.
- المبالغة في الكتابة.
- عدم وجود أدلة دامغة كافية.
- عدم قدرة المحرر على الاتصال بالشخص الذي يدّعي الإساءة إلى سمعته.

نصائح "شيفر":

يوجه "شيفر" نصائح لمن يريد عدم المثول أمام المحاكم تتجلى في:

1) التشكك فيما كتبه الصحفي: وهنا عليه أن يسأل نفسه أولاً كيف عرف بهذا الذي كتبه؟ ما مصدره؟ وإذا لم يجد رداً فورياً فذلك قد يعني أن لديه مشكلة.

2) يقوم بمراجعة ما كتب: وهنا عليه أن يبحث إن كانت هناك بيانات أو مصادر أخرى قد تؤيد أو تنكر ما كتب.

3) يغير المحضّر للنشر (طباعة أو بث أو إذاعة) إذا لزم الأمر: وهنا إما يعني إلغاء جزء من المعلومات أو التحقيق الصحفي النهائي، أو البحث عن وسيلة جديدة تتيح له تأكيد ما كتب، وإلا فعليه البحث عن موضوع يحوم حوله دون أن يقع ضحية له.. ولتطبيق ذلك على المحرر أن يطبع نسخة مما كتب ويضع خطاً أحمر تحت كل حقيقة ذكرها في كل سطر، ثم يكتب في حواشي النسخة إلى جانب كل حقيقة المصدر الذي حصل منه عليها، أو أي مصادر أخرى مؤيدة، فإذا لم يجد لديه ثلاثة مصادر أو أكثر لكل نقطة كتبها فهذا يعني بالضرورة التوقف عن التحقيق برمته، أو عن هذه النقطة والبحث عن مصادر إضافية جديدة، فوجود مصدر واحد يعني وجوب إعادة تقييم الموقف، وهل المصدر مريح أو أن ثمة حاجة أكثر للتوازن بعيداً عن الدخول في إشكاليات.

أسئلة حول الصحافة الاستقصائية:

ولأن المصلحة العامة فوق كل شيء، فإذا نظرنا إلى الصحافة كإحدى الآليات المسؤولة في المجتمع الديمقراطي، فإن جملة أسئلة تُطرح هنا، وتنتظر أجوبة دقيقة للصحة الأخلاقية:

- هل يستفيد الجمهور من التحقيقات الصحفية الاستقصائية؟ وما الفوائد التي تقدمها الصحافة الاستقصائية عبر نشرها هذه الموضوعات؟ وهل تعفي الصحافة من مسؤولياتها الاجتماعية عند كشفها للمخالفات؟ وما المصالح المتضررة من النشر؟
- هل الموضوع المطروح يتجاوب مع المصلحة العامة، أو يتعرض لمسائل تطال الحق في حماية الحياة الخاصة للأفراد بحجة المصلحة العامة؟
- ماهي المنهجية والطرق المعتمدة في الحصول على المعلومات؟ فالبعض يُعد أن كل الطرق جيدة إذا كان الهدف منها كشف الفساد والمخالفات، وبالتالي خدمة الشأن العام.
- هل يُعد الكذب عملاً شرعياً يستخدمه الصحفي للوصول إلى الحقيقة؟

- هل كل الطرق مبررة مهما كانت ظروف العمل والصعاب التي تقف عائقاً أمام الحصول على المعلومة؟
- هل يستطيع "الريبورتر" التلفزيوني استخدام كاميرا خفية لدعم وجهة نظره؟ وهل يمكن للصحفي استعمال بطاقة هوية مزيفة للوصول إلى مراكز المعلومات؟
- هل يطال الفساد الصحافة الاستقصائية التي تتمحور حول بعض السلوكيات – التي يعتمدها البعض – كتقبل الهدايا، وحذف وإخفاء بعض المعلومات، أو دفع المال لبعض المصادر للحصول على معلومات؟
- هل على الصحفي أن يكشف كل شيء توصل إليه في التحقيق بما في ذلك شؤون الحياة الخاصة للأفراد؟ فالصحافة "الفرانكفونية" تُعد أن الحياة الشخصية لا تعني إلا أصحابها، وهي ترفض كشفها.. في المقابل فإن الصحافة "الأنغلوسكسونية" تنشر مثل هذه الأخبار انطلاقاً من مبدأ أن على الشخصية العامة أن تكون ذات حياة شفافة في جميع الميادين.
- هل يستطيع الصحفي أن يلجأ إلى أي أسلوب للوصول إلى المعلومة: شراء وثائق ومستندات، ابتزاز، سرقة، ملفات، انتحال صفة، أو تزوير هوية؟
- هل يحق للصحفي أن يشوه سمعة أشخاص معنيين بقضية ما، خصوصاً إذا كان وجودهم في القضية بالمصادفة كمثل علاقة غرامية لسيدة مع الشخصية المعينة؟ أو صداقة أشخاص آخرين لشخص متهم؟ وهنا تدخل مسؤولية الصحفي الشخصية ويتدخل ضميره للتقييم، فالوسائل التي يتبعها مثلاً الصحفي الألماني "غونتير فالراف" هي موضوع انتقاد شديد في بعض الأوساط المهنية.. وهنا أيضاً الموضوع غير محسوم، وإن كان البعض يؤكد أن المصلحة العامة فوق كل اعتبار، لكن في أي حال فإن تخطي القوانين يترتب عليه عواقب قضائية، أما الخرق الأخلاقي فهو شأن الصحفي مع مؤسسته وضميره.

إن الوصول إلى الحقيقة غاية كل تحقيق وبالأخص التحقيق الاستقصائي، وقد لا يوفق الصحفي في الوصول دائماً إلى هذه الغاية بسبب كثرة المعوقات، أو نقص في الوقائع أو الإثباتات، أو الأسانيد مجتمعة أو منفصلة، لكنه في حال نجاحه أو فشله في الوصول، يبقى معتمداً في أثناء سعيه وبحوثه على أخلاقية عدم الحصول على منفعة شخصية مباشرة أو غير مباشرة، من خلال ما يقوم به، فالخدمة مجانية وغايتها الحقيقة؛ لأن التحقيق الذي يتناول خطراً ما لا يمكنه أن يحصل بهدف الترويج لمنتج آخر، أو مؤسسة منافسة في السوق.. إنه يحصل فقط ومجاناً لإبراز حقيقة الوضع، وما تحيط به من أخطار أو مساوئ يتأذى منها الناس، كما أن التحقيق في تقصير إدارة حكومية في القيام بواجباتها خلال كارثة ما لا يمكن أن

يهدف إلى الانتقام من أشخاص معينين، أو فريق عمل معين، فالمطلوب هو خدمة الحقيقة التي تعلَن للناس بكل تجرد، والحقيقة نفسها هي التي تشير على المسؤولين الفعليين بما يجب أن يقوموا به.

المخاطر الأخلاقية للتقصي:

من جانبه يعتقد "مارك هنتر" أن القضايا الأخلاقية التي تواجه الصحفيين الاستقصائيين أكثر رمادية من مجرد كونها أبيض وأسود، وعليه يرى أن المخاطر الأخلاقية الرئيسية للصحفيين الاستقصاءين تتحدد في ثلاثة أوجه:



1) كشف المعلومات: ومن عواقبها تعرض الصحفي للوم نتيجة كشفه الحقيقة، لكن تبقى القاعدة أن الحقيقة قد تؤذي البعض في أوقات محددة، لكنها تفيد الجميع في مختلف الأوقات.. إلى جانب ذلك قد توقع الضرر أو الظلم أو الإساءة وبخاصة للمصادر أو لشخص لا تربطه علاقة جيدة بالصحفي.
2) إسناد المعلومات إلى مصادرها عمل أخلاقي: مع مراعاة حق المصادر في الرد ووجوب تدعيم الانفرادات بالأدلة، وعدم استخدام مصادر مجهولة إلا مع احتياطات جديدة، ولاسيما المطّلعون على الأسرار وقارعو الناقوس الذين قد يكونون حمقى أو غير متأكدين أو مدّعين، أو ثمة من ضللهم.
3) إلى جانب ذلك يتوجب على الصحفي وضع المصدر قبل السر، من خلال حماية المصدر والبريء على حد سواء.

الصحافة الاستقصائية والحقيقة بالجمع:

وفي هذا السياق تفيد "ليندسي واجيرت Lyndsey Wajert" **الصحفيين الاستقصائيين بأن الجهات المسببة للصراع والعداء تتغيّر ولكن الصراع باق،** وتنقل عن عمر شيما، ورومان آنين أنهما نصحا الصحفيين بأن يظهروا أن مهمتهم هي البحث عن الحقائق، وليس تشويه سمعة مصادرهم، فعلى الصحفي أولاً أن يرسل رسالة (ضمنية) في تقريره بأنه لا يملك أي عداوة شخصية معهم، والأهم يمنحهم الفرصة لمشاركة وجهة نظرهم في القصة، فالتركيز الوحيد على إيجاد الحقيقة، مضيفين: "على كل صحفي أن يتذكّر أنه لا يعمل من أجل رئيس التحرير ولا من أجل مالك المؤسسة، ولكنه يعمل من أجل القرّاء".

وهكذا فإن ما يرفع شأن الحالة الصحفية هو وضع معايير عالية للصحافة المهنية، أقلّه على حد تعبير "سينيكا": الروح السامية تُناسب الحالة المرموقة (Magnam fortunam magnus animus decet)، وانطلاقاً من هذه القاعدة تحدد "واجيرت" أخلاقيات التقصي عبر القول "الحقيقة.. بالجمع" فهناك طريق لقصتك، وآخر لقصتي.. أما الحقيقة فقد يكون لها طريق ثالث" فالإبلاغ يعني الإعلام عبر معلومات مقدَّمة من الواجب أن تكون دقيقة، وفي حال لم تكن كذلك فهي لا تُعدّ معلومات بل (كذبة)، وأيضاً يعني الإبلاغ وضع المعلومات المقدَّمة ضمن إطار معيّن، لكن إذا كان هذا التصميم يشوّه محتوى المعلومات، فإذاً هناك تلاعب؛ لأن الفرض الأوّل للصحفي المهني هو خدمة حق الناس في الحصول على معلومات (نزيهة)، وهذا يتحقق من خلال: (احترام الحقيقة – البحث عن الحقيقة – الشفافية مقابل التمويهات – لا مكان للهوس – النضال من أجل القيم الكونية – الخروج عن القاعدة) وفق ما يلي:

1) **ينبغي احترام الحقيقة:** وهذا يعني إيلاء اهتمام دقيق إلى واقع الأحداث المشاهَدة، ولو كان ذلك بأمّ العين، فقد تكون مضلّلة، ومن هنا ينبغي التعمق في فهم ما يشاهد كي لا يخطئ بشأن المدلول الدقيق لهذه المشاهدات، فمثلاً أرى على الطريق رجلاً يضرب آخرَ، ويبدو المشهد واضحاً بأن هناك مُعتدياً ومعتدىً عليه، لكن أليس هناك شيء آخر خلف مظاهر هذا المشهد؟ قد يكون المعتدي يبعد زميله عن خطر لا يراه، وتتجلى (عملية التحديد) عبر اتباع آلية منهجية لتحديد حقيقة الوقائع المشاهدة من أجل الإبلاغ عنها بأكبر قدر ممكن من النزاهة، وعندما تكون المشاهدة مباشرة ينبغي:
   - أن نُبقي نصب أعيننا أن ما نراه ليس سوى جزء من الحقيقة.
   - أن نطرح أسئلة حول المعنى الحقيقي لهذه المشاهدات.
   - أن نقابل مشاهداتنا بمشاهدات الشهود الآخرين: (هل رأيتم ما رأيت؟ لست أكيداً من أنني شاهدت بشكل جيّد: ماذا رأيتم؟).

- أن نعيد وضع الأحداث في سياقها المتواصل.
- أن نضع الأحداث في سياقها.
- أن نقوم بتصميم الأحداث دون اختيارها أو بترها أو تأويلها.
- أن نجعل شخصاً آخر يقرأ مقالنا للتأكد من أن محتواه لا يولّد فهماً خاطئاً.

أما عندما تكون المشاهدة غير مباشرة، فيجب:

- التحقق من موثوقية الشهادات.
- جمع تصريحات الشهود.
- اللجوء إلى المصادر الرسمية.
- اللجوء إلى الصيغ الاحترازية "حسب الشرطة..، حسب شاهد عيان.. وفقاً لما قاله..".

2) **ينبغي البحث عن الحقيقة:** عندما تتعارض المصالح الفردية أو الجماعية مع عملية تحديد الحقيقة يقضي الواجب المدني للصحفي في أن يبحث عن الحقيقة، غير أن هذا لا يبرر اللجوء إلى أي نوع كان من الوسائل، فاحترام الحياة الخاصة والكرامة الإنسانية تُعدّ من معايير الصحافة المهنية.. وعلى صعيد آخر في المسائل ذات الصلة بالشأن العام، يكون البحث عن الحقيقة مشروعاً، لكن الصحفي ليس شُرطياً ولا حكماً، ووسائل التحقيق التي بحوزته تبقى محدودة، وبالتالي عليه معرفة ذلك والإقرار به.

3) **وضع الشفافية مقابل التمويهات:** في كل مرة تكون فيها العوائق التي تحول دون البحث عن الحقيقة طوعية وبشكل علني يجب الآتي:

- طلب تفسيرات بواسطة البريد.
- عرض الصعوبات أمام القراء.
- وضع أجندة بالأبحاث.
- الاحتفاظ بالبراهين الدالة على حسن النية.
- تصويب الأخطاء.
- الاعتراف بالخطأ.

4) **لا مكان للهوس!** فقد يحدث أن يصبح البحث عن الحقيقة هوساً بالنسبة إلى الصحفي الذي يواجه تراكم العقبات، وبالتالي تنطوي هذه الرغبة على خطر تشويه الحقيقة من قِبل الصحفي نفسه، ولاسيما إذا كانت الحقيقة المُكتشَفة لا تتناسب وتطلعات القارئ، وهذا الخطر قائم بالتحديد عندما ينسى الصحفي واجبه في البقاء على الحياد، كي يؤثّر فرضية معينة، وهنا إذا لم يُدرج الوقائع التي اكتشفها عندما لا يُثبت هذا الاكتشاف طرحه يكون الصحفي بالتالي غير نزيه، وتكون الحقيقة المطلقة سراباً.

5) **لا يناضل الصحفي سوى في سبيل القيم الكونية:** فالصحفي لاعب اجتماعي، لكنه ليس لاعباً سياسياً في المعنى المتعارف عليه للكلمة مع أن لدوره الاجتماعي وقعاً سياسياً، فالقيم التي تشكّل قاعدة عمله المهني هي القيم الشمولية التالية: (السلام، والديمقراطية، والحرية، والتضامن، والمساواة، والتعليم، وحقوق الإنسان، وحقوق المرأة، وحقوق الأطفال، والتقدم الاجتماعي)، ومن هنا تُسهم كتاباته في التحولات الاجتماعية والسياسية.. وإذا كان الصحفي يناضل باسم هذه القيم الكونية، فهو لا يناضل أبداً في سبيل خدمة المصالح الفئوية، والقطاعية، والفردية، أو الحزبية؛ وإلا سيقع في فخ التمازج النوعي، ويكون بذلك قيّدَ حريته، وعرض الثقة التي يمنحها القراء إلى استقلاليته للخطر، أما إذا كان الصحفي منتسباً إلى حزب معين – وهذا حقه المواطَني – عليه الامتناع عن جعل مهمته في خدمة حزبه، وبشكل خاص نقل مواقف حزبه، وفي الواقع تمنع التشريعات التحريرية هذه الانحرافات، إذ لا تسمح للصحفي المنتسب إلى حزب ما أو إلى نقابة معينة من التدخل في معالجة المعلومات ذات الصلة بهذا الحزب أو بهذه النقابة.

6) **رأي الصحافة ليس خروجاً عن القاعدة:** غالباً ما يُدفَع الصحفي المناضل في سبيل القيم الإنسانية إلى المجاهرة بمعارضته للسلطات التي تقوم بانتهاك هذه القيم، أو بضربها عُرض الحائط، وأحياناً يدفع حياته ثمناً لذلك، لكن حتى في حالات التوترات الشديدة لا يسعه الخروج عن القواعد الأخلاقية التي تفرض عليه احترام القناعات والمعتقدات كافة، وجميع أشكال التعبير فيسطر مسيرته الصحفية، بشكل خاص، بشرف إعطاء الكلمة إلى معارضيه، وبالتحلي بالتسامح إزاءهم في تحليلاته وتعليقاته، ولتحقيق ذلك هناك العديد من النصوص المرجعية مثل:

- ميثاق الواجبات المهنية للصحفيين الفرنسيين (1918).
- مدونة قواعد سلوك الصحفيين الأمريكيين (1926).
- مدونة قواعد سلوك الصحفيين البريطانيين (1938).
- إعلانمبادئ الاتحاد الدولي للصحفيين بشأن سلوك الصحفيين، والمعروف بإعلان بوردو (1954) .
- الإعلان المتعلق بحقوق وواجبات الصحفيين، والمعروف بإعلان ميونيخ (1971).
- قانون الصحافة الألمانية بريس كودكس (1973).
- إعلان اليونيسكو حول وسائل الإعلام (1983).
- قرار المجلس الأوروبي حول أخلاقيات الصحافة (1993).

7) "**لا ينبغي الاشتباه بزوجة قيصر**": إذ يجب على الصحفي الترفع عن الاشتباه – كما حصل مع بومبي، زوجة قيصر الثانية التي تمّ نبذُها بسبب إشاعة تافهة ذات صلة بالخيانة – فالمسؤولية المهنية تقضي بعدم التشكيك في نزاهة الصحفي المهنية، ولا يشتمل ذلك على احترام الحياة الشخصية، واحترام كرامة الأفراد،

ورفض الوسائل غير المنصفة، ورفض الترويج للمصالح الخاصة التي تتعارض مع المصلحة العامة فحسب بل كذلك الامتناع عن أي تواطؤ وأي حلول وسط.

ثالثاً انعكاسات أخلاقيات المهنة على الصحافة الاستقصائية



1. المعلومات المستخدمة في الاستقصاء تضمن صدقها.
2. تجنب استخدام الطرق غير المشروعة في الحصول على المعلومات والآراء.
3. استخدام أفكار يُبنى عليها الاستقصاء حقيقة وواقعاً.
4. تحديد الحقوق والواجبات.
5. تعتمد على جميع الآراء بالدقة المرتبطة بأفكار التحقيقات.
6. البعد عن الانتقام والشخصية في التحقيقات الصحفية (الالتزام بأخلاقيات المهنة).
7. رفع درجة المسؤولية الاجتماعية تجاه قضايا المواطنين وقضايا البلد.
8. الاحتفاظ بمصادر المعلومات وأسرارها في إطار القانون.

رابعاً: أخلاقيات نشر الحياة الخاصة للأشخاص العموميين



يثير نشر الحياة الخاصة للأشخاص العموميين جدلاً بين من ينظر إليها على أنه أمر عادي ومطلوب، بما أن التعرّض للحياة الشخصية للشخص العام متاح إذا ثبت أن هناك ارتباطاً بينها وبين وظيفته، في وقت يرى فيه آخرون أن الحياة الخاصة خط أحمر لا يحق للصحافة تجاوزه بأي شكل من الأشكال..

فمثلاً يندرج الحديث عن كون ابنة رئيس الحكومة المغربية عاطلة عن العمل فضلاً عن فوز ابن قيادي في حزب العدالة والتنمية التركي بجائزة مالية في رياضة البوكر، والانتقادات التي تعرّض لها والده بسبب أفكار حزبه الدينية التي لا تشجع على هذا النوع من الألعاب، ضمن الحياة الخاصة للعموميين ولو كانا أبناء سياسيين.

وبالإشارة إلى دليل أخلاقيات الصحافة الذي نشره مجلس أخلاقيات الصحافة البلجيكي عام 2013 ولاسيما في المادة 25 تم التأكيد على أن احترام الحياة الخاصة للشخص العام مسألة ضرورية، ركزوا عليها بشكل أكبر من الحياة الخاصة للشخص العادي.. ومن جانب آخر، يُضاف على المادة القول إن هذا الاحترام يمكن أن يزول إذا ما كانت المعلومة الخاصة بالحياة الشخصية ترتبط بالنشاط الذي يُعرف به الشخص المراد الكتابة حوله، بمعنى أن هذا الدليل يتسامح مع حديث الصحافة عن الحياة الخاصة للمسؤولين والأشخاص العموميين شرط أن تكون المعلومة مرتبطة بنشاطاتهم التي يتوجهون بها إلى الرأي العام.. فمرض الأشخاص العاديين يعد من صميم الحياة الشخصية، لكن مرض شخصية عمومية قد يكون له آثار على السياسات العامة، فيصبح الإخبار عنه ضرورة مهنية.. وفي هذا السياق فإن العلاقات الحميمية تندرج في إطار الحياة الخاصة التي على الصحفيين احترامها وذلك إذا لم يقم الشخص المعني بنشرها للعموم أو لم تكن لها علاقة بوظيفته المعروفة، فلا يمكن إشهار حميمية الأشخاص وتعريتها إذا لم يكن هناك داعي صلب مرتبط بشكل وثيق ومباشر بالصالح العام، كما أنه ليس على الصحفيين البحث عن تفاصيل أخرى لم يتم نشرها، وبخاصة إذا كانت تمس أشخاصاً آخرين، ومن هنا خلُصت المادة 24 إلى ضرورة عدم الخلط بين المصلحة العامة التي تفرض على الصحفيين نشر جوانب من الحياة الخاصة، وبين ما يصطلح عليه بـ"فضول الجمهور".

ولعل ما شجع وسائل الإعلام، ولاسيما الإلكترونية منها وباقي الصفحات والحسابات عبر شبكات التواصل الاجتماعي على توظيف جزء من الحياة الخاصة ضمن ما تنشره سببان: أولهما تنامي الحديث عن الأنا على الإنترنت مع كل ما يصاحب ذلك من إشهار للحميمية، وثانيهما توظيف السياسيين في الغرب للأسْرة – الزوجة بشكل أساسي – بكل ما يتضمن ذلك من ملامح الخصوصية في التسويق السياسي ما يوسّع أفق انتظار الجمهور الذي بات ينظر إلى سلوكيات الحياة الخاصة كمفسر ولو جزئي لمجريات الحياة العامة.. وعموماً وفي كل الأحوال لا يمكن الإخبار عن الحياة الخاصة إلا إذا ارتبط الأمر بوقائع لها أثرها الواقعي أو المحتمل على الشأن العام.

وبشكل عام تكفل القوانين المختلفة حماية الحياة الخاصة، ولا يوجد مبرر لانتهاك حرمة الحياة الخاصة سوى أن تكون هناك آثار سلبية جمة على الحياة العامة، أي أن تتحول الحياة الخاصة إلى شأن عام.. وهناك أمثلة عديدة على ذلك أبرزها قضية وزير الداخلية البريطاني السابق ديفيد بلانكت الذي اضطُر للاستقالة بسبب كشف إحدى الصحف معلومات تؤكد حصول خادمة عشيقته على إقامة في بريطانيا بشكل أسرع من المقرر قانونياً، وتم فضح تفاصيل الحياة الخاصة لوزير الداخلية بسبب استغلاله منصبه العام لتحقيق مصلحة شخصية غير مشروعة، أي أن القضية تحولت شأناً عاماً ومست المصلحة العامة Public Interest.

خامساً: أخلاقيات التحقق من المواد المنشورة على شبكات التواصل الاجتماعي

يعتمد الاستقصائيون على مواقع التواصل الاجتماعي أو الإنترنت بشكل لا يخالف كثيراً نقل وسائل الإعلام من هذه المواقع، فمثلاً اضطُرت إدارة "شبكة الدوتش فيلي" الألمانية إلى الاعتذار عن نشر فيديو يظهر طفلاً سورياً ينقذ أخته من بوابل النيران ويصاب أكثر من مرة قبل أن ينهض ويتابع مهمته، ليتبين لاحقاً أنه شريط مفبرك "ممثَّل"! وكذلك الحال في مصر فقد تناولت القنوات الرسمية أواخر العام الماضي خبراً خاطئاً مُفاده أن سيدة تركية هتفت لمصر ورئيسها الحالي في أثناء القبض عليها في المظاهرات المناهضة لسياسات الرئيس التركي رجب طيب أردوغان تجاه تنظيم الدولة الإسلامية، حيث نشر موقع" اليوم السابع" مقطع الفيديو، وبُث كذلك من خلال برنامج العاشرة مساءً الذي زعم مقدمه أن مقطع الفيديو يعد برهاناً على نجاح المشهد السياسي في مصر، ومن خلال البحث عن تاريخ نشر مقطع الفيديو على موقع "يوتيوب" تبيّن أنه يعود إلى الاحتجاجات التي شهدتها تركيا عام 2009، وأن الفتاة التي سُحلت في المظاهرات كانت تردد هتافاً تركياً لا علاقة له بالأحداث السياسية في مصر، وعلى الرغم من ذلك تناقلت المواقع المصرية نقلاً عن بعضها مقطع الفيديو ككرة الثلج

المتدحرجة دون البحث عن مصدره أو حقيقته، ما أوقع بهم في مصيدة الشائعات ليقوموا بترويجها دون التحقّق والتأكّد من دقتها ومصداقيتها.. والأمثلة لا تنتهي نتيجة للتسرع في النشر، وعدم توخي الدقة بالرغم من أن أدبيات الصحافة تشمل العديد من المقولات الشهيرة التي توصي الصحفيين بضرورة توخي الحذر وتفادي عدم الدقة بكل السبل، منها على سبيل المثال: "عند الشك عليك بالبحث للتأكد".. وفي أوائل عام 2014 أصدر مركز الصحافة الأوروبية دليل التأكيد من الأخبار الذي تضمن الكثير من الدروس والحالات العملية، ويقدم "عمرو العارقي – المتخصص في صحافة البيانات ومؤسس موقع إنفوتايمز" بعضاً من هذه الخطوات التي تساعد الصحفي على الوصول إلى الحقائق وتقلل من تكرار نشر الشائعات.

- **تحقّق أولاً:**



تساعد عملية البحث الأولية في جمع معلومات تتعلق بتاريخ وموقع حدوث الواقعة ومعرفة الجهة الأولى التي قامت بنشرها، فإذا كانت المادة المتداولة تصريحاً لأحد السياسيين أو المشاهير فالأفضل البحث في حسابه الرسمي للتأكد، أما إذا كان المحتوى عبارة عن مقطع فيديو، ففي هذه الحالة هناك خطوات معروفة للكشف عن صحته قبل النشر وتبدأ بأخذ صورة ثابتة من مقطع الفيديو ومن ثم تحميلها على موقع جوجل للصور، لتكشف لك نتائج البحث عن بعض الحقائق، وعما إذا كان المقطع تمت فبركته أو لا، أما للتحقق من الصور فقد يكشف محرك البحث عن الصور "تين إي" جميع المعلومات: من أين جاءت الصورة، ولمن هي وكيف تم تداولها على مواقع الإنترنت.

- **التأكد للمرة الثانية:**



إن ما يميز الصحفي المحترف عن غيره هو قدرته على التدقيق في المعلومات للوصول إلى الحقائق، وتعد القاعدة الرئيسية للتحقق هو البحث عن مصدر آخر للتأكد، فإذا وردت إليك معلومات من جهة ما تفيد بحدوث قتل جماعي في إحدى المدن السورية، أو نزوح سكان إحدى القرى العراقية على يد أفراد من تنظيم الدولة الإسلامية، فلا تسارع بنشر هذه المعلومات قبل تمحيصها والتأكد من تناقلها بشكل مؤكد بين وكالات الأنباء الموثوق بها، وإذا تبيّن أن في الخبر شائبة فعليك الامتناع عن نشره، فهنا تكمن المسؤولية في بث المعلومات المتصلة بشكل وثيق في كثير من الأحيان بحياة مئات الأشخاص.

- **استعن بالمصادر:**



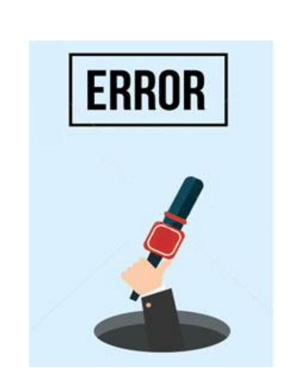
لا تفترض أبداً صدق الصور ومقاطع الفيديو المنشورة على شبكات التواصل الاجتماعي، وحاول الاتصال بطريقة مباشرة بمصدر المادة المنشورة للحصول على معلومات أكثر، أو استعن ببعض الشخصيات ذات الصلة بالحدث، فقد يقومون بنفي المادة المتداوَلة على تلك المواقع، وهو ما قد يقود إلى سبق صحفي، ويجذب اهتمام القارئ لما سيُنشر.. وهذا ما حدث بالفعل في قصة صحفية حيث استعان الصحفي ببعض المصادر في تركيا للتأكد من واقعة السحل وهتاف المتظاهرة وهو ما قاده إلى سبق صحفي جديد جعل قصته الصحفية الأكثر قراءةً على موقع "ياهو" لمدة أسبوع كامل.

- **الحل الأفضل:**



إذا استحال التأكد من مصدر المحتوى المنشور على شبكات التواصل الاجتماعي أو العثور على معلومات حول دقته، فمن الأفضل نسبها إلى مصدرها وعدم تبنيها، ونشرُها على أنها متداولة على شبكات التواصل الاجتماعي وقد نالت نسباً مرتفعة من المشاهدات، وليس كمعلومة خبرية مؤكدة، مع ضرورة الإشارة إلى محاولات التحقق منها والنتائج والمعلومات التي توصّل إليها الصحفي، إلى جانب إضافة ردود الأفعال المتداولة حولها كالتعليقات والتغريدات المصاحبة لها، وتتبع الـ BBC هذا الأسلوب في نشر قصص يومية في خدمة "بي بي سي ترند" تجمع كل ما هو متداول بكثرة على شبكات التواصل الاجتماعي.

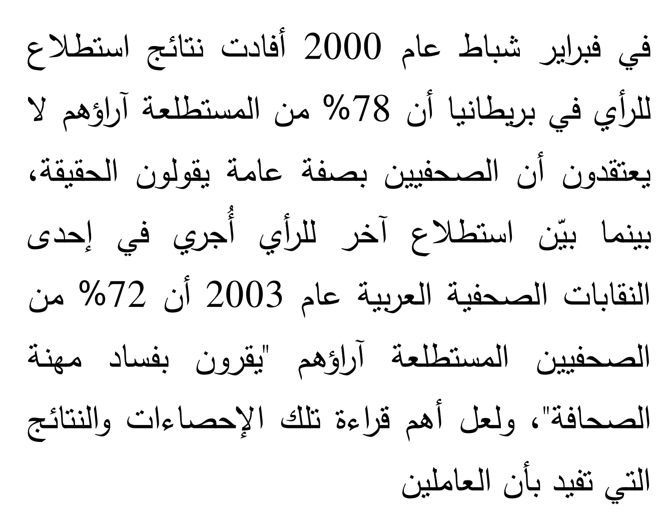
- **تذكّر الأخطاء مكلفة:**



ليست المصداقية وثقة الجمهور هي كل ما يخسره الصحفي نتيجة عدم الدقة، فثمة خسائر أخرى مكلفة أيضاً، فعندما يتسبب الخطأ في الإساءة إلى شخص أو أشخاص أو مؤسسات أو حتى دول من غير المستبعد أن يلجأ المتضررون إلى القضاء لطلب التعويض، وعادةً لا تتسامح المحاكم مع مرتكبي الأخطاء،

فلن تقتنع هيئة المحكمة بأن السبب في الخطأ هو نقص خبرة الصحفيين أو ازدحامُ الأجندة الصحفية، أو أيُّ أعذار أخرى قد تكون منطقية إلا أنها خارج نطاق الإجراءات القضائية.

سادساً: أخلاقيات صحافة عربية تواجه الفساد



في فبراير شباط عام 2000 أفادت نتائج استطلاع للرأي في بريطانيا أن 78% من المستطلعة آراؤهم لا يعتقدون أن الصحفيين بصفة عامة يقولون الحقيقة، بينما بيّن استطلاع آخر للرأي أُجري في إحدى النقابات الصحفية العربية عام 2003 أن 72% من الصحفيين المستطلعة آراؤهم "يقرون بفساد مهنة الصحافة"، ولعل أهم قراءة تلك الإحصاءات والنتائج التي تفيد بأن العاملين



في مهنة الصحافة سواء في الغرب أم العالم العربي يحتاجون إلى المزيد من الجهد لتعزيز يقين الجمهور فيما يتعلق بدورهم في المجتمع، ولكسب المزيد من الثقة والصدقية.. وهذا يتأتى عبر تكريس المعايير الاحترافية في الأداء، والتزام قيم العمل الصحفي فضلاً عن إكساب الممارسة المهنية الصحفية حسها الأخلاقي الذي يضمن تفعيل هذه القيم وعدمَ إساءة استخدامها، ولتحقيق أداء حرفي يتطلب مهارات أبرزها "كن أنت نفسك" بمعنى ألا تعتقد أنه بإمكانك تقمصَ أسلوبِ أو صوت أو طريقة أداء الآخرين، ثم تعتقد أنك ستنجح في التواصل مع الجمهور دون ممارسة أدوار الوعظ أو تقديم النصح، فالجمهور اليوم لا يُتوقع من وسائل الإعلام أن تقدم له دروساً أو نصائح بل معلومات وتوجهات وحقائق، فالإعلام هو التواصل في جانب من جوانبه، والتواصل يشترط البساطة في الأسلوب، وهذا يجب أن يرتبط بالصدقية في العمل.. فالإعلامي الناجح هو الذي يمارس عمله بصدقية مع الذات والآخرين، وفي أي من مجالات العمل الإعلامي عليه أن يفهم ما يقوله أو يكتبه، وأن يعايش الكلمات والمعاني بوجدانه كله، وأن يركز جهده على توصيل تلك المعاني ما يلزم السيطرة على الذات وضبط المشاعر، فليس من الغريب أن يكون ذلك أحد مقومات نجاح الصحفي، ويتضمن ذلك قدرة السيطرة على

مشاعر الحزن، والغيظ وحتى الفرح، فقد انتهى العصر الذي كان فيه للإعلام دور تلقيني، ونحن اليوم في عصر يلعب فيه بالكاد دوراً إعلامياً يأخذ من الناس كما يعطيهم، ليبقى الحكم القيمي للجمهور الذي لن يقبل ألا نحترم ذكاءه ومشاعره، وبوابةُ المرور إلى ذلك تحييدُ الآراء الشخصية، فإذا كان الفضول والتشكك من مقومات الصحفي الناجح، فمن باب أولى أن يتشكك في آرائه الشخصية فلا تعتقد أبداً أنك تمتلك الحقيقة المطلقة.

وعلى عكس القيم والمعايير المهنية، فإن الأخلاق قد ترتبط بإدراك مدى وجودها أكثر من ارتباطها بمعايير محددة يمكن بها قياس ما هو أخلاقي وما هو غير أخلاقي غير أن قضية تعريف الأخلاق قديمة قدم الفلسفة، والمحور الذي تدور حوله مناقشة قضية الأخلاق هو افتراض يملك حرية التصرف بطريقة أو أخرى.

من جانبها أكدت منظمة الشفافية العربية أبرز النقاط التي تعد صيغة مرضية لصحافة عربية تواجه الفساد وهي:

1. القيام بعملية مراجعة شاملة للقوانين المختلفة المتعلقة بتقييد الحريات.
2. إلغاء قوانين المطبوعات المقيِّدة للحريات، وتبنّي حملات وطنية لإقرار قانون حرية الوصول إلى المعلومات.
3. الترويج للصحافة الاستقصائية بوصفها الأهم في فضح قضايا الفساد في المجتمع.
4. حملات توعية للمجتمع المدني بضرورة حرية الصحافة، وبالتالي خوض معركتها، لكونهما يمثلان حلفاً واحداً.
5. حث القطاع الخاص على إصدار الصحف لكونها خط دفاع مهماً ضد الفساد الذي يشوه العملية الاقتصادية ويوجهها نحو الاحتكار، والربح غير المشروع في كثير من الأحيان.
6. فك الارتباط بين الصحافة والحكومات بتضمين القوانين المدنية مواد تمنع الحكومات من التملك في الصحافة.
7. الحث على تأسيس نقابات وتجمعات تدافع عن الصحفيين وتقوم بالتعاون المشترك بين النقابات العربية والأجنبية في هذا الأمر.
8. إقرار قوانين تشجع المنافسة وتمنع الاحتكار في السوق الإعلامية.
9. العمل على إقناع المؤسسات الصحفية بتخصيص صفحات لمتابعة قضايا الفساد، وحث مؤسسات المجتمع المدني والقطاع الخاص على دعم صحف متخصصة في محاربة الفساد.
10. تخصيص جوائز سنوية لأحسن موضوعات عن محاربة الفساد، أو لأشخاص يحاربون الفساد، ويتفرغون لمواجهة هذا الوباء الذي يفكك المجتمع ويسبب نتائج مريعة لجميع مجالاته وقطاعاته.
11. تشجيع عقد دورات لتدريب الصحفيين على الصحافة الاستقصائية المتخصصة وسبل كشف قضايا الفساد الخطيرة في المجتمع.

وفي الفلك نفسه من الحكمة ختم هذا الفصل عبر عرض ميثاق شرف الفيدرالية الدولية للصحفيين، الذي يتم اعتماده كإعلان عالمي، وبمثابة معيار للأداء المهني للصحفيين(:

1- احترام الحقيقة وحق الجمهور في الوصول إليها هو أولى واجبات الصحفي.
2- لال أدائهم عملَهم سيقوم الصحفيون وفي جميع الأوقات بالدفاع عن الحرية من خلال النقل الأمين والصادق للأنباء ونشرها وكذلك الحق في إبداء تعليقات وآراء نقدية بشكل عادل.
3- سيقوم الصحفي بنشر تلك الأنباء وفقاً للحقائق التي يعلم مصدرها فقط ولن يقوم بإخفاء معلومات هامة أو تزييف وثائق.
4- سيستخدم الصحفي وسائل مشروعة للحصول على الأنباء أو الصور أو الوثائق.
5- سيقوم الصحفي ببذل أقصى طاقته لتصحيح وتعديل معلومات نُشرت ووَجد أنها غير دقيقة على نحو مسيء.
6- سيلتزم الصحفي باتباع السرية المهنية فيما يتعلق بمصدر المعلومات الذي يطلب عدم إفشائه.
7- على الصحفي التنبه للمخاطر التي قد تنجم عن التمييز والتفرقة اللذين قد يدعو إليهما الإعلام، وسيبذل كل ما في وسعه لتجنب القيام بتسهيل مثل هذه الدعوات التي قد تكون مبنية على أساس العنصرية أو الجنس أو اللغة أو الدين أو المعتقدات السياسية وغيرها من المعتقدات أو الجنسية أو الأصل الاجتماعي.
8- سيقوم الصحفي باعتبار ما سيأتي على ذكره على أنه تجاوز مهني خطير: الانتحال، التفسير بنية السوء، الافتراء، الطعن، القذف، الاتهام على غير أساس، قبول الرشوة سواء من أجل النشر أم لإخفاء المعلومات.
9- على الصحفيين الجديرين بصفتهم هذه أن يؤمنوا أنّ من واجبهم المراعاة الأمينة للمبادئ التي تم ذكرها.
10- ومن خلال الإطار العام للقانون في كل دولة، وفيما يخص القضايا المهنية على الصحفي أن يراعي استقلالية زملائه باستثناء أي شكل من أشكال التدخل الحكومي أو غ

الخلاصة

يجب أن ترفع الصحافة الاستقصائية فوق دعائم العمل الأخلاقي، كما يجب أن تسند إلى ركائز مواثيق الشرف، بعيداً عن المصالح الخاصة، والقاعدة الذهبية أن الاستقصائي لا يستطيع نشر النسخة الأخيرة من قصته قبل العثور على كل الحقائق المتعلقة بها وتقييمها، ولعل أهم المعايير التي يجب الالتزام بها خلال البحث عن المعلومات أنه يجب الامتناع عن الحصول على المعلومات غير المشروعة، وكذلك على الصحافي الابتعاد عن انتحال الشخصية الاعتبارية، والقاعدة الذهبية لمواجهة القذف أخلاقياً هي: "أن الوقائع أفضل طريقة لتجنب هذه التهمة"، وسلاح الاستقصائيين في وجهها المستندات والبيانات.

وعليه لا بد أن يحترف الصحفيون الاستقصائيون أمور عادة ما تسبب رفع دعوى جنح القذف ضدهم، مثل: (الإهمال في الكتابة، أو المبالغة فيها، وعدم وجود أدلة دامغة كافية، وعدم قدرة المحرر على الاتصال بالشخص المدعي الإساءة إلى سمعته)، وأخيراً فتعامل الاستقصائي مع الحقيقة يجب أن يكون بمنطق "الجمع" بمعنى احترام الحقيقة، والبحث عنها، ووضع الشفافية مقابل التمويهات، مع مراعاة أخلاقيات نشر الحياة الخاصة للأشخاص العموميين، وأخلاقيات التحقق من المنشورات على شبكات التواصل الاجتماعي.

التمارين

1. اختر الإجابة الصحيحة:

أكثر ما يواجهه الصحفي الاستقصائي من مخاطر

A. القذف.

B. الشتم.

C. الاتهام الخاطئ.

D. تجاوز الخصوصية.

الإجابة الصحيحة: A. القذف.

2. اختر الإجابة الصحيحة:

المدرسة التي تعتبر الحياة الخصوصية للعامة يمكن تجاوزها إذا ارتبطت بالمصلحة العامة

A. الفرانكفونية.

B. الانجلوسكسونية.

C. الفرنسية.

D. الغربية الأفلاطونية.

الإجابة الصحيحة: B. الانجلوسكسونية.

3. اختر الإجابة الصحيحة:

أهم طريقة تجنب الصحفي الوقوع بالخطأ أخلاقياً

A. النسب إلى المصادر.

B. المراجعة سطر بسطر.

C. المراجعة بالإشارة إلى الحواشي.

D. الدقة والموضوعية والاتزان والإنصاف.

الإجابة الصحيحة: B. المراجعة سطر بسطر.

الوحدة التعليمية الثامنة

أخلاقيات ممارسة الصحافة الاستقصائية وثقافة عملها الموضوعي (2)

الأهداف التعليمية:

بعد دراسة هذه الوحدة التعليمية يجب على الطالب أن يكون قادراً على أن:

- يشرح أخلاقيات الموضوعية مقابل عدم الوقوع في الانحياز
- يشرح سياق العمل الاستقصائي الأخلاقي
- يشرح الصحافة الاستقصائية ومدقق الجودة
- يشرح قيم الدقة والإنصاف والاستقامة والحياد في العمل الاستقصائي
- يشرح دروس ونماذج في الأخلاقيات المهنية الاستقصائية وخرقها

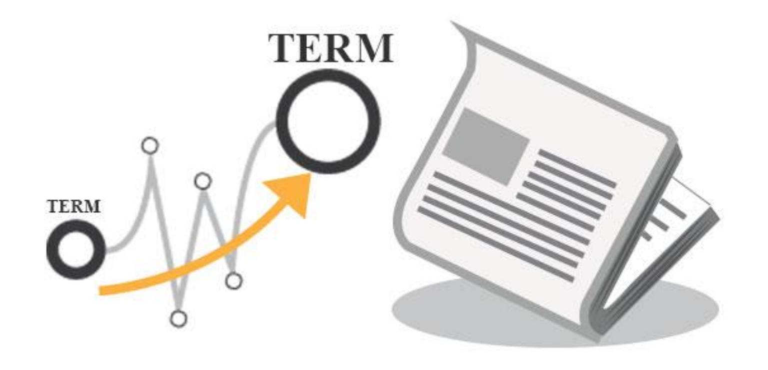
النقاط البحثية للوحدة:

1. أخلاقيات الموضوعية مقابل عدم الوقوع في "الانحياز".
   - عناصر الموضوعية في الاستقصاء الصحفي:
   - أهم أنماط الانحياز غير البنيوية في الصحافة الاستقصائية.
2. سياق العمل الاستقصائي الأخلاقي.
3. الصحافة الاستقصائية ومدقق الجودة.
4. قيم الدقة والإنصاف والاستقامة والحياد في العمل الاستقصائي:
   - الدقة: Accuracy
   - الإنصاف والاستقامة: Fairness and Straight Dealing
   - الحياد: Impartiality
5. دروس ونماذج في الأخلاقيات المهنية الاستقصائية وخرقها:
   - نموذج صحيفة نيوز أوف ذا وورلد البريطانية.
   - تساؤل ستيفاني.
   - حالة "الشيخ الزائف" الصحفي مظهر محمود.
   - جيمس ريزن"؛ الصحفي الأميركي الجريء غير المهادن.

الكلمات المفتاحية للوحدة:

الموضوعية مقابل "الانحياز" – عناصر الموضوعية في الاستقصاء – أنماط الانحياز غير البنيوية في الصحافة الاستقصائية – سياق الاستقصاء – مدقق جودة التقصي – الدقة – الإنصاف – الاستقامة – الحياد في العمل الاستقصائي – نموذج صحيفة نيوز أوف ذا وورلد – تساؤل ستيفاني – الشيخ الزائف" الصحفي مظهر محمود – "جيمس ريزن"؛ الصحفي غير المهادن.

أولاً: مقدمة عن مصطلحات العمل الصحفي



تتعدد المصطلحات التي تناقش موضوعية العمل الصحفي بشكل عام والاستقصائي بشكل خاص، ومنذ القدم تبدلت أدوار عدم مراعاة هذه الموضوعية عبر الانحياز وألفاظه، فقديماً كان يقال بضبط المعلومات والسيطرة عليها "Control"، ثم أصبح يقال لفظ الانحياز "Bias" للتخفيف من تضارب المصطلح مع حق المعرفة والتعبير، ولم يختلف المسمى مضموناً مع استخدام لفظ التأطير بدلاً من ذلك "Framing"، ولعل كل المفاهيم الماضية تلتقي وتعريف مفهوم "الموضوعية" في وسائل الإعلام، والتي تعتبر حسب "برنامج استقلالية الإعلام" أهم القيم في العمل الإعلامي، والتي قد تتسع لتشمل: "التوازن والمصداقية والحياد، والنزاهة، والإنصاف"، خاصة أن "الموضوعية" في العمل الإعلامي يتم التعامل معها وفق اتجاهين: أولهما يرى أنها خُرافة، ولا وجود لها، بحجة أنه لا يوجد صحفي يعرف الحقيقة كاملة، ومن ثم ليس بمقدوره أن يكتب قصة تضاهي الواقع بكل أبعاده، وثانيهما يراها هدفًا يمكن تحقيقه.

ثانياً: أخلاقيات الموضوعية مقابل عدم الوقوع في "الانحياز"

عناصر الموضوعية في الاستقصاء الصحفي:

يمكن للصحفي أن يكون موضوعياً إذا أراد وسعى من أجل ذلك عبر اتباع مجموعة من العناصر والآليات هي:

- الإحاطة الكافية بالموضوع الذي يتصدى لمعالجته.
- مراعاة الدقة للدرجة القصوى.
- تحقيق الإنصاف والحياد.
- التوازن.

- وضوح الرسالة حتى في أوقات الخطر.
- الشمولية.
- عدم إهمال السياق.
- إسناد الرأي إلى مصدر موثوق وواضح وذي صلة.
- العمل لصالح الحقيقة، وليس لأي جهة أو اعتبار آخر.
- إذا تعذر إقصاء الإيديولوجيا، فعلى الأقل يجب الإحاطة برأي الطرف الآخر.
- نشر الحقائق حتى لو كانت تتحدى الجو العام.
- البعد عن القصور في نقل آراء الأطراف المنخرطة في القصة، والأفرادِ الذين يملكون رأياً فيما يحدث.

أهم أنماط الانحياز غير البنيوية في الصحافة الاستقصائية:

مما سبق يتبين أن "الانحياز" يقابل الموضوعية، فلا يوجد شيء أسوأ من تقديم تغطية منحازة، سواء عن عمد أم جهل أم عدم اهتمام، فالانحياز في التغطية وفق دليل "المعايير المهنية في الكتابة الخبرية "هو" الميل الذاتي أو المحاباة، أو الرؤية أحادية الزاوية، وهو المقاربة المصلحية للأخبار التي لا تخلو من دوافع التحريف والتلوين، واختيارات تخدم وجهة نظر معينة.. وفي أوقات الصراع قد يصبح الانحياز أحياناً فعلاً سياسياً "ذا دور وتأثير في الصراع"؛ لذلك يتوجب على الصحفيين فهم أنماط الانحياز والعمل على تفاديها خلال عملهم، ولعل أهم **أنماط الانحياز (غير البنيوية) التي يمكن تجنبها بسهولة:**

- الانحياز بالمحاباة: حيث يعمل الصحفي لصالح طرف أو أكثر من أطراف القصة على حساب طرف آخر.
- الانحياز بالحذف الاختياري: بحذف أو تغييب حقائق تؤيد وجهة نظر معينة لإظهارها ضعيفة على حساب وجهة نظر أخرى.
- الانحياز في اختيارات القصص.
- الانحياز في اختيار المصادر.
- الانحياز بالاستحسان أو الاستهجان.
- الانحياز باستخدام المصطلحات والتعريفات الخاطئة: كاستخدام مصطلحات: "إرهابي، متمرد، شهيد، انتحاري".
- الانحياز في تقديم الرأي كخبر أو كمعلومة.

- انحياز نقص السياق: فلا يقدّم الإعلامي خلفية القصة ما يؤدي إلى تحريف معناها بما يخدم طرفاً أو وجهة نظر ما.

ثالثاً: سياق العمل الاستقصائي الأخلاقي



يرى "محمد أبو حشيش" أنه عند الحديث عن الجوانب الأخلاقية في الصحافة الاستقصائية فمن المهم الإشارة هنا إلى أن العمل الاستقصائي يأتي ضمن سياقين: **قوة القانون:** القانون الدستوري، و**قوة الضمير:** قانون المهنة.

تقوم أخلاق المهنة مجموعة من المبادئ والضوابط على قرارات وقيم وأخلاق يتم التوافق عليها على شكل ميثاق أو مدونة سلوك متفق عليها تخضع للاحترام تعمل على توجيه سلوك الفرد نحو الخطأ والصواب في الإنتاج الصحفي، ولعل المسؤولية الاجتماعية تعبر عن معنى أخلاق المهنة ذاته، وهي تعني أنك تعمل في إطار مجتمع وليس في فراغ، حيث توجد حقوق وواجبات تلزم بالاهتمام بالمجتمع وحقوقه وتقاليده، فهناك العديد من أخلاقيات المهنة التي يعبَّر عنها بالضمير أو المسؤولية الاجتماعية أبرزها:

1. (الموضوعية): وتتمثل في التزام التوازن والسعي إلى إعطاء كل وجهات النظر المتباينة في موضوع ما حقَّها في التعبير.

وعدمِ إعداد معلومة بذهنية مسبّقة، وعدم التشويه أو التحريف، أو إساءة استخدام المعلومات، أو تقديمها بشكل منقوص، وتقديمِ الحقائق كما هي بما يسمح للجمهور تكوينَ وجهة نظره الخاصة..

2. **(الصدق):** يتمثل في المعالجة والطرح فهو عدم اختلاق الأحداث، فالحقيقة هي المحور المحرك للإعلامي، ويتطلب ذلك التأكد من مصداقية المصدر،

3. **(الحياد):** هناك جدل بين الإعلاميين عما إذا كان هذا المبدأ موجوداً ويمكن تطبيقه، ويكاد يكون هناك إجماع بأن الحياد المطلق لا وجود له، فجميع وسائل الإعلام لها سياسات وأفكار وبرامج تتبناها وتطرحها، ويبقى المهم هو إعلاء المهنية والموضوعية،
4. **(الدقة):** لا يكفي أن تنقل واقعة حقيقية بل ينبغي أن يكون النقل دقيقاً من غير تشويه للحقائق، كما أن الحذف المُخل أو تشويهَ المعلومة أو تقديمَ صورة منقوصة يعني الانتقاص من دقة المعلومة أيضاً، وهذا محور الصحافة المسؤولة والمهنية، وهنا يتوجب الانتباه والحذر من بث الإشاعات والمعلومات غير المؤكدة على أنها حقائق، ووضع الحقائق والمعلومات في سياقها من أجل أن يفهم الجمهور أهمية الأحداث بوضوح، وهذا يتم بشكل أفضل في محيط **(الحرية)** وهي قرار ومناخ يتم العمل في إطاره.
5. **(النزاهة):** تعني تقديم المعلومة والصور بنوع من الحياد وتجنبَ الخلط بين الأمور مثل الخلط بين الخبر والرأي، والتجرد من الهوى والاستقلالية في العمل وعدم الخضوع لتأثير أي رقابة،
6. **(المسؤولية):** هي أن يتحمل الإعلامي مسؤولية صحة أخباره، بمعنى أنه لا يجوز نقلُ أي خبر دون التحقق منه والتحري بشأنه والتزامِ الدقة في معالجته والحذر في نشره،
7. **(العدالة):** تشير إلى أن المواطنين جميعاً متساوون في الحقوق والواجبات، كما هم متساوون أمام وسائل الإعلام، فيجب الحرص على أن تكون هذه الوسائل تعبيراً عن فئات المجتمع جميعها.

رابعاً:الصحافة الاستقصائية ومدقق الجودة

عمدت بعض المؤسسات الإعلامية إلى تعيين مدقق جودة ombudsman يقوم من تلقاء نفسه أو بناءً على شكوى بفحص ما إذا كانت المادة الإعلامية تتوافق مع معايير السلوك المهني، فمن الصعوبة أن تبلغ النزاهة في عمل الإعلامي حد المثالية، لكن من غير الأخلاقي قيامُ الصحفي أو الإعلامي بتزوير الحقائق عمداً،
وهناك أمثلة في كل مكان في العالم على صحفيين أو إعلاميين لا يلتزمون بأي مواثيق، لكن سرعان ما تقذفهم البحيرة كأي سمكة فاسدة.

من جهتها تؤمن جمعية الصحفيين المحترفين "سيغما دلتا شي" بأن واجب الصحفيين هو خدمة الحقيقة عبر ممارسة حقهم الدستوري في حرية الحصول على المعلومات، ما يحمّل الصحفي مسؤوليات بالتزامات تتطلب أداء العمل بذكاء وموضوعية ودقة وإنصاف، وبالتالي لا بد من قبول المعايير التالية:

- **المسؤولية:** فالصحفيون الذين يستخدمون وضعهم المهني كممثلين للجمهور لأغراض شخصية أو أنانية أو لدوافع أخرى غير جديرة بالمهنة يخرقون هذه الثقة الغالية التي منحهم إياها الجمهور.

- **حرية الصحافة:** إن حرية الصحافة يجب حمايتها كحق من الشعب لا يجوز التعدي عليه في مجتمع حر، وهي تحمل معها حريةً ومسؤولية المناقشة والسؤال، وتحدي الأعمال والأقوال التي تدلي بها الحكومات والمؤسسات الرسمية، فالصحفيون يحتفظون بحقهم في الإعراب عن الآراء غير الشائعة، وحقهم أيضاً في الاتفاق مع رأي الأغلبية.
- **الأخلاقيات:** إن الصحفيين يجب أن يتحرروا من أي التزام تجاه أي جهة صاحبة مصلحة إلا التزامهم نحو الجمهور ليعرف الحقيقة.. وفي سبيل ذلك عليهم أن يعلموا أن الهدايا والمجاملات، والرحلات المجانية، والمعاملة الخاصة أو الامتيازات، وكل هذه يمكنها أن تؤدي إلى تنازل الصحفي عن أمانته وعن أمانة صحيفته، ولا يجب على الصحفي قبول أي شيء له قيمة مجاناً، كما أن أي وظيفة ثانية للصحفي، أو الاشتراك في النشاط السياسي، أو التعيين في منصب عام، أو خدمة منظمات المجتمع يجب تجنبها إذا ما أدت إلى الإخلال بأمانة الصحفي وصحيفته.
- **الدقة والموضوعية:** إن الحصول على ثقة الجمهور هي أساس الصحافة الجديرة باسمها.
- **الإنصاف:** على الصحفيين في جميع الأوقات أن يظهروا الاحترام اللائق بكرامة الناس الذين يقابلونهم وخصوصياتهم وحقوقهم ورفاهيتهم، وذلك بالتزام:

1- على وسائل الإعلام ألا تنشر أو تذيع اتهامات غيرَ رسمية تؤثر في سمعة أو كرامة شخص دون إعطائه فرصة الرد.
2- على وسائل الإعلام ألا تحاول انتهاك حق الشخص في الاحتفاظ بحياته الخاصة بعيداً عن الأضواء.
3- يجب ألا ترضى وسائل الإعلام عن التفاصيل غير اللائقة في موضوعات الدعارة والجريمة.
4- إن من واجب وسائل الإعلام أن تجري التصحيحات اللازمة والكاملة فوراً لأي أخطاء قد ترتكبها.
5- الصحفيون مسؤولون أمام الجمهور عن تقاريرهم، والجمهور يجب تشجيعه على أن يجهر بشكاواه ضد وسائل الإعلام بالحوار المفتوح مع القراء والمستمعين والمتفرجين.

خامساً: قيم الدقة والإنصاف والاستقامة والحياد في العمل الاستقصائي

يرى البعض أن الموضوعية تدور وتتمحور في التقصي والعمل الصحفي عبر مصطلحات **(الدقة – الإنصاف والاستقامة – الحياد):**

الدقة Accuracy:

الدقة هي تفادي الأخطاء بأنواعها المختلفة: المعلوماتية والموضوعية والطباعية والنحوية واللغوية وغيرها، والدقة مرادفة للسلامة والصحة، وهي لا تحتاج فقط إلى التزام الصحيح، والتثبت من صحة الآراء والمواقف والمعلومات ونسبِها، لكنها تحتاج أيضاً إلى إدراك للسياق، وامتلاك للخلفية التي تحول دون ارتكاب الأخطاء.. ففي عالم يزدحم بوسائل الحصول على المعلومات لا يميز وسيلة عن أخرى أفضل من معيار الدقة، وفي ظل التطور التقني والتنافس الحاد بين وسائل الإعلام ليس هناك أسوأ من أن يقع صحفي في خطأ أو أن تنشر وسيلة إعلام ما معلومات غير صحيحة، وتزدهر أدبيات الصحافة بمقولات شهيرة تحض الصحفيين على توخي الحذر، وتفادي عدم الدقة بجميع السبل، فهناك من يقول بالإنجليزية: "If in doubt.. Check it out." أي عند الشك عليك بالبحث للتأكد، وكذلك قيل عن المعلومات غير المؤكدة: "If they can not be checked out, they should be chucked out." أي أن المعلومات التي لا يمكن التأكد منها ينبغي التخلص منها.. ورأس مال أي مصدر للمعلومات هو الدقة، كما أن قيمة الصحفي أو المراسل الميداني بالتحديد ترتفع كلما كانت أخباره دقيقة، ونقطة البداية في تحقيق القيم الأخرى كالإنصاف أو الحياد هي الدقة، فالدقة بمنزلة أم القيم الأخرى التي يجب أن يلتزمها العمل الصحفي، فإن كانت التفاصيل غير دقيقة أو غير صحيحة من الأساس عندئذٍ لن تكون هناك أي قيمة لتغطيته بإنصاف أو حياد.. وتتساوى أهمية عنصر الدقة لدى معظم وسائل الإعلام الجادة، فحتى تلك التي تتخذ مواقف وتوجهات سياسية واضحة (أي أنها لا تدّعي الموضوعية أو الحياد، وتعترف بالانحياز إلى موقف ضد آخر) عليها أيضاً التزام الدقة، فجميع قوانين العالم المنظِّمة للعمل الإعلامي تعاقب على الوقوع المتعمَّد في الأخطاء المعلوماتية، وتُلزم من ارتكب مثل تلك الأخطاء بالتصحيح والاعتذار، وهو أمر لن يسعد المسؤولين عن أي وسيلة إعلام، كما أن كثرة التصحيحات والاعتذارات تؤدي إلى فقدان وسيلة الإعلام لجمهورها الذي لن يكون بمقدوره الثقة بمعلوماتها إن تكررت حالات التصحيح والاعتذار، وعليه تتحقق الدقة في العمل الإعلامي عبر آليات تحري الدقة التي تشمل ما يلي:

- التركيز على الحقائق: فالعمل الإعلامي يعتمد على الحقائق فقط بما يستلزمه ذلك من اعتماد التقديم الواقعي، والبعد عن الأخبار والمعلومات المختلقة والمفبركة، والتي لم يتسنّ التأكد من صحتها.
- نسب الآراء والمواقف والمعلومات إلى مصادر واضحة مذكورة بطريقة صحيحة ومعرّفة تعريفاً متكاملاً.
- ذكر أسماء العلم والمعلومات والأرقام والحقائق على نحو صحيح.
- تحري الصحة في حالات الغموض واللُّبس بتكرار البحث والسؤال والتقصي.
- مراجعة المعلومات التي يتم الحصول عليها سواء من الزملاء أو المنافسين أو المصادر المختلفة، والتثبت من صحتها قبل نشرها كلما كان ذلك ممكناً.

- استخدام الحس الصحفي، وامتلاك الخلفية الثقافية، وإدراك السياق العام الذي يؤهل الصحفي لاختبار سلامة المعلومات التي يحصل عليها بصرف النظر عن مدى صدقية المصدر الذي استقى منه الصحفي تلك المعلومات.
- تفادي أخطاء الطباعة والنطق والنحو واللغة والمعلومات وغيرها.
- ليست الصدقية وثقة الجمهور هي كل ما يخسره الصحفي نتيجة عدم الدقة، فثمة خسائر أخرى مكلفة أيضاً، فعندما يتسبب الخطأ في الإساءة إلى شخص أو أشخاص أو مؤسسات أو حتى دول فمن غير المستبعد أن يلجأ المتضررون إلى القضاء لطلب التعويض.
- أكثر المعلومات دقة هي تلك التي تحصل عليها بنفسك أو من زملائك الذين كانوا في موقع الحدث؛ إذ إنهم ينقلون ما شاهدوا وسمعوا بأنفسهم، وبالطبع لن يكون ذلك ممكناً في الحالات كلها، وبالتالي فإننا غالباً نعتمد على معلومات حصلنا عليها من آخرين، وهنا يُفضّل أن تعتمد على من نسميهم المصدر الأول أو first–hand sources كالشهود، ففي حالات الجرائم أو الانفجارات يكون شهود العيان واقعين تحت كم هائل من الضغوط النفسية والعصبية، وبالتالي من المرجح أن تتسم رواياتهم بالارتباك وعدم التناغم، وتذكّر أيضاً أن بعضاً من شهود العيان قد يتعمد تقديم معلومات مغلوطة، ففي مناطق النزاع وخلال الكوارث الطبيعية عادة ما يحاول شهود العيان تقديم المعلومات بحيث يرسمون لأنفسهم صورة وردية، أو يقدمون أنفسهم على أنهم أبطال، أو يحاولون تجنب التورط في المشكلات.
- بصفة عامة حاول قدر الإمكان ألا تعتمد على مصدر واحد، بل ابذل المزيد من الجهد والوقت لتتأكد من الرواية التي ستبني عليها تقريرك أو قصتك الخبرية.
- بعض المصادر قد تكون أكثر صدقية، أو على الأقل على درجة أعلى من المسؤولية تجاه الجمهور مثل:
  - الشرطة والإسعاف، والمطافئ والمستشفيات.
  - المصادر القضائية كالمحاكم.
  - المسؤولون الرسميون.
- في معظم الحالات يمكنك اعتبار أي من المصادر السابقة معتمداً بما يكفي دون إضاعة مزيد من الوقت في التأكد من مصادر أخرى، غير أن ذلك لا يعفيك من المتابعة، فربما تحصل على معلومات أخرى أكثر دقة أو أكثر تفصيلاً تؤكد أو تنفي أو تصحح الصيغة الأولية.

- بصفة عامة على الصحفي أن يكون على اتصال وعلى علاقة مستمرة بعدد من المصادر المعتمدة، وأحياناً وبسبب الثقة المتبادلة تحصل على معلومات خاصة من مصدر معتمد دون أن يسمح لك بنشرها، ولكن – على الأقل – قد تتمكن من خلالها من نفي روايات أخرى متضاربة.
- الأخلاقية والدقة تعني النسْب إلى المصادر، فالقاعدة هنا هي أن على الصحفي تعريفَ الجمهور بمصدر الخبر كلما كان ذلك ممكناً، وتضمن عملية النسْب إلى المصدر عدمَ الوقوع في خطأ نشر آراء أو ترويج شائعات على أنها حقائق، وعلى الرغم من أن النسْب إلى المصادر غالباً ما يدفع المسؤولية الصحفية أو القانونية عن كاهل الصحفي أو المؤسسة، فإن المسؤولية الأخلاقية تظل موجودة على من قرر البث أو النشر.
- أحياناً لا ينطبق في الصحافة القول المعروف: "ناقل الكفر ليس بكافر".. فناقل الكفر في الصحافة قد يكون أشدَّ كفراً من الكافر.
- قاعدة الاعتماد على أو ثلاثة مصادر: من قواعد العمل الصحفي الثابتة تجنب الاعتماد على مصدر واحد كلما أمكن، وخصوصاً لو كان المصدر غير أصلي أي بعيداً عن الحدث، ولكي تتجنب تداعيات مثلِ هذه الأخطاء عليك استخدامُ ما يسمى بالحس العام أو الـcommon sense، وأن تربط المعلومة بسياقها، فإن تناغمت مع السياق العام الذي يحكمها فهي على الأرجح صحيحة، وإن تنافرت مع السياق العام فطبق قاعدة: عند الشك عليك بالتأكد.
- تجنب تكرار الخطأ: أخطاء الدقة التي على شاكلة الأخطاء في الأسماء أو الإحصائيات أو الأرقام قد تتكرر إذا استخدم الصحفي أو المعد النص السابق نفسَه بما يحوي من أخطاء، ولتجنب ذلك عليك بذل مزيد من الجهد في عملك، وعدم اللجوء إلى المعلومات الأرشيفية بشكل دائم؛ لأنها ببساطة قد تحوي بعض الأخطاء والهفوات، فكلما أمكن قم بالبحث المعلوماتي عبر المصادر الأصلية.
- أخطاء في التفصيلات: قد نرتكب أخطاء معلوماتية لمجرد التكاسل أو التهاون عند بلوغ مرحلة التفصيلات، فالأخبار قد تحتوي أخطاء في التفصيلات مثل: ذكر اسم وزير في إحدى الحكومات مقروناً باسم وزارة غير التي يحمل حقيبتها، أو ذكر تاريخ شهير معين خطأ، أو ذكر اسم ضابط كبير مقروناً برتبة غير التي يحملها، أو ذكر مدينة على أنها عاصمة دولة معينة على سبيل الخطأ، فهذه الأخطاء كلها تكمن في التفصيلات وليس في صلب الموضوع، لكنها تؤثر سلباً في الصدقية ككل، وتدفع الجمهور إلى الاستخفاف بوسيلة الإعلام التي لم تتحرَّ الدقة في أمور بسيطة كتلك، وقد تلغي استقصاءً بُذل فيه مجهود كبير.

- أخطاء وسائل الإبراز: تتضمن وسائل الإبراز الصور، والرسوم البيانية (الغرافيك)، والخرائط والأفلام المصاحبة وغيرَها، وفي بعض الحالات – وبسبب نقص الدقة وضغوط العمل – يتم اختيار وسيلة إبراز خاطئة لمصاحبة نص أو تقرير معين، وفي حالات أخرى يتم اختيار وسيلة الإبراز الصحيحة (صورة مثلاً) لكنها تُنسب إلى شخص آخر غير الشخص المعني، وبالتالي فإن مثل تلك الأخطاء تندرج ضمن أخطاء الدقة، وهي أيضاً مكلفة جداً، ولاسيما أن الجمهور عادة ما يكتشفها سريعاً، ويُعدها دليلاً على تهاون الوسيلة وعدمِ دقتها في عملها.
- التأويل الخاطئ: لا يقتصر عمل الصحفي فقط على نقل الأخبار أو المعلومات منسوبة إلى المصدر بالشكل الذي قيلت به على لسانه، فبعيداً عن التورط في تقديم الرأي كخبر، قد يلزم أن يعطي الصحفي التأويل المحكم الدقيق لما تحدثت به المصادر، وهو الأمر الذي يندرج أيضاً ضمن أخطاء الدقة.
- تحري الدقة عند اختيار الكلمات لتحويل التصريح أو الرأي إلى خبر، فالآراء هي أيضاً حقائق يجب نقلها بدقة متناهية كما أراد أصحابها التعبير عنها، وينطبق ذلك عند نقل الرأي خلال إجراء المقابلات.
- أخطاء النطق: في بعض الأحيان ينطق المذيعون أو المراسلون الميدانيون أسماء الأشخاص والمدن بشكل خاطئ، الأمر الذي ينال من صدقية الوسيلة الإعلامية، ويضعف ثقة الجمهور بها، والمشكلة تتفاقم إن كان الاسم الخاطئ يعني شيئاً آخر.. ولتجنب هذه المشكلات عليك باستشارة أهل الخبرة، فلا عيب من أن تسأل أحد سكان المنطقة عن طريقة نطق الاسم، كما أن سؤال الضيف قبل المقابلة عن طريقة لفظ اسمه ربما أقل إحراجاً من أن يقوم هو بتصحيح اللفظ على الهواء.
- تصويب الأخطاء: يجب على الصحفي ووسيلته الإعلامية التعامل مع الأخطاء بالأهمية نفسها التي تم التعامل بها مع المضمون، ومن ثم يجب القيام بتصويب الأخطاء فوراً وبشكل واضح، وليس من العيب الإقرار بالخطأ، فالتصويب يحافظ على صدقية الصحفي والوسيلة الإعلامية، وقد أصبح الجمهور على درجة من الإدراك وحسن المتابعة تكفي لاكتشاف أي تلاعب عند حدوث الخطأ، غير أن الإقدام على خطوة التصويب في حالات معينة كالأخطاء التي تتضمن قذفاً أو تشهيراً، يجب أن يتم بعد استشارة إدارية وقانونية، حتى لا يتسبب في توريط الوسيلة الإعلامية أو الصحفي قانونياً، فهنا يكون الأمر قد انتقل من مجرد تحمل مسؤولية أخلاقية عن الخطأ إلى وجود تبعات قضائية ومالية قد تؤدي إلى إغلاق الوسيلة، فالأولى حينئذٍ أن تلجأ إلى من هو أعلى منك وظيفياً وإدارياً لاتخاذ القرار النهائي.
- **الصدقية:** تتأتى عبر التأكد من أن التغطية كاملة ومتوازنة ودقيقة، وهذا يشمل الدقة والكفاية.. **ولتجنب** الأخطاء:
  - كن مشككاً في المعلومات ودقق في كل شيء.

- أفسح المجال لشخص أو أكثر من العاملين معك لقراءة قصتك.
- احذر خطأ المصادر وتأكد أنهم يعرفون ما يتحدثون عنه.
- راجع الوقائع في المقالات المعقدة والتقنية.
- لا تخمن شيئاً ولا تحاول أن تتحزر بل تأكد مباشرة من صحة المعلومة.
- حسّن مستوى أخذ الملاحظات وسجّل ملاحظاتك حتى بوجود آلة تسجيل.
- ضع إلى جانبك لائحة بالأسماء الملتبِسة لتجنب كتابتها بشكل خاطئ.
- اعترف بالخطأ ولا تتردد في كتابة تصحيح، وإذا كان الخطأ كبيراً يمكن كتابة قصة ثانية تضع النقاط على الحروف وتوضح الالتباس.

- **النسبة:** أي معلومة غير بديهية يجب أن تُنسب إلى المصدر المناسب، وإذا كنت أنت المصدر أوضح ذلك بدلاً من تجهيل المصدر، فإبراز المصدر يمكّن من أخذ فكرة عن صدقية المعلومة المقدمة.
- **تجنب الغموض** كاستخدام تعابير: يبدو أن (يبدو لمن؟) ويُعتقد أن (من يعتقد؟) ومن المعروف أن (معروف من قبل من؟) المصادر المجهولة تكون أحياناً ضرورية مع الحرص على عدم تعميمها.
- **التوازن:** قد تكون القصة واقعية لكن غير متوازنة تقدم وقائع صحيحة لكنها موجهة تهدف إلى إعطاء انطباع خاطئ، كما يمكن تجاهل وقائع أساسية وإبرازُ قسم آخر من الوقائع بشكل لا يعطي صورة دقيقة عن الحقيقة، والمتلقي لا بد من أن يلاحظ هذا الانحياز.. ويمكن المحافظة على التوازن من خلال:
  (أ) اجمع معلوماتك من جانبي الموضوع أو من جوانبه كلها، واحذر من المصدر الواحد، والاتهاماتُ ضد شخص تستوجب تمكين المتهم من إعطاء رأيه، وإذا تعذر الاتصال به لا بد من الإشارة إلى ذلك.
  (ب) تجنب كتابة قصة يكون لك فيها مصلحة شخصية (قريب، صديق..).
  (ج) عندما تكتب تجنب الملاحظات الساخرة عن شكل شخص مثلاً.
- **العناوين:** وهي الخاصرة الضعيفة للصحيفة وتتطلب كتابتها مهارات مهنية ولغوية، ويجب أن تعكس محتوى القصة بأمانة.
- **سلوك الصحفي:** تنعكس تصرفات المراسل أو المحرر على الصحيفة سلباً أو إيجاباً، فالجرأة في طرح الأسئلة الحرجة لا تعني استخدام الكلام الوقح، واللهجة الهادئة ضرورية حتى عند طرح أكثر الأسئلة إحراجاً.
- **القيام بدور الرقيب:** القارئ يريد منك أن تكون مراقباً يقظاً تنصر المظلوم، وفي حال وجد القارئ أن حدثاً مهمّاً حصل ولم تشر إليه، يفقد ثقته بك.

- كن متوازناً غير متحيز، دقيقاً وكاملاً وواقعياً ومحترفاً وجريئاً ومتفهماً.

قائمة مراجعة الدقة، تتحدد في:

- راجع اليوم والتاريخ: لا يوجد تاريخ 31 سبتمبر أيلول أو 31 يونيو حزيران.. هل اليوم هو الاثنين أم الجمعة؟ كن حذراً عندما تنقل من خبر قديم.
- راجع الأسماء: احرص على عدم الخطأ في كتابة الأسماء.
- لا تستخدم اختصارات استُخدمت في عنوان الخبر (تنطبق على اللغة الإنجليزية).
- ملايين ومليارات: لا تخلط بينهما.. الخلط خطأ شائع.
- احذر من تكرار كلمات تؤدي المعنى نفسَه دون زيادته قوة ووضوحاً.
- أين يقع المكان الذي تتحدث عنه؟
- هل لديك مصدر؟
- عرّف هوية الأشخاص بمناصبهم وألقابهم كاملة.
- تذكر السياق.. "قال في مؤتمر صحفي..".
- يجب تحديد صفة المحللين.. محللو صناعة النفط مثلاً.
- كن محدداً.. النمو الاقتصادي: هل تتحدث عن إجمالي الناتج القومي أم عن إجمالي الناتج المحلي؟
- فرّق بين زيادة بنقطة مئوية وزيادة بنسبة مئوية.
- الأرقام تحتاج إلى مقارنة.
- تجب مقارنة معدل التضخم على أساس سنوي.. هل الزيادة فصلية؟
- السنة الميلادية (التقويم).. عام 2001 ميلادية.. السنة المالية.. اذكر بدايتها ونهايتها.
- لا تلمّح أو تشِر إلى أشياء.. استخدم الحقائق لعرض القصة.
- لا تشِر إلى شيء لم تتطرق إليه في القصة.
- حاول ألا تبدأ الجملة بالمصدر.
- تفادَ استخدام صيغ التفضيل أو التفوق على ما سواه أو انسبها مصدر.. لا تقل أكبر مصفاة نفط في العالم دون الإشارة إلى من يقدّر أنها الأكبر.
- تفادَ الأخطاء الإملائية البسيطة.. (فوهة وليس فوهه.. نقطة وليس نقطه.. عملية وليس عمليه.. لغة وليس لغه.. سوى وليس سوي).
- نوع الربح.. هل هو مجمل الربح أم ربح التشغيل أم الربح قبل خصم الضرائب أم صافي الربح؟

- أي دولار تعني.. هل دولار أمريكي أم دولار أسترالي؟
- قم بعمليات حسابية.. هل الأرقام المذكورة متوافقة؟
- هل الأرقام تشير إلى زيادة أم نقصان؟
- هل مجموع النسب المئوية يساوي 100%؟
-

الإنصاف والاستقامة Fairness and Straight Dealing

يمكن تعريف الإنصاف في العمل الإعلامي ببساطة بأنه "اتخاذ الوسيلة والصحفي الإجراءات الكاملة اللازمة لحماية الجمهور والمشاركين في المادة الإعلامية (المصادر على سبيل المثال) من أي تداعيات سلبية غير موضوعية تترتب على إعداد المادة ونشرها أو بثها، على أن يكون ذلك في إطار لا يمس نزاهة المادة ودقتها، ولا يحرم الجمهور

من حقه في الاطلاع على التفصيلات اللازمة"، فبسبب التسرع والمنافسة قد نتخذ قرارات لها تأثير أوسع نطاقاً مما نتصور، وقد يكون التأثير سلبياً على الوسيلة الإعلامية والجمهور على حد سواء، وكذلك على المشاركين في العمل.. وتلقي الأمثلة التالية مزيداً من الضوء على معنى الإنصاف في العمل الصحفي:

- موظف في الميناء ينقل إليك معلومات خاصة عن تهريب سلع انتهت صلاحيتها، تعده بعدم كشف اسمه، لكنك خلال العمل على إنتاج القصة، وبسبب التسرع تذكر معلومات تؤدي إلى اكتشافه، فالموظف يُفصل من عمله لاحقاً.
- تحقيق تلفزيوني يشارك به لاجئ سياسي معروف يشترط عدم الكشف عن مكان إقامته، تستخدم – بسبب قلة المادة الفيلمية – لقطات من المنطقة المجاورة تكشف عن موقع إقامته، وبعد أسبوع من إذاعة القصة يُعثر على جثته في محل إقامته مقتولاً بالرصاص.

1. لماذا الإنصاف؟

لا يحقق الإنصاف نتائج معنوية وأخلاقية فقط، لكنه أيضاً يحقق نتائج مهنية إيجابية، ويحول دون خسائر كثيرة يمكن أن تُمنى بها كصحفي ووسيلته، على النحو التالي:

- بعض المشاركين في المواد الإعلامية التي تنتجها الوسيلة (تقارير، تحقيقات، قصص خبرية، برامج..) سواء بأنفسهم أم بمعلوماتهم أم بصلاحياتهم لن يرغبوا في المشاركة في المستقبل إن هم شعروا بالتعامل غير المنصف.

- عدم الإنصاف يؤثر سلباً في سمعة الوسيلة التي تعمل لها، كما يسيء إلى سمعتك المهنية والشخصية.
- عدم الإنصاف قد يؤدي إلى الوقوع في أخطاء قانونية ربما تقود الوسيلة الإعلامية والصحفي إلى المحكمة.

وتعد الأمانة أحد أهم أركان تحقيق الإنصاف، ويلزم لتحقيق الأمانة في العمل الإعلامي ما يلي:

- التعامل الأمين والواضح في الأغلب الأعم من الحالات مع المشاركين أو المساهمين بمن فيهم أولئك العدائيون بطبعهم أو أصحاب السلوك المشين.
- أن يكون الصحفي أو المعد واضحاً ما أمكن فيما يخص طبيعة القصة أو البرنامج الذي يعده والهدف منه.
- معظم المشاركين من أفراد الجمهور ليسوا على دراية بتقنيات العمل الإعلامي (الإذاعي والتلفزيوني تحديداً) فلا يجب أن تفترض أن ما تُعده واضحاً هو بالضرورة كذلك بالنسبة إليهم، فعلى سبيل المثال من غير المعروف لدى بعض المشاركين أن مشاركاتهم قد تتعرض للمونتاج.. وبصفة عامة يجب إبلاغ المشاركين بما يلي:
    - موضوع التحقيق أو البرنامج (وطبيعة العمل بصفة عامة).
    - طبيعة المساهمة المتوقعة منهم.
    - هل هي حية أم مسجلة.
    - هل ستخضع للمونتاج أم لا.
    - من سيشارك معهم في الحوار.

ولتحقيق الإنصاف على أرضية صلبة هناك حظر النشر Embargo، فعادة ما تلجأ بعض الجهات كالمنظمات الدولية والهيئات الحكومية إلى إرسال نسخ من تقاريرها أو بياناتها الدورية إلى المؤسسات الصحفية لتسهيل جمع ما يلزم من معلومات وإعداد التحقيقات الصحفية عن الموضوع بشكل جيد قبل الموعد الرسمي لإصدار التقرير المعني، وعادة ما تشترط تلك الجهات حظر النشر لحين حلول الموعد الرسمي، وإن قطعت على نفسك وعداً بعدم النشر لحين إصدار التقرير رسمياً، عليك الالتزام بوعدك، فخرق هذه التعهدات يعرض مصادرك للخطر، كما أنه يفقدك ثقة واحترام زملاء المهنة الذين سيعلمون أنك خرقت الحظر لمنافستهم بطريقة غير أخلاقية.

2. **اليد اليمنى للإنصاف حق الرد:** فعادة ما يتعامل الصحفيون مع قضايا جدلية تتضمن وجود وجهات نظر عدة.. من الضروري أن تكفل حق الرد لمن قد يتعرض للانتقاد أو الاتهام، وإعطاء جميع الأطراف المعنية حق الرد يكفل التوازن والموضوعية والإنصاف، كما أن ضمان حق الرد يجعل من القضايا

العادلة أكثر إقناعاً وتأثيراً، ويقطع الطريق على الطرف المدّعى عليه أن يحتج بعدم منحه فرصة التعبير عن وجهة نظره.

3. **من قواعد الإنصاف حق الرفض:** فقد يرفض أحد أو بعض المشاركين أن يكون طرفاً في التقرير أو التحقيق أو البرنامج الذي تعده على الرغم من أن وجوده يعد مطلباً أساسياً لتحقيق التوازن، وعليك إبراز الرفض وإعلام المشاهد بمحاولاتك الجادة لإقناعه (إقناعهم بالمشاركة)، وبالرغم من ذلك عليك أيضاً التعبير عن وجهة النظر الغائبة إن كنت على دراية مؤكدة بها، أو على الأقل عليك الإشارة إلى غيابها من حين إلى آخر.

4. **الإنصاف والتسجيلات السرية:** في حالات خاصة جداً يمكن تبرير اللجوء إليها أخلاقياً:
   - أن تكون القضية المثارة شأناً عاماً.
   - أن تتعلق بجرائم ضد المجتمع.
   - أن يستحيل جمع المعلومات بطرق أخرى غير التسجيل السري.
   - ألا تستهدف سلوكاً محتملاً بل يجب توافر أدلة على وجوده المسبّق.
   - ألا تشجع أنت كصحفي تكرار السلوك للحصول على التسجيل المطلوب.

5. **الإنصاف وعدم الإفصاح عن هوية المصدر:** في حالات معينة قد يوافق المشاركون على أن يدلوا بدلوهم في تقريرك أو قصتك الخبرية مشترطين عدم إعلان هويتهم، وفي بعض الأحيان يشترط مشاركون في برنامج إذاعي أو تليفزيوني تغيير صوتهم أو إخفاءَ صورتهم فنياً، وللموافقة على ذلك يجب أن تتأكد من حقيقة وجود أسباب موضوعية أو تهديدات محيقة بهم تبرر ذلك الإجراء، لكن إن وافقت فعليك الالتزام.

6. **الإنصاف مراعاة المشاعر الإنسانية:** عادة ما يتعامل الصحفيون مع أناس يمرون بتجارب إنسانية مأساوية سواء أكانوا أقارب ضحايا أعمال العنف أم ممن تعرضوا لاضطهاد أو تعذيب أم ممن شهدوا على وقوع كوارث من نوع أو آخر، ويجب أن تحرص كل الحرص على مراعاة الحساسيات الخاصة لهؤلاء، فمن غير الإنصاف أن تستغل انفعالات هؤلاء ومآسيهم كمادة لتقاريرك من دون التأكد من موافقتهم وإقرارهم بما تفعل. وتجدر هنا الإشارة إلى قصة حقيقية حدثت عندما سقطت طائرة، فقامت إحدى القنوات التليفزيونية بالتوجه إلى منزل الطيار، وأبلغت زوجته بالخبر، بينما كان المصور يلتقط انفعالاتها، وهي تعلم لأول مرة أنها فقدت زوجها، ومن الواضح أن ما جرى ينافي أبسط قواعد الإنصاف والاستقامة.

الحياد Impartiality:



يعرف بأنه وقوف الصحفي/الوسيلة (في التغطية الاستقصائية أو الخبرية ودون مواد الرأي) على مسافة متساوية من جميع أطراف القصة/الحدث/الجدل، مع إتاحة الفرص الكاملة لتلك الأطراف – أو من يمثلها – للتعبير عن مواقفها دون التورط بتبني أي من تلك المواقف، وهو يعد خطاً فاصلاً بين تقديم المعلومة المجردة وبين التحريض والحض على توجه سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي أو ديني معين،

فوسائل الإعلام يمكنها أن تعلن عن توجهاتها وانحيازاتها كما تشاء في مواد الرأي، لكن يجب على الصحفي الذي ينشد تقديم مواد استقصائية وتقارير وبرامج تتحلى بالحياد أن يسعى إلى تقديم وجهات النظر كلها بشكل متوازن، وعليه أن ينحّي جانباً معتقداته وآراءَه الشخصية.. ولتحقيق الحياد ينبغي تقديم الرؤية كاملة Presenting the full story: أي منح كل السيناريوهات المحتملة أوزاناً متساوية عند رواية القصة، ومنح أوقات أو مساحات متساوية أي منح الأطراف المعنية كلها الأوقات أو المساحات المتكافئة والمتساوية بقدر الإمكان عند رواية القصة مع عدم تقديم النصيحة، ففي حالة وجود قضية خلافية وحتى لو كان أحد الاختيارات هو الأفضل للجمهور بشكل واضح، لا يجب أن يتبرع كصحفي بالإفصاح عن ذلك، فلقد ولى عهد الإعلام الوعظي المباشر.. وعلى الجمهور اختيار الأصلح من وجهة نظره هو، وبالتالي يسمح بترجيح وجهة نظر على أخرى فقط إن تعلق الأمر بخلاف معلوماتي، أي خلاف حول حقيقة، وإذا تمكنت من الوصول إلى الواقع كشاهد عيان، هنا فقط رجّح أحد الاحتمالات من واقع وجودك على الأرض.

سادساً: دروس ونماذج في الأخلاقيات المهنية الاستقصائية وخرقها

نموذج صحيفة نيوز أوف ذا وورلد البريطانية:

حيث قررت إدارة الصحيفة – التي يملكها قطب الإعلام البريطاني "روبرت مردوخ" – إيقافها على خلفية فضيحةٍ تنصتَ قسم التحقيقات فيها على المكالمات، حيث أُتهمت الصحيفة بالتنصت على هواتف 4000 شخص، بينهم سياسيون ومشاهير وضحايا الهجمات الإرهابية، وعائلات جنود بريطانيين قتلوا في العراق وأفغانستان بحثاً

عن سبق صحفي، وبالتالي أرغمت الفضيحة شركة "مردوخ" على إغلاق الصحيفة الأسبوعية الشعبية، وأصدرت في العاشر من تموز العدد الأخير منها **بعد 168 عاماً من الإصدار**.

تساؤل ستيفاني:

قد يتنكر الشرطي في هيئة صحفي فهل يجوز العكس؟ فالصحافة قد تكون مهنةً مراوغة، فمن أجل الحصول على قصتهم قد يلجأ الصحفيون إلى استخدام تقنيات التخفي، وعندما تفشل جميع الطرق الأخرى قد يضطرون حتى إلى خرق القانون.. وعليه توضح القصة التالية عن الاستخدام المثير للجدل للخداع، والقضايا الشائكة التي تضع الصحفيين على المحك الأخلاقي، ففي الولايات المتحدة وجهت وكالة أنباء "أسوشيتد برس" انتقادات لاذعة إلى مكتب التحقيقات الفيدرالي "إف بي آي" عندما ذكرت تقارير مؤخراً أن ضابطاً بمكتب التحقيقات تخفى بهوية صحفي في "أسوشيتد برس" عام 2007 بهدف الإيقاع بمشتبه هدد بالقيام بتفجيرات، والهدف كان أن يضغط المشتبه به على رابط أخبار مزيف ليتمكن الـ"إف بي آي" من تحميل برنامج على حاسوب المشتبه به، ومن خلال هذا الطريقة تمكن الـ"إف بي آي" من تعقب موقع المشتبه به وإلقاء القبض عليه.. وغضبت "أسوشيتد برس" لأسباب مفهومة "بانتحال هويتها، وتلطيخ الـ"إف بي آي" سمعتها، وينتقص هذا الأمر من قيمة الحق في صحافة حرة، وهو حق منصوص عليه في الدستور، ويعرّض صحفيي "أسوشيتد برس" وجامعي الأخبار الآخرين حول العالم للخطر، وعليه يقول رئيس "أسوشيتد برس" ومديرها التنفيذي جاري برويت في خطاب مفتوح: "هذا الخداع يفسد العقيدة الأهم للصحافة الحرة، استقلالنا عن سيطرة الحكومة ومسؤوليتنا البديهية عن محاسبة الحكومة".. هو بالطبع محق لكن جيمس كوملي مدير الـ"إف بي آي" أيضاً محق، ودافع كوملي عن أسلوب التحري الذي تم استخدامه: "هذه التقنية كانت مناسبة وسليمة وفق إرشادات وزارة العدل ومكتب التحقيقات الفيدرالي وقتها، والآن فإن استخدام مثل هذه التقنيات غير المعتادة قد يتطلب موافقات على مستوى أعلى مما كان عليه الأمر عام 2007 لكن سيظل الأمر قانونياً، وفي أحوال نادرة ملائماً أيضاً". ومن هنا يواجه الصحفيون في حياتهم المهنية الكثير من المعضلات الأخلاقية المشابهة لكون صحافة التخفي يمكنها استخراج معلومات أكثر من المصدر، وعموماً كل وسائل الإعلام حسنة السمعة – ومنها "أسوشيتد برس" – تتفق على أن الصحفيين يجب أن يخبروا مصادرهم بهويتهم الحقيقية وأن يتجنبوا الخداع في عملهم، وينص الميثاق الأخلاقي لجمعية الصحفيين المحترفين على "تجنب التخفي أو أي طرق سرية أخرى لجمع المعلومات إلا إذا لم تجلب الطرق التقليدية والعلنية معلومات حيوية للجمهور"، فالصحافة مبنية على الثقة التي تعد في المناخ الإعلامي الحالي نادرة وهشة ويجب الحفاظ عليها من أجل أن يزدهر مستقبل الصحافة، وعليه فإن فشل "إف بي آي" في التشاور مع "أسوشيتد برس" غير مقبول، فهو يُظهر نقص احترام عميق للصحافة، كما يكشف عن اختلال التوازن بين مؤسسات إنفاذ القانون والصحافة، حيث إنه إذا انتحل صحفي صفة ضابط بالـ"إف بي

آي" فقد تتم محاكمته وسيواجه ثلاث سنوات في السجن، فعندما يتم استخدام التحايل فإن الصحفيين ووسائل الإعلام – مثلهم مثل مسؤولي إنفاذ القانون – يتحملون مسؤولية كشف كيف ولماذا استخدموا التحايل ومسؤولية تبرير أفعالهم، وفي النهاية الجمهور هو من يجب أن يقرر ما إذا كان الفعل ملائماً، لكن ليفعل ذلك يجب أن يتم إخباره بحقيقة ما حدث في المقام الأول.

حالة "الشيخ الزائف" الصحفي مظهر محمود في لندن:

تسلط هذه الحالة الضوء على مخاطر استخدام الحيلة من دون قاعدة أخلاقية تبرر ذلك، وكان مظهر محمود يتخفى بهوية أحد أفراد أسرة مالكة عربية بغرض جعل أشخاص يرتكبون أفعالاً إجرامية، ثم يكتب عن ذلك لصحيفة "نيوز أوف ذا وورلد".. رأى الكثيرون أن تشجيع صحفي لشخص ما على خرق القانون من أجل الحصول على قصة صحفية هو ببساطة اختلاق لقضية، ففي إحدى المرات عُرض على العارضة "إيمّا مورغان" عقد عمل لتصوير لقطات بالبيكيني لاستخدامها في تقويمات تباع في الشرق الأوسط، لكن في الحقيقة كان هذا فخاً أراد محمود أن يفضحها كتاجرة مخدرات، واستأجر رجلاً ليضغط على مورغان لتمده بالكوكايين ووقعت ضحية لهذه العملية، وعليه تقول "مورغان": "كنت حمقاء، كنت ساذجة.. الحماقة ليست جريمة بل ما فعله هو الجريمة، لم أحظَ بالسجل المهني الذي كان يجب أن أحظى به، ولا الحياة التي كان يجب أن أعيشها، إنه بشع.. رجل بشع".

وبالتالي فاستخدام الصحفيين للتحايل هو بوضوح أمر مثير للجدل، لكن في بعض الأحيان لا يمكن تجنبه، كالعمل في بلدان تخفي فيها الحكومات انتهاكاتِ حقوق الإنسان أو تحارب عدواً خفياً فقد يعني في بعض الأحيان أن على الصحفي التظاهرَ بأنه شخص آخر – عادة سائح – لتجنب حظر التأشيرات للإعلاميين، وبصورة أكثر مباشرة قد يتظاهر الصحفي بأنه أحد المسؤولين؛ لتجاوز تحكم الدولة في الوصول إلى المعلومات الرسمية أو إلى مناطق محجوبة عن الجمهور.

إذاً لم يرغب "الشيخ المزيف" أو رجل الأعمال أو الإرهابي أو مالك العقارات أو العامل الهندي أو الأرستقراطي مبهم الجنسية في تحديد هوية واحدة تميزه ما جعله يقرأ بتمعن قوانين الصحافة الاستقصائية لنقضها تماماً مع التأكيد أنها ليست مبتغاه الوحيد أو حداً جدياً يجب عدم تجاوزه، وعلى الرغم من كشفه لما يزيد عن 261 فضيحة وُجّه لبعضها حكم واضح فيما انتهى بعضها بالنقد أو الاستئناف، فإن أقنعته الخفية تُستأنف تباعاً

حسب القضية، ولأنه دائماً تحت الغطاء أمام الفضيحة، لذا عُدت قضاياه من أهم القضايا التي كُشفت في المملكة المتحدة مع العلم أنه لم يتخصص في مجال واحد، وتبدلت أداوره حسب الضرورة فكان مبدؤه بذلَ كل ما يتطلبه الموقف للحصول على أبسط المعلومات المحيطة بالقضية ليعيد رفع الغطاء بخفة عن ملامح المجتمع البريطاني بعد أن أسدله حول نفسه متخفياً كعادته، ومع نيله جوائز عديدة تعرض للمغالطة في قضايا مختلفة، واعتمدت بعض تمثيلياته طرائق وأساليب "شارلوك هولمز" الغربية حتى وصل به الأمر إلى تصميم ملابس وملامح شخصياته بنفسه.

ويبقى الأخطر أخلاقياً أن الشيخ المزيف كثيراً ما أخطأ بإصدار أحكامه ليسبق شكَّه اليقين، فيتم اصطياد جهده بأحكام تنهي القضية تحت مبدأ عدم وجود أدلة كافية ما جعله مخلوقاً جدلياً بامتياز تهابه الشخصيات المعروفة والوجوه المعروفة ذائعة الصيت، كما عُد معادياً للسامية، وحورب من قبل الكثيرين لتجاوزه القوانين المدنية، فقد اعتاد دخول الحدود بجوازات سفر مزورة، وأحياناً بطرق غير قانونية على الإطلاق، لكنه بعد تصريحه بهذه الأمور اعترف أنه لا مشكلة في أمر كهذا، فهو لم يتم ضبطه ولا لمرة واحدة، وليس هناك من إثبات على خرقه القوانين أبداً.

الشيخ المزيف.. العربي المالك للعقارات والنساء وكميات كبيرة من المال.. كانت الشخصية الأشهر التي ساعدته على استنطاق السذج من الأشخاص، ومؤسسات بيوت الدعارة لكونها منجماً للأحاديث والأقاويل الشائعة في المجتمع، إضافة إلى أن هذه الشخصيات تمكنه من التواصل مع العرب المتطرفين أحياناً علماً أنه بدأ عمله الصحفي تحت الغطاء منذ بلوغه الثمانية عشر عاماً في شبكة العالم للأخبار، لينتهي به الأمر متكشفاً للعيان كأبرز الصحفيين العاملين في صحيفة "صن داي تايمز".

ولم تقتصر فضائح الشيخ المزيف على نشر تفاصيلها في صحيفة "نيوز أوف ذي وورلد" التي أُضطر "مردوخ" إلى إغلاقها العام الماضي بسبب فضيحة التنصت على المكالمات الهاتفية – كما أسلفنا – وصحيفة "ذي صن أون صاندي" بل أدى نشر القصص عن تلك الفضائح في كثير من الحالات إلى توريط أبطالها في قضايا قانونية أدخلت العديد منهم إلى السجون دون أن يعلموا بنواياه الحقيقية.



الصحفي الشيخ المزيف مظهر محمود

ونقلت «الغارديان» عن المحامي مارك لويس الذي يترافع عن عدد كبير من ضحايا فضيحة تنصت العاملين في مؤسسة "مردوخ" الإعلامية على المكالمات الهاتفية للمواطنين أن «الضرر الذي ألحقه محمود بحياة الناس وعدد الأشخاص الذين أوصلهم إلى السجن، أكبر وأخطر بكثير مما كان عليه الوضع في فضيحة التنصت على المكالمات الهاتفية».

وكانت آخر ضحية من ضحايا محمود مغنية بريطانية ناشئة تدعى توليزا كونتوستافلوس اشتُهرت باختيارها مُحكّمة في برنامج «إكس فاكتور» لاختيار النجوم، إذ استدرجها الشيخ المزيف إلى جناح استأجره في أحد فنادق لندن الفاخرة وعرض عليها أن تلعب دوراً في فيلم سينمائي كبير، فظنت توليزا أن حلمها بأن تصبح ممثلة سينمائية سيتحقق، وفي الفندق جرى الحديث بينها وبين الشيخ المزيف عن دورها في ذلك الفيلم والذي سيتضمن مشهداً تتناول فيه بطلة الفيلم جرعة من الكوكايين، فأقنع الشيخ المزيف توليزا بأن تتنشق وجبة كوكايين أمامه ليرى ما إذا كانت تصلح لأداء الدور من دون أن تعلم بأن الجناح الذي كانت موجودة فيه كان مليئاً بكاميرات التصوير السرية التي التقطت كل حركة لها، فأصيبت توليزا بانهيار أعصاب لدى نشر «ذي صن أون صاندي» صورها وهي تتنشق الكوكايين، لكنها قررت أن تتصدى لمحمود وتكشف زيف قصته، فأقامت في يوليو تموز الماضي دعوى ضده وضد الصحيفة ادعت فيها أنه جعلها تتعاطى الكوكايين بالخداع لغرض التقاط الصور لها، فالحض على استخدام المخدرات وفقاً للقانون تهمة خطيرة يُعاقَب مرتكبها بالسجن، ومع أن دعوى توليزا فشلت إلا أن الشرطة فتحت ملف تحقيق ضد محمود بهذه التهمة وتهم أخرى شبيهة مازال العمل جارياً فيها إلى اليوم؛ لذلك اضطرت «ذي صن أون صاندي» إلى وقف محمود عن العمل، الأمر الذي أثار انتباه وسائل الإعلام.

كما يشار هنا إلى القصة التي نشرها محمود في "نيوز أوف ذي ورلد" حول اكتشافه عام 2002 محاولة لاختطاف فيكتوريا زوجة نجم كرة القدم الدولي ديفيد بيكهام وأطفالهما، ما أدى إلى اعتقال العصابة التي خططت للعملية والزج بأفرادها في السجن، لكن «بانوراما BBC» كشفت أن أحد أفراد العصابة ويُدعى فلوريم غاشي كان يعمل لمصلحة محمود وقبض منه آلاف الجنيهات، ومع أن محمود نفى بأن محاولة اختطاف فيكتوريا وأطفالها كانت مسرحية مرتبة من طرفه إلا أن الشكوك بصدقيته دفعت القاضي الذي حاكم أفراد العصابة في حينه إلى إطلاق سراح المتهمين بعد أن قضوا سبعة شهور في السجن.

ومن قضاياه المثيرة للأخلاق ضحيته كونتيسة "ويسيكس" الأميرة "صوفي" زوجة الأمير إدوارد نجل إليزابيث الثانية ملكة بريطانيا حيث قابلت صوفي من كانت تظنّه واحداً من الشيوخ العرب في فندق فخم من فنادق لندن، وتركت لسانها يجري من دون رقيب، وانتقدت الملكة ووصفت شيري بلير – زوجة توني رئيس الحكومة الأسبق – بأوصاف بشعة، وعندما اكتشفت الأميرة زلة لسانها سعى القصر إلى تطويق الفضيحة، فتم الاتفاق على عدم

نشر ما قالته لـ "الشيخ العربي المزيف" لقاء موافقتها على إجراء مقابلة "صريحة" مع صحيفته "نيوز أوف ذا وورلد"، وجرت المقابلة وكانت صريحة فعلاً، فعنوان غلاف الصحيفة الأسبوعية نص: "صوفي: إدوارد ليس شاذاً جنسياً"، وهي كانت ترد – على ما يبدو – على إشاعات تروَّج في بريطانيا عن كون زوجها من الشاذين.

لم تكن الكونتيسة صوفي الضحية الأولى لـ"الشيخ المزيف" مظهر محمود، فلقد نجح هذا الصحفي المتخصص في التحقيقات السرية، ونال جائزة أفضل صحفي للعام 1999 في إدانة أكثر من مئة شخص بجرائم بعد إجرائه مقابلات معهم وتسجيل أقوالهم وحتى تصويرهم بكاميرات فيديو سرية، فهو – غالباً – "شيخ عربي" مقره المفضّل: جناح في فندق فاخر مثل الدورشستر أو غروفنر هاوس.. تبدأ حيلته باتصال هاتفي مع المسؤول الإعلامي لشخصية من الشخصيات المعروفة (جوني ووكر/ المذيع في محطة "راديو 2") الذي تلقى اتصالاً من مؤسسة في دبي، ورُتب لقاء معه في مطعم لندني، حيث عُرض عليه مبلغ 1250 جنيهاً إسترلينياً لقاء تسجيل لأحد أعماله، ثم تطورت الحبكة إلى درجة أعلى إذ رُتّب له لقاء مع "الأمير محمد من دُبي" في فندق غروفنر هاوس في بارك لين، والمذيع – الغافل عن المؤامرة المحبوكة له – مشى إلى الفخ بقدميه فقد صُوّر وهو يقطّع المخدرات بيده، وعندما عرض "الشيخ" أدلته ضد ووكر غرّمته محكمة بريطانية عام 1999 بألفي جنيه إسترليني بعد إدانته بحيازة مخدرات.

ومن ضحايا "الشيخ المزيف" أيضاً "جون ألفورد"، فقد خُدع هذا الممثل في برنامج "لندن بيرنينغ" ليزوّد مادتي الكوكايين والحشيش من كان يعتقد أنه "الشيخ محمد آل كريم" الذي كان يرتدي اللباس العربي التقليدي، وعدَه بأن يُرتّب له ظهوراً في نادٍ ليلي في دُبي، وعندما مثل أمام المحكمة جادل ألفورد بأن صحيفة "نيوز أوف ذا وورلد" دفعته إلى القيام بما قام به، لكن المحكمة أمرت بسجنه تسعة أشهر.

قبل عام من ذلك نفّذ "الشيخ المزيف" مؤامرة مماثلة في الفندق ذاته.. الضحية هذه المرة كان "إيرل هاردويك العاشر" وهو عضو محافظ في مجلس اللوردات"، حيث أخذ المخدرات ملفوفة بأوراق نقدية من فئة خمسة جنيهات أمام عدسات كاميرات سرّية مخفية في جناح فخم في الفندق الذي كان ينزل فيه، وهو كان سعيداً جداً بذلك: وعليه قضت المحكمة ضد "إيرل" بحكم مؤجل بالسجن سنتين بعدما عبّر أعضاء في هيئة المحلّفين عن استيائهم من الأسلوب الذي اتبعه "الشيخ – الصحفي" في الإيقاع بضحيته.

وبين ضحايا "الشيخ المزيف" أيضاً عضوان في إدارة نادي نيوكاسل لكرة القدم هما "فريدي شيبرد ودوغلاس هول" اللذين التقيا الشيخ المتنكر بهيئة ثري عربي، وأخذهما بالطائرة إلى ماربيا في إسبانيا، حيث بدؤوا جلسة سُكر طويلة، والنتيجة أن لسانهما كان بالطبع "طيّعاً"، إذ ذكرا أن أحد لاعبي النادي يتعاطى الكوكايين، ووصفا نساء نيوكاسل بأنهن "كلاب"، وعندما خرجت "نيوز أوف ذا وورلد" بزلات لسانهما كانت النتيجة واضحة: قدّما استقالتيهما من إدارة النادي، وعادا إليه لاحقاً.

وأخيراً يلخص "لويس" مذيع "BBC" كيفية رضوخ الناس من خلال هذا النوع من الشِرك المزعوم الذي فعله محمود بقوله: "لكل بشر ثمن، لو أتى شخص ما اليوم وهو لا يرتدي الزي العربي، وذكر أنه من قِبل شركة "نيوز غروب" وهم بحاجة إلى محامي للتحقيق في أنهم لا يفعلون شيئاً خطأ، وفي المقابل سأحصل على 5 ملايين جنيه إسترليني فإنني سأتعامل معه ولكن بحرص.. هذه هي لعبته غير الأخلاقية".

"جيمس ريزن"، الصحفي الأميركي الجريء غير المهادن:

"جيمس ريزن"؛ الصحفي الأميركي الجريء غير المهادن في يومية "نيويورك تايمز" العملاقة والحائز على جائزة "بوليتزر" الرفيعة مرتين متتاليتين لم يخشَ نبش الأسرار، والسعي إلى محاسبة المسؤولين تماشياً مع دور السلطة الرابعة، فتحول إلى أيقونة للصحافة الحرة في بلاده وحول العالم، وذلك بعد أن انتصر في معركة قضائية برفضه كشف مصادر سربت له أخباراً مهمة تتعلق بالأمن القومي حيث كانت المحاكمة بدأت في عهد الرئيس الجمهوري السابق "جورج بوش" الابن، ووزير العدل والنائب العام "جون آشكروفت"، وانتهت في ولاية الرئيس "باراك أوباما" ووزير العدل والنائب العام "إيريك تراغر" الذي استقال قبل فترة.

لم يخذل "ريزن" مهنته أو حقَّ المجتمع في الاطلاع، كما نجح في حشد ما تبقّى من مكونات المجتمع الأميركي الرافضة لسياسة تكميم الأفواه، باسم الأمن القومي والحرب على الإرهاب، فهو صاحب سلسلة كتب كشفت أسرار عالم وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية "سي آي إيه"، وقضايا حساسة أخرى في صميم الأمن القومي والمصالح العليا لبلاده التي تقود الحرب العالمية على الإرهاب منذ أحداث أيلول سبتمبر 2001، وهكذا تحول إلى أسطورة بصموده في وجه حملات منظمة لشيطنته وإسكاته.. هذه المعركة التي اشتعلت عام 2006 بعد أن نشر كتاب "حال من الحرب" عن فساد في الوكالة العتيدة، إذ كشف خطة للوكالة – أُلغيت لاحقاً – كانت تقضي بإرسال عالم روسي سابق إلى إيران لنقل معلومات مغلوطة بهدف تخريب البرنامج النووي الإيراني، وقد رفض "ريزن" الكشف عن مصادره أمام محكمة الاستئناف الفيدرالية في إطار محاكمة مسؤول الوكالة السابق جيفري ستيرلنغ بتهمة الكشف عن معلومات سرية حول تلك العملية.

إن قرار الامتناع مهما كان الثمن كدافع أخلاقي – بما في ذلك التهديد بالحبس – جاء من باب إيمان هذا الصحفي بضرورة حماية مصادره ومسربي المعلومات الحساسة لصون دور الصحافة والاستقصاء، وخصوصاً في إطار قناعته المطلقة بأن لا ديمقراطية من دون سلطة رابعة تحاسب المسؤول عن أقواله وأفعاله، وأخيراً كسب الرهان في قضية تحولت إلى "بيضة قبان" في اختبار حدود حرية الصحافة في أمريكا التي طالما طرحت

ذاتها نبراساً لقيم الديمقراطية والعدالة والمساواة قبل أن تتخذ من شمّاعة حماية الأمن القومي عذراً لتكميم الأفواه. والسؤال الأهم: كيف تعامل ريزن مع الضغوط التي مورست عليه لإسكاته وإرضاخه؟ وكيف تعامل معه زملاؤه الإعلاميون؟ رده الشخصي جاء بالإصرار على نشر كتاب صدر للتو بعنوان "ادفع الثمن الذي تريد: الجشع والنفوذ والحرب التي لا تنتهي"، وفيه يكشف معلومات مهمة عن الكلفة المخفية للحرب على الإرهاب منذ اعتداءات 2001 بما فيها سرقات، وإهدار من دون جدوى، واستغلال مرعب للسلطة، وفوق ذلك الحملة على النزاهة والحقيقة، وعلى قضايا أخرى كانت تُعد من المسلمات.. يقول: "باسم الحرب على الإرهاب، أقدمت الحكومة الأمريكية على ممارسات مشينة تحاكي في بشاعتها جرائم أُقترفت في حروبها الماضية، وبذلت كل ما في وسعها لإخفائها".. ومن بين الأمور الصادمة التي يكشفها ريزن إرسال 14 مليار دولار نقداً إلى العراق على متن طائرات قبل أن تُسرق أغلبية هذه الأموال بما فيها مليارا دولار شُحنت سراً خارج العراق لتشكّل إحدى أكبر عمليات السرقة في التاريخ الحديث لبلاده، وهناك أكثر من مليار دولار مخبأ في ملجأ تحت الأرض في لبنان، وفق سرده في مقدمة الكتاب.. ويتابع أن وزارة الدفاع حاولت تأسيس نسخة خاصة بها عن الـ"سي آي إيه" تنشط بالاعتماد على فريق من العملاء الأجانب الذين يعملون في مؤسسات مموهة، والعديد من العملاء انتهوا في جيوب شخصيات شرق أوسطية موضع شك بمن فيها شخصية يُشتبه في أنها حاولت استغلال عملية سرية لوزارة الدفاع لتبييض مئات الملايين من الدولارات.. ومن بين العمليات المشبوهة مقترحات كادت تفضي إلى بيع طائرات من دون طيار لسورية ولبنان، ومواد كيميائية كان من الممكن أن تقع في يد زبائن آخرين، وعلى الرغم من هذه الزلات الخطيرة التي تؤثر في الأمن القومي فقد فرض المسؤولون تعتيماً عليها برفضهم فتح تحقيقات داخلية.

إن صمود ريزن في مواجهة حملات تشهير تواطأ فيها إعلاميون ومؤسسات إعلامية مقربة من السلطة جاءت مقابل تلقيه إسناداً من آلاف الزميلات والزملاء، ومنظمات حقوقية دولية معنية بالحريات الإعلامية وحقوق الإنسان، فعلى الرغم من إدراكه بأنه يواجه خصوماً أقوياء من تحالف السلطة ورأس المال، والقضاء المفترض أن يكون حامي حمى الدستور فإنه اتخذ قراره مبكراً بعدم السكوت، والاستمرار في كشف التعسف وسوء استخدام السلطة.

الخلاصة

يتجلى أساس أخلاقيات الصحافة الاستقصائية بتحقيق الموضوعية مقابل عدم الوقوع في "الانحياز"، فثمة عناصر تمكن من تحقيق الموضوعية في الاستقصاء الصحفي، وأهمها الإحاطة الكافية بالموضوع الذي يتصدّى لمعالجته، ومراعاة الدقة للدرجة القصوى، ما يؤكد وجود أنماط الانحياز غير بنيوية في الصحافة الاستقصائية، كالانحياز بالمحاباة والانحياز بالحذف الاختياري، والانحياز باختيار المصادر.

من جانب آخر عرضت الوحدة أهمية الصحافة الاستقصائية ومدقق الجودة الذي يقوم من تلقاء نفسه أو بناء على شكوى بفحص إن كانت المادة الإعلامية تتوافق مع معايير السلوك المهنية، ولخدمة الحقيقية يلزم قبول المعايير التالية: (المسؤولية وحرية الصحافة والأخلاقيات والدقة والموضوعية والإنصاف والاستقامة والحياد).

وحول الدروس والنماذج المستقاة في الأخلاقيات المهنية الاستقصائية وخرقها، يتجلى نموذج صحيفة نيوز أوف ذا وورلد البريطانية التي قررت إيقاف نفسها، وحالة "الشيخ الزائف" مظهر محمود، والتي تسلط الضوء على مخاطر استخدام الحيلة بدون قاعدة أخلاقية، وأخيراً انتصار "جيمس ريزن" الصحفي الجريء في معركة قضائية، برفضه كشف مصادر سربت له أخباراً مهمة تتعلق بالأمن القومي الأمريكي، بعد نضال من أجل حماية مصادره.

التمارين

1. اختر الإجابة الصحيحة:

العمل الاستقصائي يأتي ضمن سياقين أخلاقيين تشريعيين هما

A. قوة الأخلاق/ وقوة التشريعات.
B. قوة الحماية/ وقوة المصلحة العامة.
C. قوة الضمير/ وقوة المصادر.
D. قوة القانون/ وقوة الضمير.

الإجابة الصحيحة: D. قوة القانون/ وقوة الضمير.

2. اختر الإجابة الصحيحة:

لمزيد من الضمانات عمدت بعض المؤسسات الإعلامية إلى تعيين مدقق جودة

A. مستشار قانوني.
B. مدقق جودة.
C. رئيس قسم متابع.
D. قارئ أول قبل النشر.

الإجابة الصحيحة: B. مدقق جودة.

3. اختر الإجابة الصحيحة:

اليد اليمنى للإنصاف

A. حق الرد.
B. حق الرفض.
C. واجب الاستقامة والعدالة.
D. واجب الدفاع قبل النشر.

الإجابة الصحيحة: C. واجب الاستقامة والعدالة

الوحدة التعليمية التاسعة

صياغة الفرضية: (أهم تقنيات ما بعد اختيار الموضوع) وتكنيك "الأندر كفر"

الأهداف التعليمية:

بعد دراسة هذه الوحدة التعليمية يجب على الطالب أن يكون قادراً على أن:

- يشرح أهمية الفرضية ومفهومها
- يشرح مهام صياغة الفرضية
- يشرح نموذج شيفر في صياغة الفرضيات
- يشرح الفرضية من منظور مارك هنتر
- يشرح مثال تطبيقي على صياغة فرضية والتعامل معها
- يشرح اختبار سلامة الفرضيات
- يعدّد معايير وضع الفرضيات
- يعدّد مزايا الاستقصاء القائم على الفرضية
- يشرح كيفية عمل الفرضيات
- يشرح أسلوب التخفي تحت الغطاء "أندر كفر"

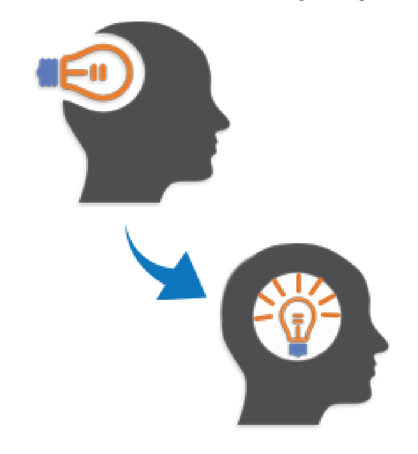
النقاط البحثية للوحدة:

- أهمية الفرضية ومفهومها.
- اختبار سلامة الفرضيات.
- أسلوب عمل الفرضيات للمشروع الاستقصائي.
- معايير وضع الفرضيات.
- مزايا الاستقصاء القائم على الفرضية.
- أسلوب (التخفي) تحت الغطاء أندر كفر Under Cover.
- مفهوم ومبادئ التخفي الاستقصائي.
- رحلة تقصي "التخفي" وتاريخ بداياته.
- قواعد الكاميرا الخفية Hidden camera Rules.
- شروط التصوير السري وكيفية التخطيط الجيد له وأخلاقيات التعامل معه.

الكلمات المفتاحية للوحدة:

الفرضية – سلامة الفرضيات عمل الفرضيات – معايير الفرضيات – مزايا الفرضية – (التخفي) أندر كفر – مبادئ التخفي الاستقصائي – تاريخ التخفي – الكاميرا الخفية – شروط التصوير السري – أخلاقيات الأندر كفر.

أولاً: أهمية الفرضية ومفهومها



أُتفق بشكل شبه إجماع على استخدام أسلوب الفرضية منذ "الووترغيت"، وهو أسلوب مقتبس من المناهج العلمية التي تفرض على الباحث العلمي وجودَ فرضيات يعمل على إثباتها أو دحضها بما يسمى "اختبارات الفروض".

وإذا كان الفرق بين السؤال والفرض بحثياً يكمن في أن السؤال يجيب عما لم يُعرف مسبّقاً، أما الفرض فثمة نظريات ودراسات أثبتته سابقاً وعلى الباحث التأكد منه في دراسته، فإن الفرض الاستقصائي يُلزم كذلك الصحفي أن يبنيه على معطيات سابقة شبه راسخة، وليس اعتباطياً (أو) استطلاعياً تماماً كما في الدراسة العلمية، وهذا التشابه بين أرضية طرح الفرض العلمي والفرض الاستقصائي يستمر في الهيكلية، حيث الفرض العملي يربط بين متغيرات مستقلة (مسببة أو مؤثرة) ومتغيرات تابعة (متأثرة) مع وجود متغيرات وسيطة (تؤثر على العلاقة بين السبب والمتسبب)، وهذا الافتراض السببي يقوم على افتراض يقول فيه المحرر الصحفي إنه بسبب شيئاً ما "يسبق الحدث"، (حدث ما حدث)، فهو صانعه ومسببه (المتغير المستقل)، الذي نتيجته (وقع ما وقع) على الضحية (المتغير التابع)، وبالتالي يفسر الحدث بالمتغير الذي سبقه مع إهمال المتغيرات الأخرى، وهو من أهم العوامل التي دفعت إلى استخدام أسلوب البحث العلمي في الصحافة الاستقصائية.

من هنا لا بد أن تتناول الفرضية:

- **لب المشكلة.**
- **والجوانب التي تشملها.**
- **والسبب والمسبب ومن وقعت عليه الأسباب.**
- **وخلاصة نتيجة ما حدث بمعنى ما آلت إليه الأمور.**

ومن هنا **تعرّف الفرضية** بأنها وضع الأمر الذي يراد برهنته **في** "**جملة واحدة**"، ويمكن حسب وجهة نظره وضع فرضيتين أو ثلاث فرضيات متقطعة، وهو ما يُدعى "التركيز على مفتاح السبب أفضل طريقة لإنقاذ الوقت والمصادر والنتائج": " **Focus on One Key Track the Best Way to Save Time and Resources**"

وعليه يحرر التحقيق في ضوء الرسالة الأساسية التي يحتويها، وهي غالباً ما تكون ممثلة في الخاتمة، وهذه الرسالة هي التي تنظم خطة كتابة التحقيق التي تتشابه مع الإثبات أو البرهان العلمي، بمعنى "مشكلة.. فرض.. التحقق من الفرض.. الخاتمة"، وبالتالي يُعد هذا المسار والمبنى أفضل تقنية لإنجاز التحقيق الاستقصائي، ويوجد هذا البناء تحت أشكال مختلفة منها: "موقف.. الأسباب.. حلول محتملة.. حلول مقترحة.. صراع.. حجج بعض الناس.. حجج آخرين.. الحقائق.. آراء المتخصصين.. الرأي الصائب.." ولا ينبغي أن يكون التحقيق الصحفي مادة جامدة أو غامضة، بل يجب أن يحتوي على: (أمثلة وشهود وملاحظات مباشرة لترسم وتدعم مراحل برهنة الفرضية).

ثانياً: مهام صياغة الفرضية

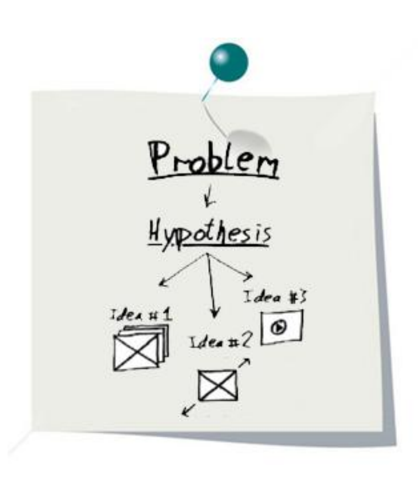
يرى "**جون أولمان**" أن أفضل التحقيقات الاستقصائية تشترك في الكثير مع أفضل التقاليد العلمية، ففي كليهما:

- **توضع الفرضيات ويتم البحث عن قاعدة للبيانات لمعرفة ماذا نُشر في هذا المجال.**
- **وتجرى اللقاءات.**
- **ثم تليها كتابة الأوراق (وتلك هي المرحلة التجريبية للتقاليد العلمية) على أن تتم الموازنة السلبيات والإيجابيات لهذه الفرضية.**
- **وتوضع الاستنتاجات بشأن الأدلة المتجمعة، ثم التحقيق.**

وهكذا يُعد وضع الفرضيات أهم وسيلة ذهنية بالنسبة للمحقق، ومن الوظائف المهمة لوضع الفرضيات مساعدة المرء على رؤية معنى شيء أو حدث ما، ولن يكون لهما أي معنى دون تلك الفرضية، وهنا يورد "أولمان" هذه الملاحظة البديهية وصولاً إلى نقطتين مهمتين هما:

1. مازالت هذه هي أفضل وسيلة للتوصل إلى (ما حدث).
2. إن مشاريع التحقيقات الصحفية تبدأ وتنتهي بوجهة نظر بمعنى أن التحقيق الصحفي الجيد يبدأ من فرضية أو موقع، أو فكرة أو إخبارية، بأن هناك شيئاً ما "غير سليم"، ويجب "التحقق" من ذلك.

ثالثاً: نموذج شيفر في صياغة الفرضيات



ينطلق "شون. ت. شيفر" من كون التحري عن موضوعات معينة – بهدف إعداد تحقيق صحفي– يُبنى أساساً على بعض "الافتراضات" و"الالتزامات الأساسية"، ومن ثم التحرك نحو تحقيق أهداف بعينها.. فأولاً هناك افتراض معروف أثبتته التحقيقات الصحفية السابقة يتعلق بواجب محرر التحقيقات، إذ ينبغي أن يكون الهدف الأساسي للتحقيق في أمر يهم المجتمع كتعبئة اللحوم، أو التنصت عن المكالمكات الهاتفية، أو الإنفاق الحكومي، ويكون السؤال الأول لماذا؟ ثم "ماذا بعد"! ولماذا تتم الأمور بهذه الطريقة أو لماذا حدث ذلك؟ أو لماذا سُمح بهذا الأمر؟ ولم يُسمح بغيره؟ واستناداً إلى ما سبق فإن أول أداة في ترسانة الأدوات التي يجب أن تستخدمها التحقيقات هي: "لماذا؟" وبالتالي جميع حالات التحري لإعداد التحقيق الصحفي تبدأ بفكرة محددة، وفي معظم الحالات تُبنى هذه الأفكار على افتراض معين، ومن ثم شكوك المحقق الصحفي في أمر ما، وهذا بمثابة الحافز لبدء إجراء التحقيق الاستقصائي، وعليه فإن أفضل التحقيقات الصحفية وأكثرَها نجاحاً هي تلك التي لم تقبل بكلمة (لا) كرد أو نهاية المطاف، بل تلك عدّت كلمة (لا) مجرد نقطة بداية لتوجيه سؤال جديد أو بصيغة أخرى، أو التوجه إلى جهة أو شخص آخر، وذلك عند تهدئة المتأثرين بحدث معين، أو عند الرغبة في إثارة أولئك الذين يتجاهلونه.

"إن توظيف شخص غير كفء في مؤسسة واحدة هو خطأ كبير ترتكبه إدارة تلك المؤسسة، لكن توظيف 100 شخص عديم الكفاءة في عشرات المؤسسات الحكومية يعني أن هناك خللاً في نظام التوظيف"، وهكذا يلخّص "محمد الربيعي" المشرف العام على شبكة الصحافة الاستقصائية العراقية (نيريج) فكرة الفرضية بما يناسب التقصي في مجال الصحافة الاستقصائية ويسهّل الأمر على الصحفيين في خطوتهم الأولى لتنفيذ مشاريعهم.

ومثال على ما قاله " شون. ت. شيفر" عن الفرضية: أصيب أربعة رجال على رصيف تحميل السفن عندما انزلقت أكثر من عشر أسطوانات غاز حمولة كل منها 20 كيلوغراماً حينما كانوا يقومون بوضع

الأسطوانات على لوح التحميل يوم الثلاثاء، وبالتالي إن الرد على سؤال" لماذا؟ " أصيب هؤلاء الأشخاص هو أن تلك الأسطوانات انزلقت، وهذه الإجابة البسيطة المباشرة تثير العديد من الأسئلة، وكل سؤال منها يشير إلى مجال يمكن التحري حوله وإجراءُ تحقيق عنه، "لماذا انزلقت الأسطوانات؟ لماذا كان الرجال في هذا المكان عندما أصيبوا؟ لماذا كانوا يقومون بالتحميل في الصباح؟ ولماذا هذا الوزن من الأسطوانات؟ لماذا يُستخدم هذا النوع من الأسطوانات؟ لماذا غابت إجراءات الحماية والتأمين؟ ولماذا بهذا الحجم؟ وتستدعي الإجابة عن هذه الأسئلة موضوعات عديدة تتعلق بجودة التصنيع، والسلامة المهنية في مكان العمل، وقواعد العمل، والإشراف، ودورات الإنتاج، والمشرفين عن العمل، ومسؤوليتهم، وأين كانوا وقت الحادث؟ وأين كانت معدات السلامة؟ وهل كان الرجال يرتدونها؟ وهل كان هناك خلل في العمل؟ وهل كان ثمة ضغوط من رب العمل لحدوث هذه الكارثة؟ وهل كان هناك أخطار مماثلة وقعت سابقاً؟ وبالتالي فإن الإجابة عن هذه الأسئلة يؤدي إلى التحري حول صناعة النقل برمتها، وجميعها تنطلق من افتراضات قابلة للتحقق "نفياً أو إيجاباً".

رابعاً: الفرضية من منظور مارك هنتر



يضع "مارك هنتر" قاعدة أساسية للتحقيق الاستقصائي تساعد على فهم قيمة الفرضية ألا وهي: "ضرورة اكتساب عادة التفكير على أساس القصة، وليس العثور على حقائق"، فالحقائق مهمة، لكن في سياق قصة – تبدأ بفرضية تدعمها حقائق – لأنه "حينما لا تكون هناك قصة، فالحقائق لن تهم" بمعنى أن المعلومات والحقائق لا قيمة لها إذا لم تكن تساعد على سرد قصة التحقيق، ما يمكن الاستنتاج من قول "هنتر" أن: "القصة تروي الحقيقة، أما الحقيقة (الحقائق) لا تورد القصة".

كذلك يؤكد "هنتر" أنه يجب على "العالم/ الصحفي" تقبل فكرة تغيير الفرضية إذا ظهرت حقائق جديدة تقتضي ذلك، فالقاعدة هي أن الفرضية تُطرح لإثباتها أو نفيها للوصول إلى تفسير صحيح، فالفرضية ليست هي الحقيقة النهائية، وإنما هي أداة للوصول إلى الحقيقة.. وبالطريقة ذاتها يقوم الصحفي الاستقصائي بطرح فرضية قبل أن يبدأ في التحقق من صحتها، وبالتالي إثبات أن القصة حقيقية،

وخلال هذه العملية فإنه إما سيخلُص إلى نتيجة صحة القصة، أو أن يكتشف أدلة تؤدي إلى قصة أخرى.

ومن وجهة نظر الصحفيين فإن "الفرضية هي ما يعتقدون بأنه قد حدث لكن في أثناء التحقق من الفرضية يعثرون على معلومات جديدة تعطيهم فكرة أصدق لما حدث"، فإذا أثبت صحفي صحة فرضية تقول: "إن انهيار مبنى يعود إلى تلاعب المستثمر بمواصفات البناء، فإن انهيار مبنى يحقق فيه صحفي آخر قد لا يثبت صحة الافتراض نفسه، فربما يعود إلى تغيير الأهالي بالمواصفات أو زلزال، أو سوء الصرف الصحي تحت المنزل.

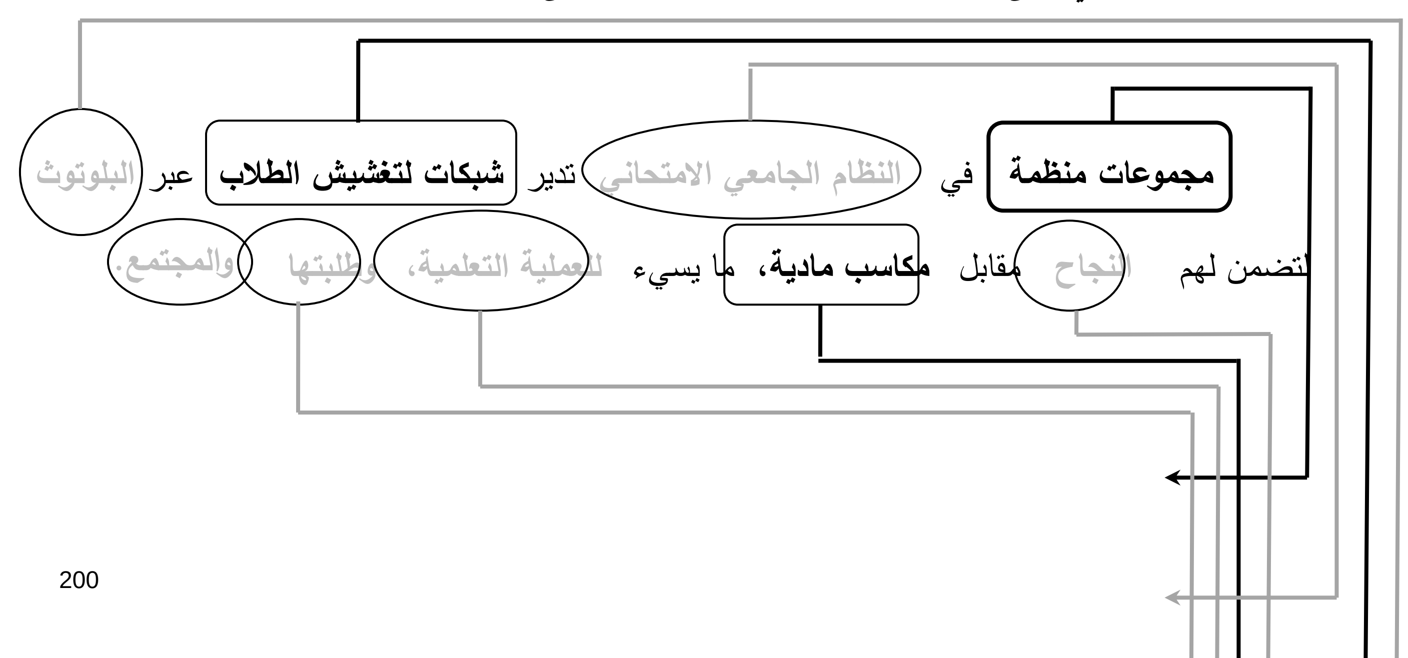
إذاً يتوجب ألا يكتفي الصحفي بجمع الحقائق التي تدعم فكرته المبدئية، ويترك خلاف ذلك، بل لا بد أن تكون لديه جرأة على الاعتراف بخطأ فرضيته، واستبدالِها بأخرى تتسق مع الحقائق بشكل أكبر.

خامساً: مثال تطبيقي على صياغة فرضية والتعامل معها

بناءً على القواعد السابقة التي تقر أن تَختصر الفرضيةُ الشيءَ المراد التحقق منه، ولبَّ القضية والسبب والمتسبب، وحتى المصادرَ السوداء (المتسببون/ المتغير المستقل)، والرمادية (الشهود/ المتغير الوسيط)، والبيضاء (الضحايا/ المتغير التابع)، **وبما لا يزيد ذلك كله عن بضع كلمات.**

وبناءً على سياسة وضع (الدوائر والمستطيلات) حول كل مرجعية والتي تجب دراستها بشكل مستقل، وتقسيم الفرضية إلى محاور رئيسية وأخرى فرعية، يمكن تطبيق الفرضية التالية:

مثال تطبيقي على صياغة فرضية وتحليلها وتقسيمها إلى محاور



1. مجموعات منظمة: هنا يمكن أن نسأل الأسئلة التالية:
- ما المقصود بالمجموعات منظمة؟
- كيف تدار المجموعات المنظمة؟.
- هل للمجموعات المنظمة علاقة بالإدارة الجامعية؟
- ولمن تبعية المجموعات المنظمة؟
- وكيف يتواصل الطالب مع المجموعات المنظمة؟
- ومم تتألف المجموعات المنظمة لتنجز مهمتها؟

2. النظام الجامعي الإمتحاني: هنا يمكن أن نسأل الأسئلة التالية:
- أي الامتحانات؟.
- ما شكل هذه الامتحانات؟
- وفي أي جامعات (الخاصة أم الحكومية)؟
- وأي امتحانات مواد جامعية، وأي كليات؟
- وكيف يُخترق هذا النظام الامتحاني لتحقيق مآرب المجموعات المنظمة؟

3. شبكات لتغشيش الطلاب: هنا يمكن أن نسأل الأسئلة التالية:
- ما معنى تغشيش، وما نوعه؟
- هل تنقيل أم ثمة وسائل أخرى للغش، وما هي؟
- وكيف تحصل الشبكات على الأسئلة؟
- ومن يقوم بعملية التغشيش والتنقيل بمراحلها المختلفة؟
- هل يشترك اختصاصيون في حل الأسئلة، ومن يخرج الأسئلة لهم؟.

4. الغش عبر البلوتوث: هنا يمكن أن نسأل الأسئلة التالية:
- كيف يتم الغش عبر البلوتوث؟
- ماذا يحتاج الطالب لاستخدام البلوتوث؟
- وكيف لا يُكشف البلوتوث في قاعة الامتحان، ومن أين يؤتى به؟
- وهل توجد أجهزة تشويش، من المسؤول عنها، ولماذا لا تشغل؟.

5. المساعدة على النجاح: هنا يمكن أن نسأل الأسئلة التالية:
- هل يعني ذلك جعل الطالب ينجح وينال علامة العبور أم علامة التفوق؟.
- من أين تأتي المساعدة؟
- ومن الخبراء الذي يحلون الأسئلة لضمان مساعدة الطالب على النجاح دون وجه حق، ولماذا يلجأ لذلك؟

- وهل يلقى الغشاشون ومن وراءهم دعماً اجتماعياً؟.

6. مكاسب مادية: هنا يمكن أن نسأل الأسئلة التالية:
   - ما المكاسب، وكم تربح هذه الشبكات؟
   - وهل هناك تسعيرة نظامية، وكيف يمكن الوصول إلى ما تتقاضاه؟
7. العملية التعليمية: هنا يمكن أن نسأل الأسئلة التالية:
   - ما متطلبات العملية التعليمية ومستلزماتها وقوانينها؟
   - وما عقوبات الغش عبر البلوتوث؟
   - وما مصير نجاح الغش في السنوات المختلفة، وكيف ينعكس على المستوى التأهيلي والممارسة؟.
8. الطلبة المتضررون والأثر (المجتمعي) للضرر: هنا يمكن أن نسأل الأسئلة التالية:
   - هل هم الغشاشون الذين يضرون أنفسهم فقط، أم أنه يشمل يأس من يتعب ويجهد نفسه ليرى زميله من دون تحضير يتحصل على ما يتفوق به، وما أثر ذلك على التعليم والمجتمع؟
   - هل يوجد ممارس فاشل أضر بالناس لغش تعليمي؟.

سادساً: اختبار سلامة الفرضيات



إن عالَم المُخبر ليس ذلك العالم المضيء الذي كان يعيش فيه فلاسفة القرن التاسع عشر، لكنه عالم بمثابة كابوس، ولذلك يكون فيه الحدس والفرصة أهم من دقة المنطق، وبناءً عليه فإن اختيار صحة فرضية ما يتم في ثلاثة أماكن:

- في أثناء التدريبات الذهنية التي نجريها في المكتب.
- وفي الطريق التي نسير فيها للتحقق من صحة ما قاله لنا أناس، وهذا في ضوء ما يقوله لنا آخرون.

- ثم في الورق الذي سنكتب عليه ما يثبت أو يدحض ما قيل لنا.

ومن هنا من الضروري حسب "جون أولمان" البحث عن "المتشككين"، فمناقشة مشكلة ما مع زملائنا أو مع أشخاص غير متشككين قد تكون له آثار بين فوائد عدة، يمكن تلخيصها كالتالي:

أ- إن الشخص الآخر قد يستطيع الإسهام باقتراح مفيد.

ب- قد تنشأ فكرة جديدة نتيجة لتجمع معلومات أو أفكار لشخصين أو أكثر.

ج- إن المناقشة توفر وسيلة جيدة لاكتشاف الأخطاء.

د- إن المناقشة وتبادل وجهات النظر ينعش المرء عادة، ويحفزه ويشجعه.

هـ- إن أفضل وسيلة للمناقشة هي أنها تساعد المرء على الهروب من العادة الثابتة للتفكير، والتي ثبت عدم جدواها ألا وهي "التفكير المشروط".

وفي هذا المحور يتطلب أسلوب الفرضيات لعمل مشروع استقصائي الأمور الآتية:

- التسليم.
- معالم زمنية مرتبطة بالعملية.
- الكلفة والمردود.
- التأييد: وذلك عبر طرح أسئلة حول: من ستُهمه هذه القصة؟ وكيف يمكن زيادة وعي الجمهور بالقصة؟ هل سيشمل ذلك تكاليف إضافية؟ ما الفوائد التي ستجنيها أنت أو مؤسستك الصحفية من هذا الاستقصاء؟

سابعاً: معايير وضع الفرضيات

اختبارات الفرضية:

يُعد "مارك هنتر" أن أي فرضية يجب أن تمر باختبارات عدة هي:

1- الأخذ بالحسبان أفضل المعلومات المتوافرة لأن الفرضية ليست مجرد تكهن.

2- تضمين الفرضية عناصر محددة يمكن التحقق منها، فلا يكفي للحصول على معلومات الاتصال بالمصادر وطلب قول الحقيقة منهم.. وكما يصف "عربي المصري" لا يوجد مجرم يقول أنا مجرم، وهذه الأدلة التي ستجعلك تفضحني، وتحقق من خلالي ضربة صحفية، وأنا على استعداد لأقضي عمري في السجن، كي تظهر أنت بأنك "البطل.. رجل الحقيقة".

3- صوغ الفرضية بما لا يزيد عن ثلاث جمل في صورتها الأولى، كي تكون القصة ذات معنى للجمهور ومفهومة للصحفي ما يجعله يعرف عن ماذا يبحث.

أساسيات فهم الصحفي:

لكي يتم التحقق من الفرضية يحتاج الصحفي الاستقصائي حسب "هنتر" إلى فهم ما يلي:

- ما نوعية الأحداث التي وقعت؟
- ما الأدلة أو الوثائق التي كوّنتها تلك الأحداث؟
- كيف يمكن الحصول على هذه الأدلة؟

ثامناً: مزايا الاستقصاء القائم على الفرضية



يحدد "مارك هنتر وولوك سنغر وبيا ثوردسن" في دليل "أريج" للصحافة الاستقصائية العربية "على درب الحقيقة" مزايا الاستقصاء القائم على فرضية وفق ما يلي:

1. يمنح أسلوب الفرضية شيئاً للتحقق منه بدلاً من محاولة كشف سر ما: فالناس لا يكشفون أسرارهم بلا سبب وجيه بل هم أكثر استعداداً لتأكيد المعلومات التي بحوزة الصحفي؛ لأن الناس يكرهون الكذب، وبالتالي تمكّن الفرضية من طرح سؤال محدد كي تؤكد شيئاً ما، وتضع

الصحفي أيضاً في موقف المنفتح على اكتشاف أكثر مما هو موجود في القصة، فالاستقصائي مستعد لقبول حقائق أبعد مما ظن أنها موجودة عندما بدأ عمله.

2. تزيد الفرضية الفرصة في اكتشاف أسرار: فكثير مما يُدعى "أسراراً" هو بكل بساطة حقائق لم يسأل أحد عنها أبداً، فللفرضية أثر نفسي يجعل الاستقصائي أكثر حساسية واستشعاراً للمادة بحيث يستطيع أن يسأل تلك الأسئلة بطريقة واضحة.. وكما قال الصحفي الاستقصائي الفرنسي إدوي بلينيل Edwy plenel: "إذا أردت العثور على شيء عليك البحث عنه".
3. الفرضية تجعل إدارة المشروع أكثر سهولة: فبعد معرفة وتحديد ما يبحث عنه الصحفي، ومن أين يبدأ البحث عنه، يمكنه تقدير الزمن الذي تتطلبه خطوات الاستقصاء الأولية، وتلك الخطوة الأولى للتعامل مع الاستقصاء كمشروع يستطيع إدارته.
4. الفرضيات أدوات يمكن استخدامها مراراً وتكراراً: فالطريقة المنهجية تعفي الحاجة إلى شخص يقول للصحفي ما عليه فعله، حيث سيدرك بمفرده ما يتوجب لمواجهة بعض فوضى ومعاناة هذا العالم، وسيكون بالتالي قادراً على تحقيق نتيجة عبر لفت أنظار الرأي العام والمسؤولين.
5. تضمن الفرضية عملياً تقديم قصة وليس مجرد كمية معلومات: فالمحررون يريدون ضمان الحصول على قصة للنشر بعد عملهم لفترة زمينة محددة، واستثمار الموارد من خلال العمل الاستقصائي، والفرضية تزيد فرصة الحصول على تلك النتيجة؛ لأنها تمكّن من توقع حد أدنى للعمل وآخرَ أقصى، وبالمثل توقع الأسوأ المتمثل في ألا تُثبت الفرضية، ولا يكون هناك قصة.. وهنا يحذر "هنتر" من أن الفرضية يمكن أن تكون خطرة حينما تتناول قضايا حساسة كالعنف والجماعات المسلحة، فقد يؤدي هذا للثأر من الصحفي أو رفع دعوى قضائية ضده بالحد الأدنى.. وكما يقول محمد الربيعي مدير شبكة "نريج" للصحافة الاستقصائية "لا أحد يضمن حياته عند تناول جهات مثل تنظيم القاعدة، أو الجماعات المسلحة، أو المليشيات الأخرى في ظل العنف اليومي الذي تشهده البلاد"، وبالتالي كما الفرضية تميز الدقة في التحقيق لنبشها وحفرها بحثاً عن الحقيقة، فإنها وفق تعبير "هنتر" قد تحفر قبراً للبريء حال تجاهل الصحفي للحقائق التي تدحض فرضيته، وسينضم بذلك إلى قائمة كبار كذّابي العالم، فالصحفي يخوض الاستقصاء بحثاً عن شيء أكثر من مجرد إثبات أنه محق بما افترض، لذلك مثلما هناك مزايا للاستقصاء القائم على فرضية فإن الاستخدام الخاطئ للفرضية وسوءَ توظيفها هو إحدى طرائق ذهاب الصحفي إلى "الجحيم"؛ لذا عليه أن يكون صادقاً وحريصاً وهو يستخدم الفرضيات، ويحاول دحضها كما يحاول استخدامها، والعمل مع "المثبت والمنفي" ككفتي ميزان التحقيق.

تاسعاً: كيفية عمل الفرضيات

بعد هذا العرض لمفهوم الفرضية ومزاياها ومبادئها وأمثلتها التطبيقية حسب أكثر من مدرسة نختم مع "**كيفية عمل الفرضيات**" المقتبس من كتاب "على درب الحقيقة" وفق تعاليم "مارك هنتر وولوك سنغر وبيا ثوردسن" الذين يحددون الخطوات التالية لآلية عمل الفرضية وكيفيته كالتالي:

1- لماذا ليس مهماً إن كانت الفرضية الأولى غير مهمة؟ فمنهجية الاستقصاء عبر أسلوب الفرضية قديمة بقدم العلم ذاته؛ لذا من غير العادي ألا يكون قد استُعمل في الصحافة كمنهج واعٍ إلا أخيراً، فالصحفي يبتكر عبر خدعة عقلية بياناً لما يُعده الواقع بناءً على أفضل المعلومات التي بحوزته، ثم يسعى إلى الحصول على معلومات أخرى يمكن أن تثبت أو تدحض بيانه، وهذه هي عملية التحقيق، وبالتالي إذا لم يكن ممكناً التثبت من الفرضية كلها، يمكن التحقق من عناصرها المفصلة، وإلا يتوجب العودة إلى الخطوة الأولى، وطرح قضية جديدة، وبالتالي الفرضية التي لا يمكن إثباتها كلياً أو جزئياً ليست إلا تخميناً.

2- يجب ألا يتعدى بناء الفرضية الأولية ثلاث جمل: فإن كانت أطول من ذلك فلا يمكن شرحها لشخص آخر، والأهم أنه حينها قد لا يفهمها الصحفي نفسُه، وعليه ينبغي طرح الفرضية بداية كقصة تساعد على تغيير الواقع، ويمكن سرد أحداثها وفق التسلسل الزمني "الكرونولوجي"، وقد لا يبدو هذا الأمر واضحاً لأن الترتيب ليس خطاً مستقيماً – من الماضي إلى المستقبل – بل يخبرنا عن حاضر وماضٍ ومستقبل، وذلك عبر:

9. إخبار المشكلة أي (الحاضر).
10. سبب المشكلة أي (الماضي).
11. ما يجب أن يتغير لإنهاء المشكلة أي (المستقبل).

3- المفاتيح الأربعة لتفعيل الفرضيات: تقوم على:

- **كن خلاقاً**: يعد الاستقصاء محاولة لكشف شيء غير معروف، فالصحفي لا يغطي الأخبار بل يصنعها، ما يتطلب التخيل الإبداعي.
- **كن محدداً جداً**: كلما كنت أكثر دقة في تحقيق حقيقة مفترضة كان أسهل التحقق منها.
- **استثمر خبرتك**: يمكن تطبيق رؤية الصحفي لكيفية عمل العالم بطرق معينة على القصة التي يحاول إثباتها، فخبرته يمكن أن تساعده على الانتهاء من فرضية.
- **كن موضوعياً**: ويُعنى بالموضوعية ثلاثة أشياء:

الأول: تقبل واقع الحقائق التي يمكن إثباتها بعيداً عن العواطف، فإذا أثبتت هذه الوقائع خطأ الفرضية غيّرها بدلاً من محاولة جعل الحقائق تختفي.

الثاني: يجب الاستعداد عند القيام بالعمل لقبول أن الصحفي مخطئاً، وإلا لما استطاع الحصول على المساعدة التي يحتاج إليها من الآخرين.

الثالث: حتى لو بقي الصحفي موضوعياً تجاه الحقائق فيجب أن تبقى أسس العمل لا تختفي، فمحاولة جعل العالم مكاناً أفضل ليست هدفاً موضوعياً بل إن الصحفي ليس مجرد مسجل صوتي يستقصي إنما إصلاحي يستخدم الحقائق الموضوعية لإنجاز ذلك الهدف، فالإصلاح سيفشل إن لم يكن قائماً على الواقع، وبكلمات أخرى يستخدم الاستقصائي ذاتيته غيرَ الموضوعية كدافع للبقاء محايداً تجاه البرهان، وأخذ كل برهان بالحساب.

- **استخدم الصيغة الرسمية كفرضية:** فاستخدام معلومة من مصدر رسمي أو مجهول كفرضية مفصلة تتطلب تحققاً، وهذا يعد أسلوباً مبسطاً للوصول إلى نتائج مدهشة، كما يعني إمكانية استخدام الوعد الرسمي كفرضية، وهنا من المهم لفت انتباه الصحفيين إلى أن العديد من التحقيقات الاستقصائية تم نسفها على يد إعلاميين لا يستطيعون قبول الحقيقة التي عثروا عليها بدلاً من أن تنسفها أطراف متسببة تعمل على حماية نفسها.
- **ابدأ باستراتيجية:** بمعنى قضاء وقت كافٍ للترتيب والتنظيم الذي ستنفَّذ على أساسه المهمة ما يوفر كثيراً من الوقت، وهذا التنظيم يتطلب وضع قائمة بالأسئلة التي يجب الحصول على أجوبة عنها؛ لذا يُفضل البدء بالأسئلة الأسهل والأسئلة ذات الأجوبة المتاحة، وكدليل على ذلك يُطلب من المستقصين المبتدئين في "مركز النزاهة الأمريكي العام" تمضية أسابيع عدة في البحث موضوع ما قبل أن يُسمح لهم بالاتصال بأي مصادر للمعلومات.
- **استخدام أسلوب الفرضية لإدارة المشروع الاستقصائي:** وذلك عبر تحديد أبعاد المشروع التالية:
  - موعد تسليم التحقيق، والحد الأدنى لما يمكن الالتزام بتسليمه على شكل قصص متكاملة.
  - محطات زمنية مرتبطة بالعملية: مثل "كم الوقت المطلوب لاستشارة أول المصادر؟ ومتى سيتصل بمصادر بشرية ويجري معها مقابلات؟ ومتى الاستعداد للبدء بكتابة مسودة القصة؟".
  - الكلفة والمردود: والمطلوب تحديدها بدقة لمعرفة إمكانية التنفيذ، وبخاصة إذا كان الصحفي مستقلاً، وهل ستبرر مدخولاً إضافياً أو معرفة جديدة، أو مهارة مكتسبة،

والحصول على امتيازات، والنهاية الفيصل هل سيعوِّض (المردود) من زيادة المبيعات ورفعة شأن الوسيلة (الكلفة).

- التأييد والإسناد، ومن تهمه هذه القصة، وكيف يمكن زيادة وعي الجمهور نحوها، فكسب التأييد يقلل مخاطر الهجوم المضاد شريطة أن يكون الاستقصاء دقيقاً، لأنه يجذب انتباه الحلفاء المحتملين، وهذا يقدم مقاييس للتقدم، ومؤشرات لما يجب فعله لاحقاً لأن ذكاء الفرضية المصاغة بكلمات قليلة هي الأداة التي ستمكّن من إثارة اهتمام الآخرين.

4. ابقَ مركّزاً على القصة: فكل فرضية تشكل قصة يمكن أن تكون صحيحة، تتضمن أخباراً وحلاً؛ لذا فإبقاء الفرضية نُصب العين يجعل الصحفي مركّزاً على القصة، وليس على الحقائق فقط، وفي النهاية الناس لا تتذكر معلومات بحجم ثلاثة أسطر من دفتر ملاحظاتها بقدر ما تتذكر قصة متكاملة مرتبطة بشخص، والخلاصة أن الجزء الأصعب في البحث الاستقصائي هو أن تتذكر القصة بينما تتراكم الحقائق، ولو أن أصل الاستقصاء فقط الحقائق لكان دفتر دليل الهاتف أكبر استقصاء في التاريخ.

عاشراً: أسلوب (التخفي) تحت الغطاء "أندر كفر Under Cover"



مفهوم ومبادئ أسلوب التخفي:

يعني أسلوب التقصي القائم على "تحت الغطاء/ الأندر كفر" تخفي الصحفي بشخصية تمنع الآخرين من معرفة حقيقته وكشف سمته الصحفية، وتخفي أغراضه، وغالباً ما تكون هذه الشخصية المتخفى بها عامة، على ألا تسبب له أي مشكلة قانونية، كادعاء أنه شرطي أو رجل أمن أو موظف (شخصية غير اعتبارية).

وعلى الرغم من النصيحة المتكررة بأن يكون التخفي آخر حل يلجأ إليه الصحفيون حين يعجزون عن الوصول إلى الحقيقة بطرق مشروعة، ولاسيما أن التقصي يدخل في أخلاقيات اختراق الخصوصية الفردية، يرى الاستقصائيون في التخفي جاذبية حيث:

- يتضمن العمل فيه مراحل "الدارما والأكشن والإثارة والتشويق".
- ويحيي في داخلهم حب المغامرة.
- ويجعل من التقصي بحد ذاته قصة قابلة للرواية، وليس مجرد مادة تحقيق صحفية لكن هذه الألوان البراقة بكل حال من الأحوال يجب ألا تعمي عين الصحفي عن واجبات يفرضها أسلوب (التخفي) وتُعد مبادئ وأسساً أساسية لممارسة هذا النوع من العمل:

1. الحصول على دليل يمكن مواجهة المذنبين والخادعين به تظل القاعدة الذهبية التي يمكن الاعتماد عليها لتبرير أهمية التخفي، وتصويره السري.
2. التخفي لا يعني مخالفة القوانين وخرق القواعد: فمثلاً لا يجوز أبداً لصحفي يتقصى عن دور الدعارة ومن وراءها أن يمارس الدعارة، أو يتقصى حول شبكة تهريب مخدرات أن يتعاطى المخدرات، فالتقصي الخفي ليس فيلماً عربياً تخدع فيه البطلة "شمس البارودي" باسم الحب المديرَ المرتشي، وتسافر معه في رحلة عاطفية إلى أوروبا لتكشف وتنشر تورطه.
3. التخفي لا يعني تعريض حياة الصحفي للخطر تحت أي ظرف كان: فكم من صحفي عرّض حياته للخطر متخفياً سواء كُشف أمره أم لم يُكشف، وهذا يتنافى مع قبول رؤساء التحرير للأسلوب مهما كانت نتائجه لأن حياة الصحفي تبقى هي الأهم.
4. التخفي لا يعني التستر تحت شخصيات (اعتبارية) لها مكانتها ويمكنها الإفادة من موقعها الوظيفي بل ينحصر في الشخصيات العامة التي ليس لأحد محاسبة الصحفي على تقمص أدوارها.
5. التخفي لا يعني دفع المستهدف إلى ممارسة خطأ لا يرتكبه عادة لكن تحت إغواء كبير لا يسلم من إغراءاته إلا الأنبياء وأولياء الله الصالحون يوافق عليه.
6. التخفي لا يعني عملاً غير أخلاقي يقتحم الحياة الخصوصية لأفراد وينتهك حرماتها.
7. التخفي لا يعني سلب حقوق المستهدفين وحقهم في مشاهدة أعمالهم قبل نشرها والدفاع عن أنفسهم.

رحلة تقصي "التخفي" وتاريخ بداياته:



إن تاريخ التخفي مع العمل الاستقصائي قديم، وهو من ولّد فكرة "الكاميرا الخفية" التي تحولت في بعض استخداماتها إلى التسلية والترفيه القائم عبر "المقالب"، لكن هذا لا يلغي أن الاستخدام الأول والمبدئي لـ "كاميرا طاقية الإخفاء" كان بغرض الاستقصاء الصحفي الذي يهدف إلى الكشف عن المغالطات والفساد والتجاوزات والمخالفات قبل أن يفاد منها (لاحقاً)

في البرامج الكوميدية التي غايتها هنا قياس ردود أفعال الأشخاص على مواقف غير طبيعية "مصطنعة" يتعرضون لها أمام العدسة، وإن كان هذا لا يلغي عنها – كما يرى البعض – صفة وجوب التقصي إذا أرادت كوميديا التخفي أداء واجبها على أكمل وجه، وليس كما هو اليوم في المحطات العربية التي تلقي بحجر على رأس الضحية قبل أن تواجهه في أثناء انفجار بركان غضبه بضحكة مع تهليل لنجاح "المقلب".

ففي بداية "كاميرا BBC الخفية" والتي تعرضت لـ "ملقب" طال رئيس تحرير "التايمز اللندنية" تقصى معدو البرنامج حوله وحول عاداته، واكتشفوا أنه لا يخرج من الصحيفة قبل لمس ورق نسخة اليوم التالي مطبوعة، كما عرفوا عبر الاستقصاء الدقيق حرصه على شراء نسخة من "كشك" الجرائد المطل على منزله ليلمس الجريدة ويشعر بشعور القراء عبر منافذ البيع، وعليه قرروا نصب الشِّرك في ذاك "الكشك" عبر وضع الكاميرا والصائد فيه مع نسخ مزورة من التايمز يخالف عنوان المانشت فيها لما طُبع ووُزع حقيقة حيث تناول الحياة الشخصية لرئيس التحرير بنيله الطلاق عبر المحكمة – وهو يكره المزج بين حياته المهنية والشخصية – ولم يفت المحررين الذين كانوا على دراية بتفاصيل القصة أن يستقصوا عن أول من يتصل به "الهدف" حين يتعرض لموقف كالذي خُطط له، وتواصلوا معه، فجاء العمل متكاملاً ومدروساً، وهنا لم يفت القائمين عليه أخلاقيات "الكاميرا الخفية" إذ لا يجوز العرض قبل موافقة "الضحية" على رؤية الجمهور لموقفه وردة فعله عليه، ولهذا لم يوافق رئيس التحرير اللندني على البث قبل إعادة ثمن الصحيفة "المزورة" التي دفعها إلى صاحب "الكشك"، كي لا يُخدع مرتين (مادياً ومعنوياً) على الرغم من إصرار الصحفي (البائع) على الإبقاء عن "البنسات" كذكرى.

وبالعودة إلى تخصص "الاستقصائي الخفي"، فحسب "آيمان أندرسون" فإن تاريخ التخفي يعود إلى زمن الحرب الأمريكية الإسبانية التي صبغها الصحفيون بشعار: "الإعلام حارس القيم

المجتمعية، وكاشف الخديعة والرذيلة، وطالب الإصلاح والفضيلة" ولهذا ظهرت خلال هذه الفترة صحافة "الأندر كفر" برموزها العديدة، ولعل أشهرهم وأكثرهم تأثيراً في ذلك الأسلوب "نيللي بلاي، ووليم ت. ستيد، وجونتير فالراف"، وذلك بسبب انعدام قدرة استكشاف طرائق بحث في الوثائق، كما يضيف "أندرسون" في كتابه: "الحقيقة التي لا تقال ابتدأ "تقصي القناع" للصحفيين بفكرة معاناة المساجين، وظروف اعتقالهم غير النظامية، وأحوال سجونهم القاصية، ففي عام 1923 تخفى الصحفي الفرنسي "ألبرت لوندر" وافتعل مشكلة لدخول سجن مستعمرة غينيا الفرنسية بأمريكا الجنوبية ليكشف عن الظروف غير الإنسانية داخله، ولم تخرج محاولة الأسترالي "هينري ميلفيل" عن المسعى ذاته في الفترة عينها.

أما عربياً فإن مراجعة تاريخ المهنة القريب يشير إلى العديد من الصحفيين الذين تقمصوا أدوار التخفي في محاولات غير مؤرخة، لكن يبقى أهمها محاولة "يسري فودة" في حلقاته "سري للغاية" على قناة الجزيرة التي أحدث فيها فرقاً في التقصي العربي التلفزيوني، ولعل هذا ما جعل "فودة" يصف محاولته باللحظة الفارقة في تاريخ القناة حسبما ورد في كتابه "على طريق الأذى".

قواعد الكاميرا الخفية Hidden camera Rules:



- لا تستخدمها إلا عندما لا تكون هناك طريقة أخرى للحصول على توثيق.
- ينبغي أن تكون القصة ذات صلة.
- يمكن أن تُستخدم للتوثيق لأغراض الاستخدام الداخلي أو العام.
- ينبغي الحصول على موافقة رئيس التحرير أولاً.
- في العلن، غطِّ وجوه الأشخاص "الأبرياء" أو أولئك الذين ليس لهم دور أساسي.
- أرهم إياه قبل النشر ليتسنى لهم التعليق.

شروط التصوير السري وكيفية التخطيط الجيد له وأخلاقيات التعامل معه:

قواعد التصوير السري:

يحدد الصحفي والمخرج التلفزيوني توني ستارك الذي أخرج فيلمين استقصائيين أولهما: "لا تذهب إلى بريطانيا"، وثانيهما "خلف جدران الصمت" شروطَ التصوير السري وفق القواعد التالية:



- لدى عرض الفيلم المصور بطريقة سرية يجب الإشارة على الشاشة أن التحقيق قد صُوّر بطريقة مخفية.
- أن تكون قصة آنية متفاعلة.
- ألا تكون القصة مطروقة في وسائل الإعلام.
- تحتوي القصة على جانب إنساني ومهم جداً.
- تناقش القصة قضايا لها علاقة بمؤسسات مجتمعية.
- مراجعة الأنظمة والقوانين في البلد التي تعمل فيها (فبعض قوانين الدول تُعد ذلك مرفوضاً، فيما لا تنص قوانين أخرى على منع ذلك).
- التصوير بالتخفي يطال أشخاصاً لا يستطيعون شرح معاناتهم.

وفي السياق ذاته يصف "ستارك" "القاعدة الذهبية التي يمكن الاعتماد عليها لتبرير أهمية التصوير السري خلال العمل الاستقصائي "بأسرار" الصنعة الاستقصائية عن طريق الإرشاد إلى ما تتطلّبه ممارسة الصحافة السرية، وكيفية التخطيط الجيد لإتمامها على أكمل وجه، حيث يصعب الحصول على المعلومات في أحيان كثيرة إلا عن طريق استخدام هويات مزيّفة وكاميرات مخفية، لكن هذا التخفّي لا يجوز إلا حال كانت حجة الصحفي سليمة أي إن كان يمتلك دليلاً حقيقياً يواجه فيه المذنبين والمخادعين لإدانتهم، وهذه هي القاعدة الذهبية التي سيواجه فيها الجهات المعنية، وسينطلق منها بكل اطمئنان خلال رحلة استقصائه السرية؛ لأن التخطيط السيئ لأي عمل صحفي قد يؤدي في النهاية إلى الفشل، ما يوجب الالتزام بخطة جيدة ومتكاملة لأي فيلم سري يخطَّط لتصويره حتى لا يضيع الجهد والوقت بلا نتيجة مرجوّة مع ضرورة أن يكون الصحفي الاستقصائي معزّزاً بفريق يرافقه لحمايته ومتابعته شريطة أن يكونوا

جميعُهم مدرَّبين على هذا العمل، ويمتلكون المهارات الكافية للتكيّف مع الظروف كافة – التي ستقابلهم – وعليه يختم "ستارك" ملاحظاته – التي قدمها في ملتقى شبكة "أريج" السابع للصحفيين الاستقصائيين العرب في كانون الأول ديسمبر 2014 – بطرح سؤال مهم على استقصائي "الأندر كفر" مُفاده: (لو شعرت خلال عملك الاستقصائي بضرورة ترك دورك كصحفي، والالتفات إلى واجبك كمواطن، فماذا يجب أن تفعل؟ والجواب ببساطة: "عليك أن تلتفت إلى نداء الإنسانية في داخلك").

شروط التصوير السري:

قبل الحصول على إذن بالتصوير السري يُشترط حسب "ستارك" العمل على النقاط التالية:

1. إقناع جهة البث بوجود دليل: فلا بد من أن تطلب الجهة التي تعمل لصالحها بتقديم مبررات مقنعة وقوية لتعطيك إذناً بالتصوير السري؛ لذا يجب أن تبرّر لها رغبتك في التصوير بناءً على أدلة تُدين الجهة التي تنوي تصوير أفعالها، وقد يأخذ منك جلب دليل قوي لإقناع مؤسستك وقتاً طويلاً، لكنه سيكون فعّالاً ولصالحك فيما بعد إن تمّ التشكيك بمهنيتك أو تمّت مساءلتك قانونياً.
2. **التعريف بطريقة التخفّي التي ستتبعها:**

   حيث يجب عليك:
   - وصف الكاميرا التي ستستخدمها خلال تخفّيك.
   - والإبلاغ عن (الأماكن التي ستصوّر بها) ولماذا؟ و(الأماكن التي ستتجنب التصوير فيها) حرصاً على خصوصية العامة.
   - كما عليك التأكد من سلامة مستلزمات الكاميرا كافة كي لا تتحول إلى عبء عليك.
3. **التمويه:**

   يجب عليك كصحفي اخترت التصوير السري أن تنتحل شخصية جديدة مقنعة لكل من سيقابلك، لكن على هذه الشخصية أن تكون واقعية وغير مبالغ فيها، كما يجب ألا تكون مخادعة، فهي في الأساس لحماية عملك الاستقصائي المبني على دليل يبيح ذلك.



4. **الصحة والسلامة:**



عليك كصحفي استقصائي معرفة المخاطر التي ستواجهها لإيجاد طريقة مناسبة للتعامل معها، وأول الأمور التي يجب التأكد من وجودها هي موازنة مالية كافية من قبل المؤسسة التي تعمل بها لتأمين كل ما يلزم لحمايتك، مثل: (رجال أمن كمرافقة.. درع واقي من الطعنات.. معرفة كافية بالمنطقة المراد العمل بها.. ارتداء ملابس وأحذية مريحة عند الحركة.. تأمين جهات اتصال عند الطوارئ.. أخذ تدريبات كافية للدفاع عن النفس البقاء على اتصال مع شخص من المؤسسة ليطمئن على سلامتك).

5. **البروتوكول الأخلاقي:** لا بد من وجود أخلاقيات تسيّرك وتوجّهك خلال رحلتك الاستقصائية مثلاً: (كيف تتصرف حال رأيت شخصاً يتعرض للهجوم؟ أو عند اضطرارك للتعريف بهويتك أمام الشرطة؟ أو عند اكتشاف أمرك والطلب بعدم إكمال التصوير؟ وهل يجوز لك ارتكاب جريمة جنائية في سبيل عملك الاستقصائي؟ وهل بإمكانك حمل أسلحة للدفاع عن النفس؟ وما الأماكن التي يمكنك التصوير فيها؟ ومن هم الأشخاص الذين ستغطي وجوههم لحمايتهم عند عرض الفيلم؟ فكل هذه الأسئلة وأكثر سيُجيب عنها البروتوكول الأخلاقي الموجود في مؤسستك، أو الذي ستتفق عليه مسبّقاً مع مسؤولك بحيث يتوافق مع سياسة البلد الذي تعمل فيه).

6. **المسائل القانونية:**



على الصحفي الاستقصائي ومؤسستِه البحثُ الجيد قانونياً، والتفكير مطوّلاً قبل البدء بالتصوير السري، وتحديد هل سيعرّض هذا التصوير الصحفي للاعتقال؟ أم أنه مشروع في قوانين البلد الذي يعمل فيه؟

وهل هنالك قوانين ستعرّضه للخطر بتهمة التشهير؟ فهذه القوانين تتغير من بلد إلى آخر؛ لذا على كل صحفي معرفة ما يتناسب مع بلده والعمل بناءً على ذلك.

الخلاصة

هناك شبه إجماع على استخدام أسلوب الفرضية منذ "الوترجيت"، وهو أسلوب مقتبس من المناهج العلمية، ومن هنا لا بد أن تتناول الفرضية "لب المشكلة، والجوانب التي تشملها، والسبب والمسبب ومن وقعت عليه الأسباب، وخلاصة نتيجة ما حدث، لذا تعرف الفرضية بأنها وضع الأمر الذي يراد برهنته في "جملة واحدة"، وهو ما يدعى "التركيز على مفتاح السبب أفضل طريقة لإنقاذ الوقت والمصادر والنتائج"، ولعل هذا يؤكد أن أفضل التحقيقات الاستقصائية تشترك في الكثير مع أفضل التقاليد العلمية.

بالمقابل يعني أسلوب تحت الغطاء "أندر كفر، Under Cover" تخفي الصحفي بشخصية تمنع الآخرين معرفة حقيقته، وكشف سمته الصحفية، وتخفي أغراضه، وغالباً ما تكون هذه الشخصية المتخفى بها عامة، على أن لا تسبب له أي مشكلة قانونية.

التمارين

1. اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

تشترك أفضل التحقيقات الاستقصائية في العديد من المزايا، أهمها

A. التقصي مع مراعاة أخلاقيات التحقيق.

B. التصوير السري للكشف.

C. قدرة إثبات الفرضية.

D. استخدام الفرضية.

الإجابة الصحيحة: D. استخدام الفرضية.

2. اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

الصحفي الذي طرح فكرة "البحث عن المتشككين" كمرحلة أولى لاختيار الموضوع الاستقصائي هو

A. جون. ت. شيفر.

B. جون أولمان.

C. مارك هنتر.

D. نيلز هيلسون.

الإجابة الصحيحة: B. جون أولمان.

3. اختر الإجابة الصحيحة مما يلي:

من أهم قواعد الكاميرا الخفية:

A. الوصول إلى قدرة إثبات تورط المسؤولين.

B. حسن التخفي بشخصية لا تُكشف.

C. مواجهة المستهدفين قبل العرض.

D. المخاطرة جزء من التخفي بشخصيات غير اعتبارية.

الإجابة الصحيحة: C. مواجهة المستهدفين قبل العرض.

الوحدة التعليمية العاشرة
استخدام الحاسوب في الصحافة الاستقصائية وصندوق أدواتها الإلكترونية

الأهداف التعليمية:

بعد دراسة هذه الوحدة التعليمية يجب على الطالب أن يكون قادراً على أن:

- يشرح أهمية استخدام الحاسوب في الصحافة الاستقصائية وفوائده
- يشرح تاريخ استخدام الحاسوب في العمل الصحفي الاستقصائي
- يعدّد جوانب الحصول على أكبر إفادة من قواعد البيانات
- يشرح توظيف تقنيات الحاسوب والإنترنت في العمل الصحفي الاستقصائي واستخداماتها
- يعدّد القواعد والنصائح والتوظيفات لاستخدام الحاسوب في العمل الاستقصائي
- يشرح الصحافة الاستقصائية في عصر التكنولوجيا والتطور السريع للحواسيب
- يعدّد أدوات أتاحها استخدام الحاسوب وتوظيف الإنترنت في العمل الاستقصائي
- يشرح أمثلة تطبيقية وتحليلية لنماذج من الاستقصاء العربي والمحلي
- يعدّد النصائح الأساسية للتقصي وأحكامه

النقاط البحثية للوحدة:

- الحصول على أكبر إفادة من قواعد البيانات.
- توظيف تقنيات الحاسوب والإنترنت في العمل الصحفي الاستقصائي واستخداماتها.
- القواعد والنصائح والتوظيفات لاستخدام الحاسوب في العمل الاستقصائي.
- الفوائد التي تعود على الصحافة الاستقصائية من الاعتماد على الحاسوب والإعلام الجديد.
- تطبيقات الحاسوب في العمل الصحفي لمساعدته في إنجاز عمله بشكل أكثر حرفية.
- الصحافة الاستقصائية في عصر التكنولوجيا والتطور السريع للحواسيب وشبكاتها.
- أدوات أتاحها استخدام الحاسوب وتوظيف الإنترنت في العمل الاستقصائي:
  - أداة: دقق ديسك التقصي.
  - أداة: موقع Detective.io.
  - أداة: "Bellingcat".
  - أداة: "داتا إن".
  - أدوات: "Highlights"، و"Meerkat"، و"Curator".

الكلمات المفتاحية للوحدة:

تقنيات الحاسوب في الاستقصاء – تقنيات الإنترنت في الاستقصاء – توظيف الحاسوب في الاستقصاء – فوائد التقصي مع الحاسوب – تطبيقات الحاسوب في الاستقصاء – أداة: دقق ديسك التقصي – أداة: موقع Detective.io – أداة: "Bellingcat" – أداة: "داتا إن" – أدوات: "Highlights"، و"Meerkat"، و"Curator".

أولاً: مقدمة عن استخدام الحاسوب في الثقافة الاستقصائية



لعبت التقنيات والتكنولوجيا الحديثة دوراً كبيراً في مساعدة الصحفيين الاستقصائيين خلال مراحل عملهم المختلفة سواء في جمع الحقائق أم إعداد التقارير أم أرشفة الوثائق أو تحليل البيانات، وصولاً إلى بناء الملف الأم، ثم استقاء النتائج بشكل أكثر إفصاحاً وسهولة للقارئ ومتخذ القرار.. ومن هنا يمكن للصحفي المستقصي استخدام جميع الطرق المشروعة، والأساليب التقنية الحديثة لكشف الستار عن الحقائق المستورة، ولاسيما أن شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) تقدم خدمات فائقة في هذا المجال، يضاف إليها ما تقدمه الوسائل التقنية الحديثة، كالبريد الإلكتروني والكاميرات الرقمية وآلات التسجيل،

والاتصال الحديث من أجل صحافة استقصائية ذات كفاءة، وعليه وفر الحاسب الآلي (الحاسوب) الكثير من الوقت، ومنح الصحفي دقة عالية في "مخرجات النتائج"، إذا كانت مدخلاته صحيحة، وبالتالي ينطوي العمل الاستقصائي بمساعدة الحاسوب على أكثر من مجرد استخدامه البسيط في البحث على الإنترنت وكتابة التقارير والتغطية الصحفية، بل يتعدى ذلك إلى استخدام جداول البيانات (مثل إكسل) وإدارة قواعد البيانات (مثل أكسس) لتنظيم وتحليل البيانات، والتوصل إلى الاستنتاجات التي سيكون من المستحيل الوصول إليها تقريباً من دون استخدام مثل هذه البرامج.

ويرى "رعد منير نشيوات" أن الحاسوب يساعد على إدارة أصول الإعلامي، والتحكم بأرشيفه الخاص من خلال عملية تخزين الوثائق، واتخاذ الصلة بين الحقائق والأشخاص والوقائع، والتسلسل الزمني، والمتغير المكاني، ما يسرّع عملية كتابة التحقيق، أو إنجاز سيناريو البرنامج الإذاعي والتلفزيوني بحرفية عالية، كما يساعد على تخزين المعلومات بآلية سهلة الولوج والاستعادة، لإعادة استخدامها في مشاريع كتابة مستقبلية، وبالتالي ترى "رنا الصباغ" المديرة التنفيذية لشبكة "أريج" للصحافة الاستقصائية العربية أن الصحفي سيلمس بذلك توفير الوقت والجهد لدى إعداد المنتَج الإعلامي من خلال ترتيب وتنظيم معلوماته وإدارتها.

ثانياً: أهمية استخدام الحاسوب في الصحافة الاستقصائية وفوائده



يتمثل واجب الاستقصائي اليوم في تعلم ما يكفي للإفادة من الحاسوب الموجود على مكتبه، وبأكثر مما هو مستخدم لمجرد تخزين الكلمات أو الألعاب الإلكترونية، فالصحافة الاستقصائية تُستخدم الآن بشكل متسع في مجالات كشف الفساد في المجتمع

وتقديم الرؤية الشاملة التي لا تستطيع أن تقدمها وسائل الإعلام الأخرى، ولهذا صاحب هذا النموَّ المتزايد توظيفُ الحاسبات الإلكترونية لأغراض تصنيف المعلومات والبيانات الكثيرة، التي يحصل المحررون الاستقصائيون عليها، وتحليلها بشكل يساعدهم في الوصول إلى خلاصات كمية دقيقة، كما ساعد على ذلك انتشار استخدام المؤسسات الحكومية والمؤسسات الخاصة للحواسب الإلكترونية في تخزين المعلومات وتصنيفها واسترجاعها، ما أتاح إمكانية الحصول عليها بنفقات قليلة أو من دون أي نفقات.

وقد جاء هذا التيار الذي أدخل الحاسوب إلى العمل الصحفي الاستقصائي بعد توسع الجرائد في الإبراز والتركيز والتحري عن قضايا معينة أو مواقف وأمور تحدث في المجتمع، وبخاصة جوانب الانحراف والفساد، وتمتاز أعمال هذه المدرسة باستقصاءاتها حسب "محمود علم الدين" بأنها تحتاج إلى الوقت والخبرة والتكاليف، ولكنها تُخرج القراء عن الملل حيث تُستخدم التغطية الاستقصائية بشكل متسع في مجالات كشف الفساد والمجتمع والنقد.

وحسب "رعد نشيوات خبير الحاسوب والبرمجيات، والمتخصص في أمن المعلومات" ضمن كتابه "دليل الحاسوب والإنترنت في العمل الصحفي" يشمل مفهوم توظيف الحاسوب في العمل الصحفي كل تقنية أو برنامج أو وسيلة تستخدم تكنولوجيا الحاسوب، أو التقنيات المنبثقة عنه كالإنترنت في عملية جمع وتحليل الأخبار الصحفية، فتوظيف الحاسوب في العمل الصحفي يُطلق عليه باللغة الإنجليزية مصطلح "Computer Assisted Reporting" "CAR"، وأول استخدامات الحاسوب بدأت عام 1952 في الولايات المتحدة الأمريكية ليتطور اليوم شاملاً العديد من وسائل التقنية المساعِدة للصحفي في عمله ك:

- برامج تنظيم المصادر والعلاقات.
- وبرامج قواعد البيانات.
- وبرامج التحليل الإحصائي.
- وبرامج استطلاعات الرأي.

ووسائل الحماية الإلكترونية، كتشفير الملفات والتخفي على شبكة الإنترنت.

ثالثاً: تاريخ استخدام الحاسوب في العمل الصحفي الاستقصائي

1. يؤكد "نشيوات" حول تاريخ استخدام الحاسوب في العمل الصحفي، أن هذا العمل وُلد في أمريكا أواسط عام 1950 بعدما غزت استخدامات الحاسوب مجال الأعمال والمحاسبة والصناعة، وزيادة توسيع رقعة هيمنة الحواسيب إلى المجالات العملية والعسكرية مع تعدد لغاته.
2. أما في مجال الصحافة فلم يبدأ عصر استخدام الحاسوب بشكل حقيقي حتى عام 1952 حين استخدم مراسل شبكة "CBS News" في واشنطن "والتر كرونكايت" جهاز كمبيوتر أطلق عليه لقب "ريمنجتن راند يونيفك "لتحليل النتائج المبكرة للانتخابات الأمريكية بين المرشحين" دوايت إيزنهاور وأدلاي ستيفنسون" اللذين تقاربا في توقعات نتائج الانتخابات، لكن "والتر" توقع بفضل الحاسوب فوز "إيزنهاور" بفارق كبير، ومع نشر التوقع على الرغم من تردد القناة وتعرضها للسخرية الشديدة جاء تحليل نتائجها وتوقع جوها الانتخابي العام شبه دقيق.
3. دخل الحاسوب بعد انتخابات 1952 العالم الصحفي عبر ثلاث مراحل متداخلة:
   - الأولى: تمثلت بالمرحلة التجارية من مهنة الصحافة ومحاسبتها وتوزيعها.
   - الثانية: تجلت منتصف الستينيات بدخول الحاسوب غرفة الأخبار ومراقبة المخازن وسلك التحرير الصحفي.
   - الثالثة: انطلقت بداية السبعينيات عندما بدأت الصحافة الورقية في استخدام الحاسوب لإنتاج مطبوعاتها.

وهنا يشار بالفضل إلى البروفوسور "فيليب ماير" أستاذ الإعلام في جامعة كارولينا الشمالية بوصفه أحد مبتكري توظيف الحاسوب في العمل الصحفي، عندما غطى عام 1967 أحداث الشغب في مدينة "ديترويت"، حيث استخدم الحاسوب لإجراء استطلاع رأي للمواطنين من أصول إفريقية خلال أحداث الشغب، ومن ثم بالتعاون مع "جون روبنسون، وكابلان ناثان" من جامعة "متشيغان" حُللت البيانات باستخدام كمبيوتر IBM 360، ليتبين عدم وجود فروق بين أصحاب المستويات العلمية في المشاركة بين أحداث الشغب إذ يميل حملة الشهادات العليا للمشاركة في الشغب أسوة بغير المتعلمين، وعليه حقق "ماير" الحائز على جائزة "بوليتزر" نقلة نوعية في استخدام الحاسوب صحفياً و(استقصائياً) ما دفعه إلى إصدار كتاب عن استخدام وسائل الإعلام للأبحاث الإحصائية عام 1973 تحت عنوان "صحافة الدقة"، وفيه بيّن أن الصحافة بدأت تأخذ منحنى علمياً في السبعينيات بطريقتين:

الطريقة الأولى:

تظهر أن كمية هائلة من المعلومات بدأت تتوفر للصحفيين بسبب استخدام الحاسوب في مجالات الحياة.

الطريقة الثانية:

تبين أن نسب توزيع الصحف لم يكبر طرداً مع تزايد عدد السكان؛ لذا كان على الناشرين الانتباه أكثر إلى نوعية القصص التي تجذب القارئ لشراء الصحيفة.

4. عام 1974 تم توظيف "كلارنس جونز" من صحيفة "ميامي هيرالد" لإدخال ما يزيد عن 13 ألف سجل محكَمة إلى الحاسوب، ليكتشف وجود تحيز في نظام العدالة الجنائية لمقاطعة "ديد"، وهذا أطلق تغطية الخدمات العامة في علم الصحافة، وعليه استخدم مع مرور الوقت عديد من الصحفيين الأمريكيين الحاسوب لكشف مشكلات كثير من القطاعات الحكومية كأقسام الشرطة في نيويورك، وأحكام المحاكم غير العادلة في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا.
5. امتدت استخدامات الحاسوب إلى مختلف نواحي الحياة كتوصل "برنهام" في صحيفة النيويورك تايمز 1973عبر تحليله سجلات المحاكم وتقارير الشرطة إلى نتيجة احتمالية تعرض المواطنين ذوي البشرة السوداء لجريمة قتل أكثر بثمانية أضعاف من المواطنين ذوي البشرة البيضاء.
6. إن العمل الصحفي بمساعدة الحاسوب الذي سجل استخدام الحاسبات الإلكترونية في جمع وتحليل البيانات لا بد أن يشير إلى **نقطة فارقة** فيه حسب "**آيمان آندرسون**" حيث يعد من أشهر نماذج التغطية الاستقصائية المستعينة بالحاسبات الإلكترونية في الصحافة الأمريكية تلك التي بدأت ليلة 31 مارس آذار 1981، وتتناول تعرض الرئيس الأمريكي رونالد ريغان لمحاولة اغتيال، حيث تم لاحقاً توظيف الحاسوب في البحث والوصول إلى معلومات عن نوع البندقية وسماتها وأحجامها ومصادرها وصناعتها، فقد كانت معلومات ذات صلة مخزنة بلغة الحاسبات الإلكترونية ما مكنهم من الحصول عليها وتحليلها، وعليه وُصف استخدام الحاسوب في التقصي "بصندوق الأدوات الإلكترونية" التي تساعد الصحفي الاستقصائي في عمله، وعليه أن يقوم بتحديثها باستمرار، كما يجب أن يكون الجهد الذي يبذله في إعدادها جهداً تراكمياً، وأن تكون متاحة لاستخدامها بشكل يومي مع وجوب مراعاة المواقع الإلكترونية المفيدة للاستقصائيين بشكل عام، ولكل صحفي بشكل خاص يُراعى معها خصوصية استقصاءاته ومواضيعها، ما يؤسس لصندوق خاص فيه.
7. في السياق نفسه فإن تاريخ استخدام الحاسب الآلي في العمل الاستقصائي لا بد أن يرتبط باستخدام أساليب علم الاجتماع في هذا النوع الصحفي، إذ بُدئ باستخدام بعض أدوات علم الاجتماع معه بما في

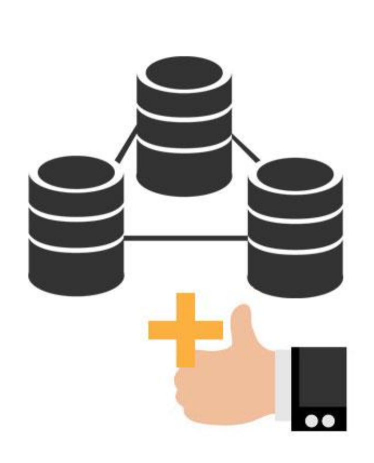
ذلك القياسات الخالية من التداخل والتعداد، واستطلاعات الرأي، وذلك بهدف الارتقاء بمستوى تحقيق صحفي يستخدم أدوات تقليدية نحو عمل استقصائي أكثر تكاملاً.. ومن أمثلة هذه الاستخدامات ما ذكره "جون أولمان" عام 1986 حين بدأ محررا صحيفة "ستار تريبيون" "**ماري جين سميتانكا**/ محررة الصحيفة لشؤون التعليم"، و"**بول ماكينرو**/ المحرر الحر الذي كان يقوم بكثير من التحقيقات للصحيفة" في إجراء بحث عن المراهقين في Twin Cities من أجل كتابة حلقات عن تعاطي المخدرات.

رابعاً: جوانب الحصول على أكبر إفادة من قواعد البيانات

للحصول على أكبر إفادة من قواعد البيانات لا بد من مراعاة جانبين هما (الجانب الطيب والآخر السيئ) وفق التالي:

1. **الجانب الطيب:**

مازالت قواعد البيانات تمثل واحدة من أعظم وأسرع وأحدث مصادر المعلومات بالنسبة لأي محرر الصحفي يعمل في أي مكان، إضافة إلى أنها محدودة التكاليف إلى أبعد الحدود، فلم يعد البحث في قاعدة البيانات مجرد رفاهية تتمتع بها الصحف شديدة الثراء، وذلك على الرغم من انتشار قواعد البيانات في صالات تحرير الأخبار، وفي جميع أنحاء الولايات المتحدة،



فهذا يظل حديث المنشأ نسبياً، فضلاً عن أن هناك كثيراً من قواعد البيانات التي يجب على الصحفي الاختيار بينها إلى جانب المئات الأخرى التي تتوفر كل عام.

2. **الجانب السيئ:**

يظل البحث في قاعدة بيانات بالنسبة لجميع المحررين الصحفيين تقريباً عملية من خطوتين إحداهما ترجع بالمحرر الصحفي خطوة مهمة أخرى إلى الوراء، بعيداً عن الاعتماد على نفسه في العثور على المعلومات.



إن الجانبين السابقين يمكن إمالة كفة ميزانهما نحو الإفادة الإيجابية حال استطاع الاستقصائي **التغلب على العقبات، ومن بينها:**

- ضرورة أن يكون لديك تجهيزات في الحاسوب سريعة إلى حد ما.
- ضرورة العمل بصفة لا نهائية على تقنية البيانات، ومراجعة خلوها من الأخطاء وعدم الاتساق.
- ضرورة قيامك بصعود سلم طويل وبطيء من التعليم حتى تنجح الأمور معك.
- ضرورة لجوئك إلى طلب المساعدة من أشخاص متمرسين في تحليل البيانات.

خامساً: توظيف تقنيات الحاسوب والإنترنت في العمل الصحفي الاستقصائي



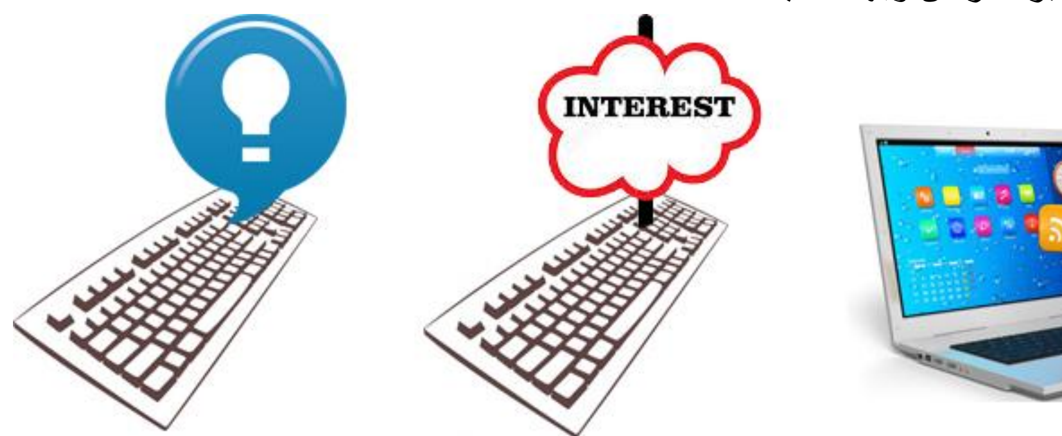
يمكن تلخيص أهم مجالات توظيف تقنيات الحاسوب والإنترنت في العمل الصحفي الاستقصائي عبر مراجعة العديد من التجارب التطبيقية والتنظيرات البحثية وفق التالي:

- الوصول أولاً بأقصر الطرق إلى المصادر المفتوحة.
- عرض البيانات الصحفية بشكل بصري "إنفوغرافيك".
- شبكات التواصل الاجتماعي لحشد المصادر والمعلومات للصحفيين.
- استخدام "Google Drive" لفريق العمل الصحفي.
- عرض المعلومات على الخرائط باستخدام غوغل فيوجن.

- برامج الصحفي الاستقصائي على الهواتف الذكية.
- البحث المتقدم عن الصورة في شبكة الإنترنت.
- أساسيات الأكسل في العمل الصحفي.
- تشفير وحماية الملفات الخاصة بالعمل الصحفي.
- توظيف الاستبيانات الإلكترونية في العمل الصحفي.
- صناعات محركات البحث المتخصص وفق برنامج "أنابيب الياهو Yahoo Pipes".
- رسم وتحليل شبكة العلاقات.
- تتبع أصحاب المواقع على شبكة الإنترنت.
- بناء قواعد البيانات بنوعيها سواء قواعد البيانات التي يحتفظ بها الآخرون أم تلك الخاصة بالاستقصائي.
- تحليل البيانات بشكل علمي، واستخلاص النتائج الكيفية والكمية منها بأساليب بحثية منطقية وموضوعية.

سادساً: القواعد والنصائح والتوظيفات لاستخدام الحاسوب في العمل الاستقصائي

استناداً إلى استخدامات الحاسوب المتعددة نعرض بعض القواعد والنصائح والتوظيفات لاستخدام الحاسوب في العمل الاستقصائي عبر أكثر من وجهة علمية:



قواعد ونصائح استخدام الحاسوب:

تتعدد القواعد والنصائح حسب "إليوت هيغنز" مؤسس الموقع الإلكتروني المتخصص بالتحقيقات الاستقصائية باستخدام الخرائط والفيديوهات والصور والأقمار الصناعية (بيلينغكات Bellingcat):

1. اكتشف ما الذي تراه.
2. اذهب إلى المصادر المفتوحة التي تخبرك عن نظم العمل.
3. اذهب لمن دائماً يفيدك: وتذكر أن موقع catzone والويكيبيديا دائماً جيدة للبداية، والهيومن رايتس التي تجمع جميع أشرطة الفيديو المنشورة على مواقع التواصل الاجتماعي.
4. تقريب الصور.
5. مقارنة المنشور والصور.
6. خرائط الغوغل دائماً ممتازة.
7. المواقع الجغرافية التي تستخدم الصور في الفيديو.
8. ارسم موقعاً بانورامياً لمكان الحدث، وضع عليها كل نقاط العلّام، ومواقع التلال.. فالمساجد ودور العبادة دائماً نقاط علّام، وكذلك المباني والطرقات، واستعن بغوغل إيرث لمساعدتك في ذلك.
9. لمعرفة المسافات قارن مثلاً بين مئذنتين.
10. قارن دائماً بين حجم الضرر.
11. لا تنسى الإفادة من خرائط وُضعت في الماضي.
12. خطأ التواريخ، فمن يدعي أن ثمة فيديوهات لأحداث تحمّل قبل يوم من حدوثها لا يسعفه معرفة فوارق التواريخ الزمنية وهنا خطأ لتواريخ التحميل، فالناس لا تعرف بكيفية التحميل والفيروسات وكيفية عمل الموقع.
13. نستخدم الظل (في الصور والفيديوهات المنشورة على الإنترنت) لقياس الوقت.
14. الصور في الخلفية (بانوراميوم).

فوائد الاعتماد على الحاسوب والإعلام الجديد:

يحدد "محمد أبو حشيش" الفوائد التي تعود على الصحافة الاستقصائية من الاعتماد على الحاسوب والإعلام الجديد، ومن أبرز هذه الفوائد:

1. **حرية الوصول إلى المعلومات من خلال مصادر المعلومات الرسمية والأهلية:** فالإعلام الجديد شكّل ظهور المواطن الصحفي ما أسهم في وضع كم كبير من المعلومات للتداول، وظهور مفهوم الاتصال في اتجاهين، والمشاركة في صنع المادة الإعلامية من قبل الجمهور، وهذا كله ساعد في تطوير آليات الوصول إلى المعلومات من طرف الصحفيين بشكل عام، وخصوصاً الاستقصائيين منهم بل والعمل على إشراك المواطنين في إنجاز العديد من التحقيقات الاستقصائية عبر استخدام شبكات التواصل الاجتماعي وأدوات الإعلام الجديد في الوصول إلى المعلومات مباشرة أو الاتصال مع المصادر الخاصة بالصحفي.
2. **المساعدة في إيجاد أفكار صالحة لإجراء التحقيقات الاستقصائية:** حيث وفرت تقنيات التواصل الاجتماعي وغيرُها من أدوات الإعلام الجديد مجالاً خصباً من الأفكار التي يمكن أن تشكل نقطة بداية لدى الصحفي المتقصي لبدء تحقيقه، وهذا من الممكن أن يحدث عبر المتابعة المستمرة لما يتم تداوله عبر مواقع الفيس بوك أو تويتر، وبالتالي الوصول إلى فكرة جديدة تستحق الاهتمام؛ ولذا برزت العديد من المواقع التي تقدم للصحفي أبرز ما تداوله نشطاء الإعلام الجديد.
3. **إعادة نشر التحقيقات:** تتيح وسائل الإعلام الجديدة إمكانية إعادة نشر التحقيقات الاستقصائية بسهولة.
4. **يُسْر التواصل بالأفراد كمواطنين:** حيث وفرت تقنيات ووسائل الإعلام الجديد سهولة التواصل مع الأفراد والوصول إليهم أينما كانوا، وفي الوقت الذي يناسبهم، وهو ما أفاد الصحافة الاستقصائية في مخاطبة الأفراد حسب اهتماماتهم وميولهم، وربما كان هذا الدافع لمواقع كتويتر بتقديم خدمات جمع التغريدات ومراقبتها.
5. **إمكانية إبداء الرأي بحرية من خلال وسائل الإعلام:** فقد أصبح باستطاعة أي فرد في المجتمع أن يرسل ويستقبل ويتفاعل ويعقّب ويستفسر ويعلّق بكل حرية وبسرعة فائقة، وهو ما مدَّ الصحافة الاستقصائية بوافر معلومات وبيانات وأفكار، ووسّع من دائرة الاستقصاء بحيث لم تعد تقتصر على الصحفي الحرفي فقط، بل أشركت المواطن العادي واحتوته.
6. **إمكانية التقييم النهائي من خلال الإعلام الجديد:** فحتى بعد أن ينجز الصحفي المتقصي تحقيقه، من الممكن أن يقوم بنشره باستخدام تقنيات الإعلام الجديد، والإفادة من تعليقات وتعقيبات القراء بهدف التأكد من شفافية المعلومات التي كشفها وصدقها، وتوظيفها في المتابعة، وتطوير التحقيق، أو الوصول إلى زوايا جديدة منه.
7. **التواصل بين الصحفيين وتبادل الخبرات:** وهذا الدور مهم جداً للصحفي العامل في مجال الصحافة الاستقصائية حيث يمكنه الانضمام إلى العديد من المجموعات الخاصة بهذا النوع من الصحافة سواء

في دولته أم في الوطن العربي أم على مستوى العالم، وهذا يتيح له التعرف على زملاء له من الوسط الصحفي من مختلف أنحاء العالم، ما يوسع معارفه ومداركه ومصادر معلوماته، ويعرّفه أيضاً إلى مراسلين جدد يمكن عن طريقهم إفادة مؤسسته الصحفية التي يعمل بها، ولعل التحقيقات متجاوزة الحدود خير توظيف لهذا القيمة.

8. **إمكانية الحصول على الأدلة والبراهين والإحصاءات والوثائق التي تخدم الفكرة:** حيث توفر أدوات الإعلام الجديد حقلاً خصباً للصحفي لتدعيم تحقيقه الاستقصائي بما يلزم من صور رقمية أو ملفات صوتية، أو ملفات فيديو، وأحياناً قد تأتي أفضل صورة لتحقيق صحفي ينجَز من أحد المتابعين، أو المشاركين على مواقع الإعلام الجديد مثل شبكة Facebook أو Twitter أو موقع YouTube، فلا يُتصور أن يتم إنجاز تحقيق استقصائي أو استكمالُه إلا بتوفر العديد من الإحصائيات والأرقام، وهو ما أصبح متاحاً بشكل أفضل في ظل تقنيات الإعلام الجديد والأرشفة الإلكترونية للبيانات والمعلومات ونشرها مع إمكانية توظيف خدمات الحاسوب لتحليل البيانات بشكل دقيق والاستنتاج العملي منها عبر أساليب بحثية وعلمية عالية الدقة والموضوعية.

تطبيقات الحاسوب في العمل الصحفي:

أهم تحديدات تطبيقات الحاسوب في العمل الصحفي لمساعدته في إنجاز عمله بشكل أكثر حرفية وتوثيقية تلك التي تناولها "رعد نشيوات"، ويمكن تلخيصها وإيجازها – بتصرف – عبر التالي:

1. البحث بأساليب فعالة عبر شبكة الإنترنت.
2. معرفة أدلة الإنترنت وأساليب العثور على المعلومات (الحديثة والقديمة: الملغاة والمخفية في شبكة الإنترنت).
3. أساليب العثور على معلومات ملكية مواقع الإنترنت حال حاول الملاك إخفاءها، والتي يجب التعامل معها من خلال المنظور الثلاثي (صحيحة/ خاطئة – خاصة/ عامة – محمية/ متاحة)، وعند الحديث عن هذا المجال فإن أهم سلاح لصحفي الإنترنت يمكّن من ذلك ما يُدعى بـ (WHO IS)، وينطلق مفهوم هذا السجل من إحدى حسنات الولايات المتحدة الأمريكية على شبكة الإنترنت العالمية، وخضوعها لوزارة التجارة الأمريكية، والمتعلقة باحترام الثقافة الأمريكية لحق توفير المعلومات للعامة، ومن هذا المنطلق أجبرت الوزارة توفير سجل مفصل لأصحاب ومرجعية ملكية مواقع الإنترنت، وتُحفظ جميع هذه المعلومات في سجل خاص يمكن لأي شخص أن يطلع عليه يدعى سجل "WHO IS"، ويمثل كنز معلومات لأي صحفي يقوم بتحقيق يشمل مواقع إنترنت، حيث يبين المالك الحقيقي للموقع

والجهة التي تقع خلفه.. ومن أشهر المواقع التي توفر هذه الخدمة موقع www.domaintools.com ويحتوي على:

- تاريخ تسجيل وانتهاء تسجيل اسم النطاق.
- المالك: الاسم، العنوان البريدي، عنوان الإيميل، رقم الهاتف، رقم الفاكس.
- المسؤول الإداري: العنوان البريدي، عنوان الإيميل، رقم الهاتف، رقم الفاكس.
- المسؤول التقني: العنوان البريدي، عنوان الإيميل، رقم الهاتف، رقم الفاكس.
- معلومات تقنية حول عنوان سيرفر استضافة الموقع.

وهو ما يوضحه الشكل التالي:



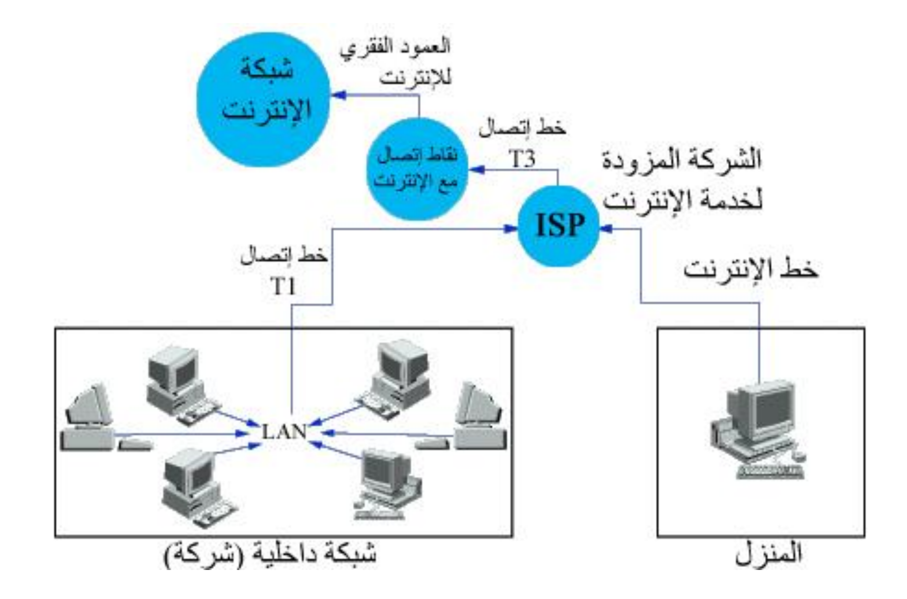
موقع www.domaintools.com للبحث عن سجلات مالكي مواقع الإنترنت

4. الأدلة الإلكترونية منجم ذهب: فعلى شبكة الإنترنت يتوفر دليل إلكتروني ضخم جداً يدعى "DMOZ"، وعنوان الموقع www.dmoz.org حيث يتكون من فهرست مبوب بمختلف المواضيع والقطاعات ليشمل ما يقارب أربعة ملايين موقع مصنفة من قبل 85 ألف محرر بشري، إذ يتم اختيار المواقع المدخلة إلى الدليل بانتقاء بشري، وليس عن طريق برنامج حاسوب بخوارزميات ذكاء صناعي، وبالتالي يفيد هذا الدليل الصحفيين عندما يريدون إجراء دراسات وتحقيقات حول موضوع معين، فمن يبحث في الموقع عن موضوع ما سيعثر على أقسام تصنف هذا الموضوع، ومواقع عدة متخصصة باللغة العربية والأجنبية، عن ذاك الموضوع.

5. أساليب المراقبة والتخفي على شبكة الإنترنت: ولمعرفة كيف تتم خطوات المراقبة على الإنترنت، وكيفية تلافيها، لا بد من إدراك أن هناك العديد من الجهات التي يمكنها مراقبة الاتصال بالإنترنت، والتجسس على الصحفي، ومنها:

- مسؤول الشبكة الداخلية لمكان العمل، أو مقهى الإنترنت الذي يوجد الصحفي فيه.
- الشركات المزوّدة لخدمة الإنترنت.
- الحكومة والأجهزة الأمنية.
- شركات الإنترنت الأجنبية التي يمر اتصال الصحفي عبرها.
- الشركة المستضيفة للموقع.
- صاحب الموقع.

وهذا ما يوضحه الشكل التالي من تسلسل الجهات القادرة على اختراق الصحفي عبر الإنترنت:



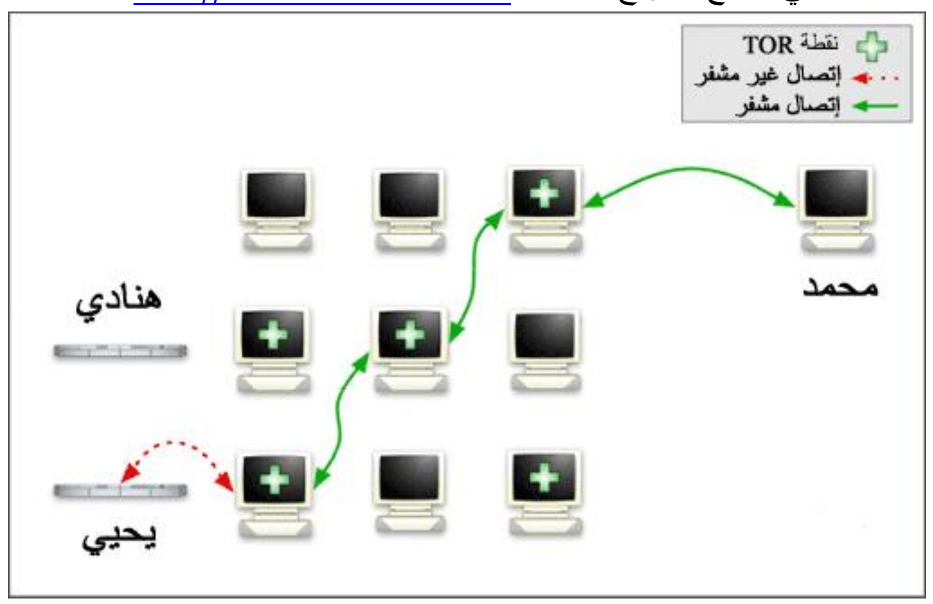
6. إن الحديث عن استخدام الحاسوب في التقصي لا بد أن يفضي إلى أهمية "أمن الحاسوب الإلكتروني": وهو حماية البيانات من الهيئات المختلفة الخاصة والحكومية أو من المعتدين، وهذه من أهم المهارات التي يتوجب على أي صحفي استقصائي امتلاكَها، فبإمكان أدوات المراقبة الحديثة قراءة كل ما على حاسوبك، وتشغيل هاتفك أو كاميرا اللابتوب، وتتبع خطواتك، والاستماع إلى محادثاتك، ما يزيد أهمية إدراك تعقيدات عمل التشفير واختراق الحاسوب، ومن هنا يتوجب التعامل مع برامج كسر التشفير وخرق الخصوصية ومنها برامج عديدة، لكن يبقى أهم برامجها "البروكسي" وهو عبارة عن برنامج يتم تركيبه

على سيرفر، يمتلك قدرة اتصال سريعةً بالإنترنت، ويقوم بتحويل السيرفر إلى بوابة اتصال للآخرين؛ حيث يصبح بإمكان زائر "البروكسي" أن يطلب منه إحضار صفحة ما من شبكة الإنترنت، وعندئذ يقوم بزيارة الصفحة، ومن ثم ينقلها إلى الزائر دون أن يكشف للموقع من هو الشخص الذي يطلب الصفحة، وإضافة إلى برنامج "البروكسي" يوجد العديد من أهم شركات حماية الخصوصية في العالم، وأشهرها:

- Domains By Proxy.
- Who is Privacy Protection Service.
- Who is Guard Moniker Privacy Protection.
- 1&1 Private Registeration.
- BlueHost.com Domain Privacy.
- Myprivateregisteration.com.
- Global Internet Private Registeration.
- Protected Domain Services.
- Takebackprivacy.net.
- Dreamhost Private Registeration.
- Domain Discreet.
- Privacy Post.
- Network Solutions Private Registeration.
- Contactprivacy.com.

7. مشاريع حماية الخصوصية عند الإبحار في شبكة الإنترنت: وأشهرها مشروع "TOR" الذي يتكون من شبكة واسعة من مختلف أنواع مستخدمي الإنترنت يقومون بتوفير أجهزتهم كنقاط عبور، تمكّن المستخدمين الآخرين من استخدامها دون تعريض ما يقومون به على شبكة الإنترنت لخطر التجسس، ويُرقّم هذا البرنامج الموجود على جهاز صحفي (1) (يدعى افتراضياً محمد في مثال الصورة المقدمة عبر كتاب رعد منير نشيوات"، دليل الحاسوب والإنترنت في العمل الصحفي) **بطلب قائمة بمجموعة أجهزة** TOR توفر إمكانية الاتصال عبرها من إحدى سيرفرات TOR المسؤولة عن تسجيل الأجهزة، ومن بعدها يقوم البرنامج باختيار أول نقطة اتصال، فيرسل الطلب لها مشفراً ما يحمي الاتصال من التجسس، ومن ثم يقوم الجهاز الذي وصله الطلب باختيار جهاز عشوائي آخر ليرسل الطلب من خلاله، وتستمر العملية هكذا حيث يمر الطلب بعدد عشوائي من الأجهزة (لا يتجاوز خمس أجهزة) قبل أن يقوم

آخر جهاز استلم طلب الاتصال بالموقع الهدف، وطلب الصفحة منه، ومن بعدها يعود الطلب مشفراً من الطريق نفسه الذي أتى بها، وفي كل اتصال إنترنت يقوم به جهاز "الصحفي/ محمد" يتم اختيار طريق عشوائي جديد لحماية سرية اتصاله فلا يعاد استخدام وصلة TOR التي تم استخدامها في اتصال سابق مرة أخرى، وهكذا يضمن الشخص أن الصفحة الأولى التي رآها في الموقع أتت عبر بلد (بقارة أخرى كإفريقيا) بينما كانت الصفحة الثانية عبر قارة أخرى (كأوروبا)، أما الثالثة فعبر (آسيا) وهكذا.. وهذا ما يوضحه الشكل التالي لموقع مشروع TOR: http://www.torproject.org:

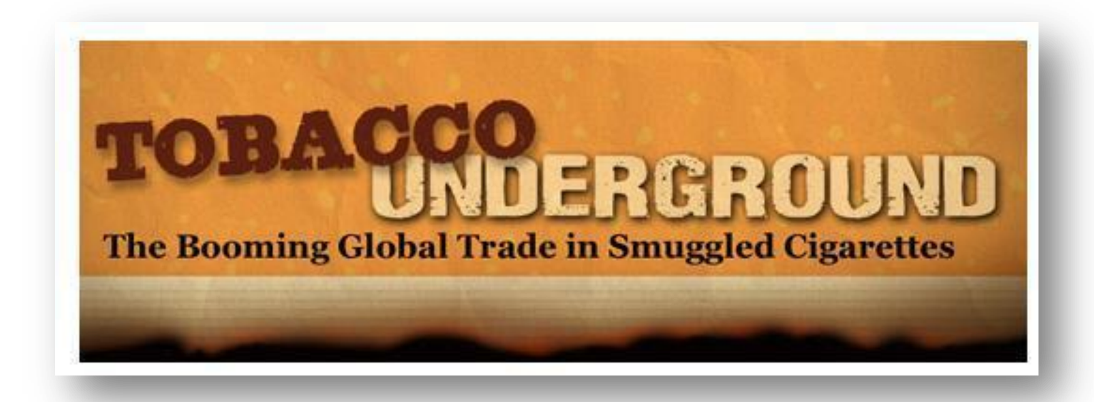


مثال عن آلية عمل مشروع TOR لحماية الخصوصية وتضليل التعقب من خطر التجسس عند دخول الإنترنت

8. استخدام برنامج "إكسل" للجداول الحسابية كجزء أساسي من عملية توظيف الحاسوب في العمل الصحفي: فأي تحقيق صحفي لا تكاد رحلته تخلو من استخدام برنامج "إكسل" أو برنامج مشابه لتحليل النتائج والأرقام.
9. استيراد البيانات من مواقع الإنترنت المختلفة ثم تنظيف هذه البيانات من المعلومات الزائدة.
10. حماية الملفات أمام العيون المتلصصة وأساليب وخدمات تخزين الملفات المهمة للصحفي من العبث والضياع.
11. تشفير البيانات والملفات وفك التشفير وطريقة عملهما من ناحية عملية إضافة إلى تقنيات كسر التشفير من دون معرفة كلمات السر مثل هجمات القاموس، والقوة الفائقة والهجمات الهجينة، وصولاً إلى تشفير الحاسوب المحمول للصحفي لوقايته باستخدام برنامج "True Crypt".

سابعاً: الصحافة الاستقصائية في عصر التكنولوجيا والتطور السريع للحواسيب

تؤكد "جيسكا وايز Jessica Weiss" الصحفية المستقلة من "بوغوتا".أنه "في العصر الحالي – زمن الإنترنت – يمر التحقيق الاستقصائي بفترة تجديد وتنشيط، فبعدما كان الصحفيون الذين يكشفون الأسرار والفضائح يعملون بمفردهم، حاملين معهم دفتر الملاحظات، أو جهاز التسجيل فقط، فإن كثيراً من الصحفيين الاستقصائيين الآن يعملون بالتعاون مع شبكات إقليمية أو دولية، وتساعدهم التكنولوجيا الحديثة والمعدات التي تعمل بدورها على تغيير وجه العمل الصحفي"، والتي تنقل عن "مارينا ووكر جيفارا" العاملة في الاتحاد الدولي للصحفيين الاستقصائيين (ICIJ) أن "فكرة الصحفي الاستقصائي وهو يعمل وحده في ركن منعزل في مكان ما من العالم لا تمت للواقع بصلة الآن".. لهذا تعامل الاتحاد مع "22" صحفياً من أربع عشرة دولة في التحقيق الذي نُشر مؤخراً عن تجارة التبغ غير المشروعة حول العالم، وحسبما نُشر على الموقع الإلكتروني للاتحاد، فبالتعامل مع مثل هذا الفريق تمكّن الصحفيون من تغطية الموضوع بدءاً من المزورين في الصين، والمصانع في روسيا، إلى محميات الهنود الحمر في نيويورك، وأمراء الحرب في باكستان وشمال إفريقيا، وخلال مدة التحقيق – التي استمرت ثلاثة عشر شهراً – اعتمد الفريق الصحفي على موقع إلكتروني مؤمّن على الإنترنت للعمل والمناقشة وتبادل الوثائق والصور والفيديو والتحرير، كما استطاع العمل الذي أُطلق عليه: "التبغ تحت الأرض" أن يكشف عن تجارة غير مشروعة لتهريب التبغ تُقدر بمليارات عدة من الدولارات، وتقوم بتمويل الجرائم والفساد والإرهاب، وتروج لما يضر بالصحة حول العالم.. وكل ما توصل إليه فريق العمل الصحفي من معلومات موجود في صيغة ملف مجهز بواسطة وسائط متعددة، ومعلومات مأخوذة من وثائق عامة، ومصادر مطلعة، وتسجيلات أُخذت من قبل صحفيين في الاتحاد.



ملف التحقيق الاستقصائي الذي رعاه الاتحاد الدولي للصحفيين الاستقصائيين: "التبغ تحت الأرض"

ويقول "جن" إنه بسبب طبيعة القصة والشخوص داخلها والتعقيدات فيها، فإن الوسائط المتعددة استُخدمت على أنها أحدُ المكونات الرئيسية في العمل منذ البداية، ويضيف "التحدي الدائم في الصحافة الاستقصائية هو جمع المعلومات الكثيرة، وفي هذه الحالة كانت المعلومات المجمّعة عن سوق سوداء للسجائر المهربة تُقدر بـ 600 مليار دولار، ناهيك عن تصنيف هذه المعلومات وتقنينها بصورة تمكِّن شخصاً جالساً أمام الكومبيوتر من الوصول إليها واستيعابها"، ومع ذلك فسيجد القارئ في "التبغ تحت الأرض" قصصاً وتقارير تحوي على 4000 أو 5000 كلمة مكتوبة بالأسلوب الاستقصائي التقليدي، وقد قامت صحف عديدة حول العالم بترجمة القصة ونشرها، كما يمكن الحصول على التقرير في شكل كتاب إلكتروني؛ لذا تقول "جيفارا": "نعتقد أن التكنولوجيا عظيمة، وقد حاولنا استخدام ما كان متاحاً لنا في "التبغ تحت الأرض"، لكن ما جعل القصة ممكنة هو أن هؤلاء الصحفيين يعرفون أدواتهم، ولديهم مصادرهم، ويستطيعون فتح الأبواب الموصدة".

وتعقيباً على ذلك يقول "كابلان" الذي لديه 30 سنة خبرة في الصحافة الاستقصائية حول العالم إن على الصحفيين الاستقصائيين استخدامَ التكنولوجيا "كعنصر مكمِّل" لأن الكثير من المصادر بدأت بالاختفاء، ويكرِّس الاتحاد الدولي للصحفيين الاستقصائيين حالياً مصادر كثيرة لخدمة مشروع UJIMA، وهو مجموعة من القواعد البيانية والوثائق والمعلومات متوفرة للصحفيين في إفريقيا فقط حالياً، وحالما يُصدَّر المشروع عالمياً سيكون بإمكان الصحفيين حول العالم الحصول على معلومات عن تسجيلات العملاء الأجانب ووثائق بيع الأسلحة، وعقود التنمية، ومعلومات من الأمم المتحدة، وكل ذلك عن طريق بحث بسيط على الإنترنت.. وهذا ما يسِمه "كابلان" بالقول: "أصبحت غرف الأخبار أصغر ومنافذ الأخبار أصغر، ولم يعد لدينا المصادر التي كانت متوفرة في السابق، ولكن لدينا الآن شيء رائع لم نكن نملكه في السابق، وهو الأدوات والتقنيات المتوفرة حالياً". وقد حصل الاتحاد على تكريم عن "التبغ تحت الأرض" خلال توزيع جوائز "تايت–باتن" للإبداع في الصحافة، والذي أقيم في واشنطن بفضل إلقاء القصة الضوء على تهريب السجائر حول العالم، ولفتت انتباه الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية ووفودَ الدول المشاركة.

وعلى الرغم من التقنيات المتعددة في التحقيق إلا أن هذا دفع "كابلان" للقول: "حتى مع الطرق الجديدة لجمع المعلومات تبقى الصحافة الاستقصائية كحرفة مرتكزة على المبادئ نفسها التي بُنيت عليها، وتتطلب المهارات ذاتَها مثلاً كيفية التفكير المنتظم في كتابة القصة، وإيجادُ مصادر عدة للمعلومات، والتمحيصُ في الوثائق العامة، وإجراء اللقاءات، وتتبع الخيوط الدالة على الشخوص والتمويل"، وعليه يقارن "كابلان" الصحفيين الاستقصائيين بـ "رجال الشرطة المخلصين ورجال العدل الشرفاء" الذين يتمنَّون أن يتركوا العالم على شكل أفضل

مما وجدوه وذلك بقوله: "نغوص في أعماق المواضيع الشائكة، ونحاول النظر فيما إذا كان الناس الذين يملكون السلطة والقوة يطبقونها بمسؤولية، وهذه هي الطريقة المثلى للتحقيق".

ثامناً: أدوات أتاحها استخدام الحاسوب وتوظيف الإنترنت في العمل الاستقصائي

لقد أتاح تنشيط الصحافة الاستقصائية في عصر التكنولوجيا والتطور السريع العديد من الأدوات للصحفيين الاستقصائيين يمدهم بها التطور التكنولوجي، فكل يوم يطالعنا هواة التكنولوجيا، ومحبو الخدمات عبر الإنترنت بأدوات جديدة يمكن توظيفها في رحلة البحث عن الحقيقة، فمنها ما يرتبط بالمواقع نفسها كخدمة "أنابيب ياهو" "Yahoo Pipe" التي قدمها "ياهو" كبرنامج يفيد في التقصي حيث يجمع المعلومات عبر أنابيب، ويسدلها كلها في إيميل الصحفي بمجرد أن زوّد البرنامج بكلمات مفتاحية خاصة بتقصيه، لتقول له وتمدَّه بكل ما يُنشر حول الموضوع المستقصى حوله، أو ببرامج تعهدها جهات أو مؤسسات نورد منها أهم ما عرفه الاتحاد الدولي للصحافة الاستقصائية وشبكات التقصي الدولية:

1. أداة دقق ديسك التقصي، "Check Desk": Social Media Fact-checking:

هي أداة مصدر مفتوح كأدوات تدقيق حقائق التواصل الاجتماعي، وهي متاحة على موقع **jinet** الشبكة الاستقصائية الدولية، وقد وُضعت (للتشاركيات)، فحين تشارك الآخرين في تدقيق معلومة (غير سرية) قد يكون هذا مفيداً، أما دواعي الحاجة إليها فتتجلى بالربط بين المواطنين في الصحافة الجديدة الذين يصبحون يعملون مع القرّاء والبرامج ما يحقق التالي:

1) الإنسان العادي دائماً يشكل مصادر للصحافة الاستقصائية.
2) القصص الاستقصائية مثل الإخبارية تُبنى دائماً على تطور زمني.
3) الصحافة الاستقصائية ممارسة تعني إيجاد مصادر وخلق صلات.

ولعل هذا يترافق في أهميته مع **دليل** "**المرشد في التدقيق**" **من تحرير** "**غريغ سلرفمان**" الذي أصدره مركز الصحافة الأوروبي، ويقدم توجيهات تدريجية حول أدوات وتقنيات التعامل المضمون المستخدَم في حالات الطوارئ مع تركيز خاص لتدقيق المضامين المضلِّلة والزائفة التي يتداولها الإعلام الاجتماعي، ويمكن تحميله من الموقع: "http//:verificationhandbook.com"

من جانبها تشكل **شبكة التعاون عبر الحدود (cross-border networking)** طريقة فعالة أيضاً لإجراء التحقيقات، ويُذكر هنا أن شبكة "أريج" نشرت أول تحقيق لها عن طريق شبكة التعاون عبر الحدود (2014)، وقد نفّذ هذا التقرير مراسلان في الصحيفة المصرية "المصري اليوم" قاما بالكشف عن ثروة حسين سالم، الملياردير صاحب الاستثمارات في مجال النفط والغاز في مصر، واليد اليمنى للرئيس السابق حسني مبارك،

وكان هذا جزءاً من تحقيق "التسريبات السويسرية" الذي نال جائزة أفضل تحقيق استقصائي على مستوى العالم في ملتقى برشلونة 2015، وعليه لم يعد هناك أي حدود زمنية ومكانية للاستقصاء في زمن الإنترنت، ولاسيما إذا كان مهنياً وقانونياً، ويصب في خدمة الصالح العام، ولا يقوم على نوايا مبيتة وعواطف شخصية، وخصوصاً أن شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) تقدم خدمات فائقة في هذا المجال، يضاف إليها ما تقدمه الوسائل التقنية الحديثة كالبريد الإلكتروني والكاميرات الرقمية وآلات التسجيل، والاتصال الحديث.

كما ظهر في الفترة الأخيرة لوحة البيانات الإكترونية، وهي عبارة عن جهاز ثوري صممه "بول رادو" المدير التنفيذي في مشروع تقرير الجريمة المنظمة والفساد (OCCRP)، ويشكل هذا المشروع مساحة رقمية تسمح للصحفيين بالولوج إلى قواعد البيانات، والمستندات الإلكترونية الخاصة بالشركة للحصول على المعلومات والمصادر؛ لذلك يقال إن لوحة البيانات الإلكترونية هذه ستشكل عاملاً أساسياً للتحقيق عبر شبكة التعاون العابر الحدود.

ولن يتوقف الحال عند ذلك بل سيتسمر تدريب الصحفيين باستخدام أدوات الوسائط المتعددة، لتعزيز فعالية التحقيقات التي يجرونها، كما ستُعزَّز منصات جديدة للأبحاث بغية الغوص أكثر عمقاً في القصص.. إضافة إلى ذلك يظهر مشروع آخر يدعى "قرصنة القراصنة" (Hack the Hackers) من شأنه أن يساعد على حماية المصادر الرقمية الحساسة والمهمة.

2. أداة موقع Detective.io:

يساعد الصحفيين الاستقصائيين على توسيع دائرة علاقاتهم، وهو منصة جديدة للشبكة الاستقصائية الدولية على Detective.io، حيث تعرض:

- شبكة العلاقات المفيدة لقصص التحقيقات الاستقصائية.
- وكيفية استهلاك وسائل الإعلام في العصر الرقمي.
- وكيف تحشد الإذاعة الوطنية العامة (NPR) التمويل الجماعي للتقرير الاستقصائي في "الخلطة الإعلامية الرقمية" التي ينتجها مركز المساعدة الإعلامية الدولية.

حيث أطلق محقق "io" كمنصة لبيانات التحقيقات، وهو أيضاً بمثابة مشروع مفتوح المصدر من صحافة البيانات القائمة على المجهود الجماعي، والتي تسمح للمستخدمين بتحميل البيانات، ثم البحث عن العلاقات التي تربط الأشخاص ببعضهم البعض، ويمكن تحميلها عبر : Journalism.co.uk.

لقد جاء طرح هذه المنصة مع تزايد الحديث عن مستقبل وسائل الإعلام الرقمية حيث استضافت "ذا بولد إيتاليك" و"الجمعية العامة" و"صور غيتي" مجتمعين المنصّة الرقمية: وسائل الإعلام الرقمية، وهي عبارة عن نقاش حول مستقبل الصحافة وتغطياتها، والاستهلاك الإعلامي في العصر الرقمي، وخلَصت إلى وجوب وجود سلسلة خاصة من التمويل الجماعي للإعلام حيث اعتماد دعم فرضية التقرير الاستقصائي الأخير من فريق الإذاعة الوطنية العامة، "كوكب المال" الذي يعدّ في الواقع مدرسة قديمة جداً، باعتباره يقوم على تتبع المنتج من البداية إلى النهاية، لكن تراكم رغبة التمويل المالي هي الفكرة المبتكرة الأساس للمنصة الرقمية.

3. أداة "Bellingcat":

تساعد على الاستقصاء عبر الصور والخرائط والفيديوهات والأقمار الصناعية، أسس الصحفي "إليوت هينز Eliot Higgins" هذا الموقع لتحقيق أبعاد عدة حتى وُسم باسم مدونته، فهو يسعى إلى:

- تعليم الناس كيفية التحقق من المعلومات على الإنترنت.
- كما يسعى إلى تعليم الاستقصائيين كيفية التقصي عبر صور الشبكة وخرائطها والفيديوهات المنشورة عليها.

حتى أُطلق عليه لقب "صحفي الكنبة" – كما ذُكر سابقاً – ومن هنا تقول "جيسكا وايز Jessica Weiss" بدت خلفية المشهد للكثيرين الذين شاهدوا صوراً عن فيديو مقتل الصحفي الأميركي جيمس فولي شهر آب/ أغسطس 2014 وكأنها صحراء قاحلة، لكن هينز المؤسس البريطاني للموقع الصحفي "بيلانغكات" لاحظ أدلة تشير إلى مكان الحادث وزمانه تحديداً حيث أصدر تحليلَه المعمّق للموقع الذي شوهد في الفيديو، والذي يعود إلى نقطة في تلال الرقة (معقل الدولة الإسلامية في شمال وسط سورية) وعليه بهرت هذه التقنية عدداً غير قليل من المعجبين على وسائل الإعلام الاجتماعية، ومن هنا كتب عنها باتريك ماير على تويتر: "عمل مبهر للمباحث الرقمية"، فيما وصفها مايكل دواير بإنها صحافة استقصائية ثاقبة بشكل مذهل.

وعلى الرغم من أن هينز لم يكن صحفياً سابقاً، ولا يتكلم العربية، وليس لديه معرفة خاصة أو خبرة معينة مع هذه التكنولوجيا التي أثبتت قوة الأدوات مفتوحة المصدر في العصر الرقمي، لكنه قدم درساً في كيفية توظيف واستخدام المصادر المفتوحة كمواد يمكن للجميع الوصول إليها، مثل الصور على الإنترنت والفيديوهات المحملة، وتحديثات وسائل الإعلام الاجتماعية، ليجمع المعلومات ويتحقق من التفاصيل التي يمكن لوكالات الأنباء أن تكون قد أغفلتها علماً أن "إليوت" عندما بدأ بمتابعة أحداث الحرب السورية (2012) كان عاطلاً عن العمل، ويقوم برعاية طفله في المنزل، وقد عمل سابقاً في مجال التمويل والإدارة، ووفقاً لسيرته الذاتية التي تعود

إلى عام 2013 في مجلة "ذا نيويوركر" أطلق مدونته تحت عنوان "براون موزز" تيمناً بأغنية "لفرانك زابا" محاولاً فهم الكم الهائل من المعلومات المتعلقة بالنزاع التي تُنشر على الإنترنت.

في البداية، كانت مجموعة منتقاة من الفيديوهات ومن الانفجارات والاحتجاجات في الشوارع، ثم استطاع الذهاب أعمق من ذلك، فطرحَ الأسئلة ووثّق المعلومات بمصادر على الإنترنت، واستعان بالحشود عندما لم يستطع فهم الأمور من تلقاء نفسه، وكَبُر جمهوره في وقت قصير حتى اعتُبر خبيراً تلجأ إلى موقعه كبريات المحطات العالمية مثل "سي إن إن" إلى جانب صحف كبرى حول العالم تستعين به، حتى وصفته الصفحة الثامنة في مجلة نيويوركر بأنه "ربما خبير من المقام الأول في الذخائر المستخدمة في الحروب".

إن تطور توظيف المصادر المفتوحة في التحقيق الاستقصائي عبر استخدام الإنترنت كان نتيجة تطورين متداخلين على وجه الخصوص هما اللذين أثرا بشكل كبير على نمو ذكاء المصدر المفتوح، حسب الموقع الإخباري الأسترالي "The Conversation" وهما:

- الانفجار أو الانتشار الكبير للإعلام الاجتماعي.
- ونمو البيانات الكبيرة.

وكلاهما يعبّر عنهما بوضوح العملُ الذي قدمه هينز.

إن قوة المواقع كالتي يقدمها Bellingcat تأتي من التقديرات الأولية لحجم المعلومات المتوافرة على شبكة الإنترنت، حيث يوجد نحو 1200 (إكسا بايت) من البيانات موجودة الآن في العالم، كما تم بناء 90٪ منها في العامين الماضيين، وكل دقيقة يتم تحميل أكثر من 100 ساعة من الفيديوهات على موقع يوتيوب، وبالتالي ليس غريباً أن تقول صحيفة "The Conversation" إن هذا المجتمع المتشابك ولّد نهجاً وفرصاً تحليلية جديدة،، من خلال لعب الأشخاص دور الشرطة لمكافحة الإرهاب وصولاً إلى الحرب الأهلية؛ لذا من الممكن أن توفر المعلومات المستقاة من المصادر المفتوحة نظرة ثاقبة للأحداث العالمية، كما لم يحدث من قبل، لكن هذا لا يعني أنه من السهل فك الرموز أو شرح ذلك، وهذا هو السبب في إطلاق مشروع Bellingcat حيث يُكرّس لتعليم الآخرين كيفية القيام بما يفعله "هينز"، وذلك من خلال الصحفيين الاستقصائيين ولأجلهم، فهو يسعى إلى توحيد المواطنين الصحفيين الاستقصائيين، وتعريفهم على الأدوات والتقنيات المتاحة للتحقيق في استخدام المعلومات مفتوحة المصدر للإبلاغ والتغطية، إضافة إلى تقديم دروس حول أفضل السبل للقيام بذلك، وكذلك الحال قابلية إشراك الناس في التحقيقات، إلى جانب تضمين الموقع بمقابلات مع مصممي التكنولوجيا لكي تسنح الفرصة للناس من التعلم مباشرةً من المطورين، وفقًا لـ "فايس".

4. أداة "داتا إن":

تساعد على تعلم صحافة البيانات وتدريب "المظلة" القديم في إطارها، وتعرّف "داتا" بأنها حزمة تدريبية مخصصة لتعلم صحافة البيانات، وقد صُمِّمت لتُلائم احتياجات الغرف الإخبارية المُحتَدِمة، والاحتياجات الاستقصائية، والأساليب المتنوعة من السرد القصصي، وقد طُورت بفضل "كوانج كنج كويك سير" العضو في مركز "تو نايت" للريادة الصحفية حيث تغطي الحزمة أساسيات عدة مثل: "إيجاد البيانات وتنظيفها، أو تصفيتها وتحويلها إلى صور مرئية، إضافة إلى أدوات سرد القصص بطريقة تفاعلية من قبيل تايم لاين جي إس (Timeline.JS) وغيرها".

ولتصميم كل حزمة يقوم "كويك" بمسح مبدئي للمستخدم ليوافق ما بين الأدوات والتدريبات الضرورية للتغطيات الصحفية، كما يخطط للمتابعة مع جميع الموظفين الذين تم تدريبهم لدعمهم بعد التدريب للتغلب على ما يُشار إليه بأنه تدريب "مقاس واحد يناسب الجميع" أو "تدريب المظلة" حيث يأتي المدربون والمتدربون ويذهبون من دون نتائج ثابتة وقابلة للتطبيق، كما يقدم نصائح رئيسية مجانية ومصادر من خلال الموقع.

طوّر "كويك" الفكرة في البداية كطالب في استوديو "إن واي يو 20" حيث عمِل بالاشتراك مع مجلة السياسات الخارجية لتطوير المواد التدريبية والأدلة التعليمية للعاملين لديها على مدى شهور ثلاثة، آمن خلالها بقدرته على توسيع هذا المشروع، لتطوير الغرف المعلوماتية حول العالم.

وخلال فترة المهمة التي تسلمها في زمالة "تو نايت" حصل "كويك" على فرصة لتجربة هذه الفكرة عاملاً على "داتا إن" خلال أربعة شهور، بعدما عمل مسبّقاً في الغرف الإخبارية مدة ثماني سنوات، ومع خلفيته في الهندسة الكيميائية ومعرفته بالإحصاء أصبح يُعرف تلقائياً على أنه "رجل البيانات"، وحسب تصريحه لشبكة الصحفيين الدوليين يرى أن السؤال الأول للعاملين في إطار المعلومات هو: "لا نملك حتى المعلومات المفتوحة التي تخصّ الحكومة، وبالتالي كيف نستطيع العمل في صحافة البيانات؟" لكن في العديد من الدول يمكن عادةً إيجاد مصادر بديلة للحصول على المعلومات مثل المنظمات غير الربحية والجامعات والباحثين، والهيئات المهنية أو المؤسسات الدولية، ليبقى الأهم قياس هل يعرف الصحفيون كيفية استخدام هذه البيانات للفائدة العامة؟ كما يجب استهداف الغرف الإخبارية التي ترغب في المزيد من السرد القصصي بطريقة تفاعلية تواجه فيها التنافس مع الإعلام الاجتماعي، ومواقع أخرى دائمة الوجود عبر الإنترنت ما يتطلب أن يكون المحتوى الخاص به أكثر تفاعلاً وإبداعياً.. فثمة العديد من الأدوات والمهارات في صحافة البيانات لجعل رواية القصص أكثر ابتكاراً، إلى جانب تعليم كيف ينشأ الرسم البياني للبيانات والمعلومات والحقائق والمعلومات.

وحول مستقبل "داتا إن" يرى "كويك" أنه بفضل هذه التقنيات سيحظى جميع صحفيي البيانات والمصممين والمبرمجين على منصة لتبادل الأفكار والعمل معاً في تعاون يمتد عبر الحدود، فصحافة البيانات في الولايات

المتحدة وأوروبا تشكل أمراً كبيراً وهي الكلمة الرنانة التي تأخذ رواجاً مذهلاً، لكن في دول آسيا النامية لاتزال أمراً جديداً تُحصر بالرسومات المعلوماتية أو ما يُعرف بالإنفوغرافيكس، بل على العكس ستكون المنصة قوة جبارة لتوفير البيانات وتشجيع مزيد من الشفافية في ذلك الجزء من العالم.

وللتبحر أكثر في صحافة البيانات نعرض فيما يلي عناصر فريق العمل في صحافة البيانات: فالعمل الصحفي تحول من عمل فردي إلى جماعي، وبالتالي أصبح فريق العمل في وحدات صحافة البيانات يتطلّب الدمج بين ثلاث مهارات مختلفة تتوفر على الأغلب في ثلاثة أشخاص هم:

- **صحفي يجيد استخدام الحاسوب:** وهو الصحفي القادر على جمع البيانات عبر مصادر مختلفة، وتنظيمها في هيئة قواعد وجداول بيانات باستخدام تطبيقات الحاسوب التي تجعل البيانات أكثر سهولة مع إمكانية تحليلها، وعادةً يبدأ هذا الشخص كمحرر صحفي، ثم يثقل مهاراته من خلال التدريبات التي تضيف إليه هذه الخبرات في التعامل مع الحاسوب، فيصبح وجودُه في فريق عمل صحافة البيانات ضرورياً لقدرته على التعامل مع البيانات وتنظيمها.
- **مطور البرمجيات:** وهو شخص يجيد مهارات كتابة "الكودات البرمجية" المختلفة، وتتركز مهمته على تطوير أفضل السبل لجعل البيانات الضخمة متاحة وسهلة الاستخدام لمستخدمي الإنترنت، كوضعها في صورة خرائط، أو ملفات تفاعلية، يسهُل للقارئ الاطلاع عليها، كما يعمل أيضاً على توفير التطبيقات التي تسهّل فهم الصحفيين للبيانات، وتساعدهم في تحليلها وتنظيمها.
- **مصمم البيانات:** كانت وكالات الأنباء تعتمد على الرسامين لخلق رسوم ثابتة تُرفق مع القصص الصحفية، ولم تكن تلك الرسومات قائمة على البيانات بل كان أغلبها يأخذ طابع الكاريكاتير، وهو ما يختلف عن مصمم البيانات الذي يضع التصور البصري المختزل للبيانات في صورة جاذبة للقارئ، ويجعلها مناسبة للنشر على المواقع الإلكترونية، لتتناسب تفاعل القارئ معها بالنقر، ولتسهم بمزيد من اكتشاف بيانات أكثر.

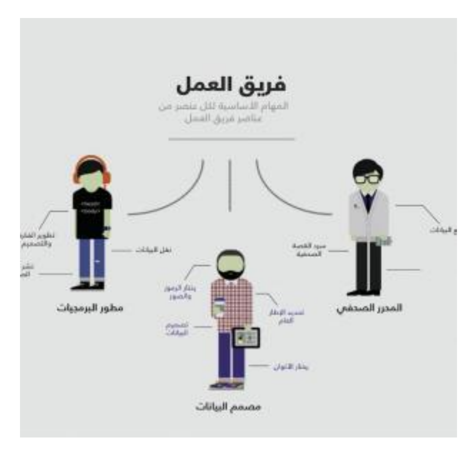
وعموماً يسعى فريق عمل صحافة البيانات إلى تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية هي: تمكين القارئ من اكتشاف معلومات ذات صلة بحياته الشخصية، إضافة إلى الكشف عن معلومات مثيرة للانتباه وغير معروفة مسبّقاً، فضلاً عن مساعدة القارئ في فهم القضايا المعقدة.

وكأمثلة لقياس مردود فرق صحافة البيانات، نشرَ فريق العمل في وحدة صحافة البيانات بموقع بي بي سي/ المكون من 20 شخصاً بينهم صحفيون من التخصصات كافة، إضافة إلى مصممين ومطوري برمجيات عام 1999 نشروا معلوماتٍ عن المدارس الحكومية في المملكة البريطانية المتحدة حيث تمكّن زوار الموقع من الطلاب معرفة مدرستهم عن طريق إدخال الرمز البريدي، كما قدم قصة أخرى تضمنت أسماء الأشخاص الذين

توفوا في حوادث الطرق خلال عقد من الزمن على مستوى المملكة، وهذا كله يمكن أن يشكل قاعدة بيانات ومصادر مفتوحة للاستقصائيين.

من جهته يعتمد فريق العمل في صحيفة الغارديان – التي تعد من أقدم المؤسسات الصحفية المهتمة بصحافة البيانات – التطبيقات الجاهزة كخدمات غوغل لرسم الخرائط والجداول، ونشر قصص صحفية سريعة، كما يعتمد أيضاً على فريق من المطورين المتخصصين للتعامل مع البيانات الأكثر تعقيداً ونشرها في صورة جذابة تساعد القارئ على فهمها، علماً أنهم يركزون أكثر على البيانات الحكومية التي تكشف الفساد في دوائر السلطة، وكذلك الأرقام المتعلقة بالخزينة العامة لشرح وكشف كيف تُدار أموال دافعي الضرائب، كما ساعد موقع الصحيفة في نشر العديد من التقارير حول تدخل الجيش البريطاني في الحرب على العراق ما أسهم في تعزيز الشفافية، وجعل المواطن أكثر دراية بالشؤون السياسية والمالية في الدولة (وهو هدف الصحافة الاستقصائية وجل غايتها).

وخلاصةً توضح الصورة المقترحة من كتاب "أساسيات صحافة البيانات" الصادر عن موقع إنفوتايمز مكونات فريق صحافة البيانات:



مكونات فريق صحافة البيانات

5. أدوات "Highlights" و"Meerkat" و"Curator":



تستخدم لجمع التغريدات على تويتر ورفع وبث مقاطع الفيديو ما يمكن أن يشكل مصادر مفتوحة للاستقصائيين، وتقدم شبكات التواصل الاجتماعي دائماً أدوات جديدة من شأنها مساعدة الصحفيين في الوصول إلى المعلومات، ووسائل الإعلام في تقديم الأخبار بسرعة وسهولة أكبر للوصول إلى جمهورها بأقل مجهود ممكن، وخصوصاً أن هذه المواقع

تزدهر يوماً بعد آخر، ودائماً تفاجئ متابعيها بجديد الابتكارات التي تُحدث الكثير من التغييرات في طريقة عمل الصحفيين ووسائل الإعلام على حد سواء، ومنها يَجمع "سفيان سعودي" أهم ثلاث ميزات وأدوات فريدة مخصصة لخدمة وسائل الإعلام والصحفيين انطلاقاً مما تقدمه إدارة موقع تويتر والقائمون على إصدار منتجاته الذين يُعدون في أوج نشاطهم الابتكاري:

- **ميزة Highlights أهم التغريدات في مكان واحد:** حيث تعد ميزة "هايلايتس" آخر الابتكارات التي أعلنت عنها تويتر، وتوفر للمستخدمين ملخصاً يومياً لأفضل التغريدات إذ تهدف تويتر حسب مدونتها الرسمية من هذه الخدمة إلى مساعدة مستخدميها للحصول على إفادة قصوى من موقعها مهما كان الوقت الذي يتم تخصيصه لتصفح التغريدات، وقد شملت التدوينة التي عرضت هذه الميزة إشارة واضحة بأنها تشمل فقط مستخدمي تطبيق تويتر على الأندرويد، بينما سيتم تعميمها مستقبلاً على باقي أنظمة التشغيل، كما شملت أيضاً شرحاً حول تنبيهات المحمول، ثم تحديد المربع الصغير أمام Highlights، وبعدها سيتمكن المستخدم من الحصول على ملخص مرتين يومياً يشمل أهم التغريدات المشاركة، وهكذا من المنتظر أن توفر هذه الميزة خدمة للصحفيين بحيث ستوفر عليهم مجهود البحث عن التغريدات الأقوى والمميزة التي فاتتهم في وقت غيابهم، وبالتالي ستعرض لهم بشكل آلي أهم ما تم تداوله من أحداث وأخبار لمشاهير وشخصيات عمومية، وكذلك حسابات وسائل الإعلام تلقائياً.
- **Meerkat تطبيقك للبث الحي وعرض مقاطع الفيديو:** وهي ميزة تخص مستخدمي "آبل" ومنطلقها عبارة عن تطبيق مجاني لرفع وبث مقاطع الفيديو على تويتر، بحيث يقدم هذا التطبيق مجموعة من الأدوات التي تمكّن من بث ورفع ملفات فيديو إلى المتابعين بطريقة سلسة وبسيطة، ويتميز التطبيق بكونه يتيح إمكانية رفع الفيديو أو البث المباشر للأحداث والفعاليات عبر التويتر فقط من خلال الضغط على زر Stream داخل التطبيق، كما أنه يرسل إشعارات تلقائية للأصدقاء الذين يمتلكون التطبيق نفسه على أجهزتهم ليخبرهم بأنك بدأت ببث مباشر أو نشرت فيديو، وهو ما يتيح الوصول إلى أكبر عدد من المتابعين للمحتوى المرئي الذي تعرضه.. والفريد في هذا التطبيق هو أنه سيمكّن متابعيك من مشاهدة الفيديو أو البث المباشر لمرة واحدة فقط، ولن يتمكنوا من إعادة مشاهدته كاملاً أو حتى جزء منه، وهو ما سيضمن مزيداً من الخصوصية علماً أن البث أو الفيديو لن يتم رفعه على أي سيرفر تابع للتطبيق.
- **Curator لتجميع التغريدات:** هي أداة خاصة بوسائل الإعلام، وأجدد الطرق لعرض محتوى التغريدات الإخبارية، وفيديوهات من خدمة "فاين" مستهدِفة بذلك وسائل الإعلام والصحفيين، ومانحةً إياهم فرصة جمع أهم التغريدات والفيديوهات حول مواضيع محددة، وتنفيذَ عمليات بحث متقدمة للحصول على نتائج

تحليلية أفضل من المصادر المفتوحة، وجاءت هذه الخدمة الجديدة من تويتر لتنافس خدمة Storify رسمياً، وللوصول إلى الخدمة وفّر تويتر موقعاً رسمياً لذلك واستمارةَ تسجيل لضمان إفادة الفئات المستهدَفة من وسائل الإعلام والصحفيين منها.. أما عن طريقة عمل الخدمة فهي بسيطة، بحيث يمكن البحث عن "هاشتاغ" معين، أو كلمة بحث دلالية معينة مرتبطة بموضوع الصحفي الذي ينوي تكوين ملف عنه، وبالتالي سيحصل على مجموعة من التغريدات ومقاطع الفيديو من "فاين" على شكل زمرة واحدة، وبالتالي توفر هذه الخاصية مجموعة كبيرة من الإمكانيات كالملفات الشخصية للمستخدمين، وذلك انطلاقاً من عدد متابعيهم، ومعلوماتهم الشخصية، كما توفر معلومات إحصائيةً عنهم مثل: (عمر الحساب، ودرجة تأثير صاحبه، وموقعه الجغرافي) كما يمكن تحديد أنواع التغريدات المختلفة المستهدَفة، كالتي تحتوي على الصور أو مقاطع فيديو "فاين"، وتمكّن أيضاً من تقييد عرض التغريدات حسب مرات إعادة تغريدها تجنباً للتكرار، وبعدما يُنهي الصحفي تخصيصه للنتائج المرغوب فيها يمكنه تصديرها على شكل Widget، وتضمينُها داخل موقعه بحيث يتم تحديثه تلقائياً لحظة بلحظة من طرف تويتر.

تاسعاً: أمثلة تطبيقية وتحليلية لنماذج من الاستقصاء العربي والمحلي

النموذج الأول:

تحقيق محمد بسيكي الاستقصائي السوري الحائز على المرتبة الثانية في جوائز الصحافة الاستقصائية العربية الإلكترونية

الفرضية الأولى للتحقيق:

اختلاط الصرف الصحي بمياه الشرب في ريف دمشق يؤدي إلى أمراض من بينها الإيكولاي والقصور الكلوي (16 كلمة).

الفرضية (المعدلة):

ضعف الصيانة ونقص التعقيم يتسببان في اختلاط الصرف الصحي بمياه الشرب في ريف دمشق **الأمر الذي** يؤدي إلى أمراض من بينها الإيكولاي والقصور الكلوي (24 كلمة).

المفعول به (الضحية):

- المواطنون الذين يشربون المياه من الشبكة الحكومية.
- تلوث البيئة المحيطة نتيجة تسرب مياه الصرف إلى مياه الشرب.
- تشويه صورة سورية أمام المنظمات الدولية كاليونيسكو بسبب انتشار هذه الظاهرة.

الفاعل:

- التقصير الحكومي في متابعة تنفيذ وتصميم شبكات الصرف على أكمل وجه.
- مدى التزام المعنيين في تطبيق المعايير الدولية في التعقيم ولاسيما أنهم يستخدمون مواد كيميائية.
- مسؤولون حكوميون ومتعهدون أساؤوا مهمة تشييد الشبكات الصحية فحدث اختلاط بين مياه الشرب ومياه الصرف.

الهدف الذي تريد تحقيقه من خلال هذا التحقيق:

- إطلاع الرأي العام والمعنيين على ظاهرة (فساد إداري) ونتائجها الكارثية التي ستزهق أرواح الكثيرين نتيجة التسمم وارتفاع نسب القصور الكلوي وغيرها.
- معرفة مدى التزام السلطات المحلية المسؤولة عن شبكات الصرف ومدى مطابقتها للمواصفات العالمية، وكذلك مدى اعتماد السلطات على تعقيم المياه تفادياً لأمراض الإيكولاي وغيرها.

لماذا تعتقد أن هذه القضية مهمة ويجب تنفيذها؟

تعد ظاهرة تلوث المياه من المشكلات المستفحلة وبخاصة في مناطق ريف دمشق، وبالتالي تهديد حياة السكان وتعريضهم لأمراض قاتلة نتيجة التلوث الناجم عن اختلاط المياه بالصرف، وكذلك التلوث الناجم عن ضعف التعقيم أو زيادة استخدام الكلور في عينات المياه ما يؤدي إلى أمراض قاتلة، لذلك وبما أن حياة الآلاف من السكان مهددة من المفترض **كشف سبب التلوث الحقيقي ومَن خلفه، وكيف تسمح السلطات للناس باستعمال هذه المياه رغم أنها ملوثة**، وهل من حلول في القريب لكون القصة لا تحتمل التأجيل أبداً!.

ما حجم الظاهرة أو مدى انتشارها وتأثيرها على الشأن العام؟

أثبتت تقارير دولية وإقليمية تلوث المياه في بعض مناطق ريف دمشق، وكان التلوث ناجماً عن أمور عديدة أبرزها بيع المياه بالصهاريج واعتمادُ السكان البالغ عددهم 1.5 مليون نسمة على الآبار الارتوازية وغير ذلك ما ضاعف مشكلات الإصابة بالأمراض لدى الأهالي، ومؤخراً قفزت إلى السطح ظاهرة اختلاط مياه الشرب بالصرف الصحي ما زاد من هول المصيبة والكارثة، والقصة هكذا من دون أن يناقشها المعنيون على الرغم من الحديث في الإعلام من قبل الرأي العام والأهالي علماً أن هذه الظاهرة آخذة بالتمدد مع قرى وبلدات أخرى.

اكتب الحقائق التي تملكها، وما المعلومات التي حصلت عليها لكي تبني فرضيتك؟

- معطيات موثقة (تحاليل مخبرية) تثبت تلوث المياه في الريف نتيجة اختلاطها بمياه الصرف، وكذلك ارتفاع نسبة الكلور المستخدم في التعقيم، وأيضاً المواد الكيميائية الأخرى والتي غالياً ما تُستورد من دول غربية.
- شهادات سكان أصيبوا بأمراض نتيجة شربهم لهذه المياه وبخاصة أمراض القصور الكلوي.
- تقرير دولي حول مخالفة سورية في زيادة استخدام الكلور بالتعقيم، وهناك اعتراف رسمي بذلك.
- تقرير حكومي حول نقص المواد الأولية اللازمة للتعقيم بسبب العقوبات والمقاطعة الدولية.
- دراسات ماجستير وأبحاث متنوعة علمية.
- تقاير ومنشورات في وسائل الإعلام المختلفة.

من قابلت حتى الآن (الاسم والوظيفة):

- مجموعة من السكان المتضررين من تلوث مياه الشرب.
- مديرة الصحة في محافظة ريف دمشق.

ما المعلومات الموثقة التي حصلت عليها (تقارير، دراسات، وثائق رسمية، إلخ، الرجاء ذكر اسم الوثيقة أو التقرير، الباحث أو المؤلف، مصدر المعلومات، وأهم الخلاصات أو الحجج التي أتت بها هذه التقارير، والوثائق التي قد تدعم فرضيتك).

كيف تنوي تنفيذ التحقيق (استراتيجية أو خطة عمل لتنفيذ التحقيق)؟

- إجراء مقابلات شخصية مع المعنيين في وزارات الصحة والإسكان، ومحافظة ريف دمشق، والبلديات.
- إجراء تحاليل مخبرية على عينات من المياه.
- زيارات لمشافٍ أجرى فيها المواطنون عمليات للكلى وغير ذلك.
- اقتطاف خلاصات علمية من دراسات وأبحاث لخبراء محليين وعالميين إن أمكن.
- إجراء مقابلات مع سكان ومتعهدين ومسؤولين حكوميين.
- استخلاص مواد متعلقة بالموضوع من المواقع المهتمة به على الإنترنت.
- مقابلات مع مديري مخابر حول تنامي هذه الظاهرة، ومدى إجراء الناس للتحاليل.

ما هي الأسئلة المعلقة أو مفتوحة النهايات التي تحتاج إلى إجابات؟

- من يقف وراء ظاهرة اختلاط مياه الشرب بالصرف الصحي؟
- متى بدأت ظاهرة تلوث المياه؟ وما حجم الضرر المتحقق من ذلك؟ وكيف تعالَج من قبل المعنيين في الحكومة؟.
- ما حجم الضرر الذي تلقي به الظاهرة (اختلاط مياه الشرب بالصرف الصحي) على البيئة والسكان؟.
- هل هناك فساد إداري أدى إلى سوء تنفيذ الشبكات؟.
- هل هناك أمل في إيجاد حلول تنقذ حياة الآلاف من المتضررين الذين لا حول لهم ولا قوة؟.

ما هي الوثائق التي تحتاج إلى أن تعثر عليها لكي توثق الفرضية؟ أين تستطيع أن تجد أو أن تحصل على هذه الإجابات أو الوثائق؟

- الوثائق المتعلقة بدور محافظة ريف دمشق في التأكد من جهوزية شبكات الصرف الصحي بعد تمديد الأنابيب وكذلك وثائق متعلقة بعملية التعقيم وكيف تتم، وما هي المعايير المتبعة وهل تتماشى مع التعاليم الدولية.
- إفادات سكان أصيبوا بأمراض من جراء التلوث ولم يكونوا يعانون منها سابقاً.
- إفادات أصحاب مخابر حول تنامي وانتشار الأمراض بين الناس.

المدة الزمنية اللازمة لإجراء التحقيق؟ ولماذا؟

شهران بدءاً من كانون الأول.

هل تحتاج إلى التنقل داخل البلد أو المدينة؟ إلى أين؟ ولماذا؟

- محافظة ريف دمشق حوالي 60 كم عن دمشق ولعدة مرات.
- ضمن مدينة دمشق.
- ضواحٍ قريبة (السيدة زينب وغيرها).

هل تحتاج إلى إجراء فحوصات مخبرية أو علمية؟ هل تحتاج إلى تعبئة وتوزيع استمارة؟ ولماذا؟

- مبدئياً نعم، هناك حاجة إلى فحوص مخبرية.

هل هناك أي مهارات أو مطالب تحتاج إليها لتنفيذ التحقيق الاستقصائي؟ ما هي؟ ولماذا؟

- الترجمة من الإنكليزية إلى العربية إن وجدت.
- التصوير الفوتوغرافي: بنفسي.

ملاحظات أخرى:

تعتمد ريف دمشق في المياه على الآبار الارتوازية التي تعالجها الحكومة وتعقمها، ومن ثم توردها إلى المنازل عبر شبكات، أو على مياه أنهار أو صرف صحي بعد معالجتها تقنياً وبالمواد الكيميائية.

النموذج الثاني:

تحقيق هبة الإفرنجي: مواد تنظيف منزلية الصنع في غزة غير قانونية والجهات المسؤولة غائبة

1. **قضية التحقيق الاستقصائي:** مواد التنظيف منزلية الصنع في غزة.
2. **معد التحقيق الاستقصائي:** الصحفية هبة الإفرنجي.
3. **وسيلة النشر**: صحيفة الحال الشهرية الصادرة عن مركز بيرزيت.
4. **تاريخ النشر**: 12 أيار مايو 2013.
5. **مصدر فكرة التحقيق:** تقول الزميلة هبة الإفرنجي: "بدأت تتكون لدي فكرة الكتابة عن مواد التنظيف حينما أصيب أخي بأكزيما "كما وصفها له الطبيب الجلدي المعالج" في يده، وذلك بسبب كثرة استخدامه للمنظفات في أثناء عمله، كان أمراً غريباً ولأول مرة أشاهدها مما جعلني أبدأ في طرح الأسئلة حتى توصلت إلى فرضية التحقيق".
6. **فرضية التحقيق الاستقصائي:** مواد التنظيف رخيصة الثمن مخالفة للمعايير.
7. **مصادر التحقيق الاستقصائي:**
   - رباب بيوت.
   - وزارة الاقتصاد الوطني.
   - أصحاب مصانع منزلية وأخرى رسمية.
   - أطباء أمراض جلدية.
   - مؤسسة المواصفات والمقاييس.
   - اتحاد الصناعات الكيميائية.
   - مؤسسة القضاء.
   - الجهاز المركزي للإحصاء.

بلغ عدد من أجريت معهم مقابلات لصالح التحقيق 14 شخصاً جلهم من المسؤولين في جهات حكومية متعددة والمختصين في المجال.

8. **أدوات إعداد التحقيق الاستقصائي:**

- **الملاحظة:** استخدمت معدة التحقيق أداة الملاحظة للمباشرة في إعداد التحقيق الاستقصائي وذلك من خلال ملاحظتها للآثار التي أصابت شقيقها من جراء عمله في مطعم يستخدم منظفات رخيصة الثمن، ثم أعقبت ذلك بشراء ذات المنظفات واستخدمتها لملاحظة الفرق بينها وبين غيرها من المنظفات ذات الثمن المرتفع.
- **المقابلة:** أجرت معدة التحقيق الاستقصائي سلسلة من اللقاءات والمقابلات مع أطراف عدة ذات علاقة بالقضية موضع البحث والتحري منها أطراف حكومية وأخرى أهلية وتخصصية.
- **التجربة:** اعتمدت معدة التحقيق الاستقصائي على أداة التجربة وذلك من خلال قيامها بشراء منظفات رخيصة الثمن واستخدمتها للتعرف على فعاليتها، وكذلك قيامها بإخضاع عينات منها للفحص في مختبرات علمية مختصة بكلفة 100 دولار لكل فحص.
- **التصوير:** دعمت معدة التحقيق الاستقصائي مادتها بمجموعة من الصور التي التقطتها لمصانع منزلية لأدوات التنظيف.
- **استطلاع عشوائي:** أجرت معدة التحقيق استطلاعاً عشوائياً غير علمي لصالح التحقيق وساعدتها نتائجه في بناء فرضيتها والمضي في التحقق منها.
- **رسم بياني:** عززت معدة التحقيق مادتها المنشورة في صحيفة الحال برسم بياني يوضح مدى اعتماد ربات البيوت على أدوات التنظيف منزلية الصنع لرخص ثمنها.
- **قواعد البيانات:** استندت معدة التحقيق إلى قواعد البيانات من خلال تطرقها لمعدل الفقر في قطاع غزة وكذلك عدد المصانع المرخصة فضلاً عن استعراضها للقرارات الحكومية المنظِّمة لعمل المصانع.

9. **فترة إعداد التحقيق الاستقصائي:** استغرقت فترة الإعداد نحو عام كامل.
10. **كلفة التحقيق الاستقصائي:** 380 دولاراً أمريكياً وأجر معدة التحقيق.
11. **مخاطر ومجازفة:** أفادت الزميلة هبة الإفرنجي أنها واجهت صعوبات وشعرت بالخوف في أثناء إعداد التحقيق الاستقصائي لكونها فتاة وأُضطرت إلى التنقل وحدها بين محافظات قطاع غزة وزيارة مناطق شعبية شبه مهجورة والدخول إلى مصانع منزلية لأدوات التنظيف، مشيرة إلى محاولة بعض أصحاب المصانع التهرب من الإجابة عن تساؤلاتها، كما أوضحت أنها استعدت جيداً لإعداد التحقيق من خلال الإلمام بالمعلومات المطلوبة التي أشعرت من حاول إخفاء المعلومات عنها بأنها مطلعة وتمتلك معلومات ولا داعي لعدم التجاوب ولا فائدة من التهرب، وأيضاً لفتت إلى اضطرارها لإعادة مقابلة مع شخصية مسؤولة نتيجة تغيرها بعد اكتمال إنجاز التحقيق، ومطالبة بعض الجهات بكتب رسمية للتجاوب معها في

المقابلات، إضافة إلى أن طبيعة العمل الاستقصائي تقوم على نوع من المخاطرة والمجازفة وتحتاج إلى شيء من السرية والكتمان مشيرةٍ إلى محاولة أحد الصحفيين السطو على فكرة تحقيقها من خلال سبقها في إنجازه بيد أنها تؤكد وجود فرق كبير بين حرفية المختص في الصحافة الاستقصائية والإنجاز الصحفي الروتيني مبينة حاجة الأول إلى مهارات متعددة، كذلك ذكرت حاجتها إلى متابعة المنتَج الذي يدور حوله التحقيق ومدى ثبات المعلومة ذاتها منذ انطلاق العمل في التحقيق وحتى مرحلة نشره، إذ إن احتمالية تغير الواقع واردة نتيجة طول فترة إعداد التحقيق.

12. **إشراف ومتابعة:** ذكرت معدة التحقيق الاستقصائي أنها عملت بإشراف من الأستاذ وليد بطراوي المختص في الصحافة الاستقصائية إضافة إلى صحفي وصحفية من الأردن، وأنها استفادت من توجيهاتهم وإرشاداتهم خلال إنجاز التحقيق مبينة أنه تم عرض التحقيق على محامٍ مختص لدى شبكة "أريج" للصحافة الاستقصائية قبل إجازته للنشر وذلك تحسباً لأي مسؤولية قانونية قد تلحق بمعدة التحقيق وجهة نشره ودعمه.

13. **ملاحظات على التحقيق الاستقصائي:**

- وردت مقابلة مع الدكتور حسن طموس دون توضيح طبيعة تخصصه.
- لم يتطرق التحقيق للحل بشكل كافٍ وواضح.
- احتوى التحقيق على معلومات خلفية مناسبة.
- استخدم وسائل توضيحية مناسبة.
- ضعف الاهتمام بالصور إجمالاً في عملية نشر التحقيق إذ على الرغم من أهميته وتعدد الشخصيات المتحدثة فيه إلا أن نشره خلا من أي صورة شخصية للمتحدثين واقتصر فقط على صورة لأحد المصانع المنزلية.

14. **نتيجة التحقيق الاستقصائي:** تمكنت معدة التحقيق من إثبات فرضيتها بأن مواد التنظيف منزلية الصنع غير موافقة للمعايير المتعلقة بإنتاج مواد التنظيف وأن رخص ثمنها سبّب انتشارَها بالرغم من أضرارها على صحة المواطنين.

15. **نص التحقيق الاستقصائي:**

مواد تنظيف منزلية الصنع في غزة غير قانونية والجهات المسؤولة غائبة

غزة / جريدة الحال– تحقيق هبة الإفرنجي:

لم يكن لدى أم محمد الخواجة علماً بأن محاولتها التخفيف من الأعباء الاقتصادية باستخدامها مواد تنظيف محلية الصنع ستؤدي إلى إصابتها بأمراض جلدية ربما تبقى معها إلى الأبد.

أم محمد التي تسكن مخيم الشاطئ اعتادت شراء مواد تنظيف من الباعة المتجولين، وبتكرار استخدامها بدأت تظهر على يديها وبين أصابعها التهابات بيضاء، حين لجأت إلى طبيب نصحها دائماً – حسب قولها – بعدم استخدام المنظفات بكثرة إلا أنها لا تستطع فهي ربة عائلة وبحاجة لأن تقوم بدورها كغيرها من الأمهات، كما تقول.

حاولنا عرض بعض من صور المريضة للدكتور مجدي نعيم اختصاصي أمراض جلدية في مستشفى الشفاء بغزة والذي بدوره أكد أن السيدة مصابة بفطريات، وقد تكون تحسست من استخدام بعض المواد الكيميائية، ولكن لا يمكن الجزم بذلك إلا بعد أخذ عينة من هذه الفطريات وزرعها لمعرفة ما الذي تعانيه بالضبط.

في المقابل لم يجد أحمد بديلاً عن صنع مواد التنظيف كوسيلة لكسب عيشه في وقت عم الغلاء قطاع غزة، ومع ذلك لم يكن مهتماً كثيراً بأن يكون صاحب مصنع كبير، فكل ما يملكه مخزن كبير جداً يضع بداخله أكواماً حسبتها في البداية نفايات، كل مواد التنظيف ملقاة على الأرض لا نظافة ولا ترتيب ولا اهتمام، يضع أربعة براميل أحدها يحتوي مزيل الدهون والثاني الشامبو وهناك سائل الجلي، وكلها صناعته اليدوية، وأمام مصنعه تتناثر أكياس خيش قذرة مملوءة بزجاجات المشروبات الغازية الفارغة، وبالرغم من كل ذلك فهو يوزع للمحال في الأسواق ويشتري منه جيرانه.

في قطاع غزة الذي يبلغ عدد سكانه مليون ونصف المليون تنتشر مصانع منزلية غير قانونية لتنتج مواد تنظيف وصابوناً و(شامبو) بعيداً عن المواصفات والمقاييس المصرح بها، وتؤكد إحصائيات وزارة الاقتصاد الوطني حصول 24 مصنعاً على تراخيص لصناعة هذه المواد، فيما تفتقر الوزارة لأرقام حول أعداد المعامل غير المرخصة، استطلاع غير علمي أجري لصالح هذا التحقيق على عينة عشوائية من 75 فرداً بيّن أن 65% من النساء المستطلَعة آراؤهن يعتمدن على مواد التنظيف المصنعة منزلياً، ويحدث ذلك في ظل عجز الوزارة وباقي الجهات الرقابية عن لجم الظاهرة نتيجة ضعف القدرات الفنية لفرق التفتيش.

"مصنع" أحمد المنزلي:

أحمد يصنع منذ سبع سنوات الشامبو ومزيل الدهون وسائل للجلي والمسح، ويقوم بتعبئة مادة الكلوريكس "المعروفة بالكلور" ومياه النار بعد أن يخفف تركيزهما، يعمل كما والده في سابق عهده فقد حفظ والده كيفية صناعة مواد التنظيف ونقل خبراته لابنه فأتقنها وبدأ العمل بها بطريقته الخاصة في مصنع صغير لا تستطيع تمييزه لعدم وجود أي لافتة تدل عليه.

يعبئ أحمد أغلب مواده في زجاجات غير متشابهة، ويستعين بما يفيض عن حاجة شركات تعبئة المشروبات الغازية ليضع سائل الجلي بداخلها، لأحمد أيضاً منتَج خاص يقوم بترويجه فيشتري عبوات بلاستيكية ويضع لها

بطاقة بيان تحمل مواصفات ونوعَ منتَجه واسمَه الذي ميزناه بحرف "ر" حصلت على عبوة منه لإجراء فحص مخبري.

العينات غير متطابقة:

تم إجراء فحص لعينة من شامبو (مصنع أحمد) وقد سقطت في اختبارين: درجة الحموضة وكان معدلها 4.97 والطبيعي أن تكون بمعدل 5.5 إلى 8.5، بينما نسبة كلوريد الصوديوم أو ما يعرف بملح الطعام كانت 5% ومن المفترض أن يكون أقصى حد لها 2%، ونجحت في اختبار واحد فقط وهو اختبار المادة الفعالة.

بعد عرض نتيجة فحص عينة الشامبو على الأستاذ محمد عسقلاني رئيسِ قسم البحث العلمي وخدمة المجتمع في كلية العلوم والتكنولوجيا بخان يونس بّين أن درجة الحموضة في عينة الشامبو منخفضة جداً موضحاً أنه "يجب ألا يقل معدل درجة الحموضة عن 5.5 وهنا تمثلت بـ 4.97 وهو أمر له تأثير سلبي على الشعر، كما أنه سيكون بيئة نشطة لنمو البكتيريا وسيكون عرضة للتلوث البكتيري"، وفيما يتعلق بكلوريد الصوديوم فيقول: "الملح أو ما يعرف بكلوريد الصوديوم مرتفع جداً في الشامبو، فإضافة إلى أن مياه غزة مالحة سيعمل الملح الزائد في العينة على تلف الشعر، وتكرار استخدامه سيؤثر على نضارة الشعر وطبيعته ونموه".

أخرى لم تطابق:

كمال من محافظة أخرى في القطاع يبيع مواد تنظيف منذ عام 1993، هذا الشاب الحائز على دبلوم مختبرات طبية وبكالوريوس خدمة اجتماعية يخلط معايير معينة – في موقع قريب من نقطة البيع – وهي خبرة أخذها عن أخيه الذي يمتلك محالَّ مخصصة لتصنيع مواد التنظيف، يقول كمال: "نرفع نسبة التركيز حتى تناسب مياه البحر، فمياه البحر مالحة (عسيرة) لو لم نعمل تركيزاً عالياً لن نستطيع الحصول على الرغوة".

أخذت صوراً عدة للمصنع وعينة من سائل الجلي وتوجهت إلى مركز الفحص في جامعة الأزهر، وكانت النتيجة أن سائل الجلي لم يتوافق مع المواصفات والمقاييس التي تعتمدها وزارة الاقتصاد.

الكيميائي عبد الباسط أبو كويك أشار إلى أن عينة سائل الجلي سقطت لأكثر من سبب: تركيز المادة الفعالة بنسبة 12% وهي أقل من المسموح به والهدف يكون غالباً هو الغش التجاري، وفيما يتعلق بدرجة الحموضة فقد بيّن أنها لا بد من أن يكون معدلها قريباً من 6 إلى 8 وإن كانت أقل – كما في العينة – فستؤدي إلى نوع من الجفاف على الجلد، وفيما يتعلق بملح الطعام فقد بيّن أن معظم المصنعين يضعون ملح الطعام بهدف تجميد الصابون السائل "فالمستهلك يهتم بالمنظف الذي فيه نوع من الجمود فيضطر المصنع إلى غشه وتزويده بالملح ليجاري السوق فأكثر من 2% غير مسموح ويمكن أن يؤدي إلى جفاف في الجلد".

60% من ربات البيوت تستخدمن مواد التنظيف المصنعة منزلياً:

في استطلاع أجريناه لهذا التحقيق في كانون الثاني يناير 2012 لعينة عشوائية من 75 فرداً تبين أن 25% من العائلات في غزة تستخدم مواد تنظيف يصل سعرها إلى 3 شواقل (أقل من دولار) بينما 75% تستخدم مواد تنظيف ما بين 3 إلى 10 شواقل، وأن 60% من ربات المنازل يستخدمن مواد تنظيف مصنعة محلياً و45% منهن يستهلكن عبوات مواد التنظيف كل أسبوعين إلى شهر ونصف، بينما 39% يستهلكن عبوة واحدة أسبوعياً. وأظهر الاستطلاع أن أكثر مواد التنظيف استخداماً كان لسائل ومعجون الجلي 61%، بينما حصل شراء الشامبو على نسبة 23%، وفيما يخص إصابة ربات المنازل بأمراض جلدية تنوعت بين حساسية مستمرة وحكة نتيجة استخدام مواد التنظيف أجابت 33% منهن بنعم، بينما 67% منهن بلا.

جدول يوضح بعض مواد التنظيف وأسعارها التي يتم تصنيعها في مصانع مرخصة وأخرى منزلية:

- مواد تنظيف في مصانع مرخصة.
- مواد تنظيف مصنعة منزلياً.
- معجون وسائل جلي (يتراوح ما بين 3 شواقل ونصف إلى 13 شيقل).
- معجون وسائل جلي (لا يزيد عن 3 شواقل).
- منظف حمامات (يتراوح سعره ما بين 7 إلى 8 شواقل).
- منظف حمامات (لا يزيد عن 5 شواقل).
- شامبو (اللتر الواحد يتراوح ما بين 10 إلى 13 شيقل).
- شامبو (اللتر الواحد 6 شواقل).

وكانت قد بلغت نسبة الفقر في قطاع غزة بين الأفراد خلال عام 2011 وفقاً لأنماط الاستهلاك الشهري 38.8%، في حين أن 67.1% من الأفراد يقل دخلهم الشهري عن خط الفقر الوطني، أما على مستوى الدخل فقد تبين أن 55.9% من الأفراد يقل دخلهم الشهري عن خط الفقر الشديد، وذلك وفقاً لمسح إنفاق واستهلاك الأسرة الصادر عن الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني لعام 2011.

ويتبين أيضاً أن خط الفقر لأسرة (مكونة من خمسة أفراد) خلال العام ذاته بلغ 2293 شيقلاً (نحو 637 دولاراً أمريكياً)، أما عن التضخم في الأسعار فقد أظهرت النشرة السنوية للأسعار والأرقام القياسية الصادرة عن الجهاز ذاته ارتفاعاً في أسعار المستهلك بنسبة 57% في غزة.

أكزيما بالتلامس:

يؤكد الدكتور حسن طموس أن المواد الكيميائية بشكل عام تسبب أكزيما أو حساسية يتأثر بها أشخاص معينون وليست عامة، ويشدد على ضرورة وجود خبرة في التعامل مع المواد الكيميائية.

ويبين طموس أن الإصابة بمرض "أكزيما بالتلامس" يحدث "عند استخدام المواد الكيميائية، ومواد التنظيف إحداها وليست المسبب الرئيسي" معتبراً أن "التحسس من مواد التنظيف يختلف من منطقة لأخرى، وأن الكلور الذي يعطي شعوراً ساخناً عند اللمس يكون به صودا كاوية وهو يسبب أكزيما بالتلامس ويعمل على ذوبان وتلف الملابس والغسالات وتلف وتآكل الغسالة نفسها".

اتحاد الصناعات: منتسبوه قانونيون:

آلاء مصلح المديرة التنفيذية لاتحاد الصناعات الكيميائية توضح أن "ما يقارب 30 منشأة بين مصنع وشركة وموردي مواد خام خاصة بمواد التنظيف منتسبون إلى الاتحاد ويُشغّلون ما يقارب 150 عاملاً" ولا ينضم إلى الإتحاد إلا من يملك أوراقاً قانونية سليمة.

المواصفات والمقاييس في غزة للطوارئ:

راجي مسلم مدير عام مؤسسة المواصفات والمقاييس الفلسطينية في غزة يبين أن تحديث المواصفات يكون كل خمس سنوات والتجديد حسب الحاجة، ويوضح أن المؤسسة حاولت ألا تكون جزءاً من الانقسام: "الوضع في غزة صعب ولم تُغلَق المؤسسة خلال خمس سنوات ولكن العمل ليس مُرضياً والمؤسسة موجودة للطوارئ"، ويؤكد أن المؤسسة ليست جهة رقابية موضحاً أن التعديل على أي مواصفة ليس شرطاً أن يكون بشكل دوري وإنما حسب الحاجة لذلك وحسب التعديلات الدولية.

دائرة المستهلك: كادر المنتجات الكيميائية في الوزارة ضعيف:

المهندس نافذ الكحلوت رئيس قسم المواد الكيميائية في دائرة حماية المستهلك ورئيس قسم الخدمات والأسعار في وزارة الاقتصاد يؤكد أن أي منتج تجده الدائرة في السوق يخضع إلى فحص مخبري فإن كان مطابقاً للمواصفات الفلسطينية الخاصة بالصنف والتركيب وبطاقة البيان يكون صالحاً للاستخدام، وإن لم يكن مطابقاً نوضح الخلل للمنتجين من أجل تعديله منبهاً إلى أن الدائرة ترسل عينات للفحص بعدد ما يرد من المفتشين وهي ليست مرتبطة بعدد معين.

ويتابع الكحلوت: "المصانع الداخلية لا بد أن تكون متابَعة، ولكن حسب ما يردنا من عينات فهي بحاجة إلى جهد فهناك أصناف كثيرة موجودة وغير متابَعة كما هو مطلوب" لافتاً إلى خطورة المواد الكيميائية وضرورة عدم وجودها في المنازل بتركيز عالٍ لأنها مضرة بالأغشية المخاطية والأيدي والعيون والجلد، ويشير إلى أن مادة "الكلور" تصدر أبخرة غير منظورة بالعين ولها تأثير سلبي على الغشاء المخاطي وأنسجة العين من مستخدمين ومصنّعين فهي "تهتّك الغشاء المخاطي وقد تدخل أشياء غير مرغوبة إلى الرئتين والبلعوم والمعدة وقد تترسب وتصل إلى الكبد".

شامبو أم أيمن:

على الرغم من معرفة تلك الدوائر المتخصصة بضرورة عدم وجود هذه المواد في المنازل تشتري أم أيمن التي تسكن شمال القطاع المواد الخام من أحد الدكاكين المنتشرة في السوق وتقوم بصناعة الشامبو بطرق بدائية "أملأ جردلاً ونصفاً من جرادل الدهان الفارغة بالماء وأضيف 3 كيلوغرامات من مادة "الإيتا" وكيلوغرامين ملح وأضيف الماء الساخن، وأضع الخليط في حوض استحمام صغير وأتركه ربع ساعة، ثم أذوبها بيدي وأضيف معطراً ومادة ملونة، ثم أقوم بتعبئته في عبوات صغيرة" حسبما تشرح.

أم أيمن تصنّع الشامبو للاستهلاك الشخصي لا للبيع، وتقول إنها لا تشكو من أي آثار نتيجة عملها، ولكنها تقر بجفاف يديها.

عجز وإهمال وأضرار صحية:

يجيب المهندس نافذ الكحلوت عن سؤالنا بخصوص الإجراءات القانونية للمؤسسات الحكومية المختصة لمواجهة هذه المصانع: "هناك عجز في المتابعة وقصور نتيجة عجز في الكادر الفني في مناطق غزة من مفتشين لحماية المستهلك" مضيفاً: "معظم مفتشي حماية المستهلك يتخصصون في الصناعات الغذائية لأن الأعراض المرضية تظهر بسرعة، ولكن المنتجات الكيميائية ضررها يظهر بعد فترة طويلة من الاستخدام"، ويتابع: "الإدارة لا تلاحظ أهمية هذا الجانب والمفترض أن يكون هناك كادر موظف في الدائرة مختص بهذه الأمور، هناك عدم اكتراث من المسؤولين ولا مبالاة".

التنمية الصناعية تدافع: المصانع غير المرخصة متابعة:

عبد الفتاح أبو موسى مدير عام الإدارة العامة للصناعة في وزارة الاقتصاد بغزة يوضح أن هناك فريقاً متخصصاً يقوم بالرقابة والتفتيش والإرشاد ومتابعة جودة المنتجات على حسب المواصفة الفلسطينية.

ويرفض أبو موسى الربط بين جودة المنتج والحصول على ترخيص: "يمكن أن يتحسن المنتَج من خلال الرقابة"، وحول ما تقوم به بعض المصانع من تعبئة المواد في زجاجات "كوكا كولا" مثلاً بيّن أنه أمر مخالف للمواصفة الفلسطينية.

دائرة الترخيص: لا رقابة ولا قانوناً خاصاً:

قرار مجلس الوزراء رقم 10 لسنة 1999 بشأن إجراءات ترخيص المصانع والمنشآت الصناعية ذكر في المادة 2 أنه لا يجوز دون الحصول على ترخيص من الوزير إقامة أي صناعة في فلسطين وتجديد أو توسيع أي صناعات قائمة.

المادة 3 فقرة "أ": كل من يقيم أي صناعة أو يقوم بتوسيع صناعة قائمة أن يتقدم بطلب الترخيص إلى الوزارة، والمادة 7 الفقرة أ: يجوز للوزير إيقاف أي صناعة أُسست كلياً أو جزئياً أو جُددت أو وُسّعت دون الحصول على موافقة الوزارة.

لكن المهندس هاني العصّار مدير دائرة الترخيص الصناعي في وزارة الاقتصاد له رأي مخالف وهو أن "الدائرة تهتم بتطبيق المواصفات الفلسطينية بقدر الإمكان وإلزام المصانع بالشروط والمواصفات الفنية الخاصة كل حسب القطاع المخصص، وبينما غير المرخصة فلا رقابة عليها".

إلا أن الدائرة تواجه مشكلة في التراخيص والإدارة العامة للصناعة: "عملنا يسير ولا قانوناً خاصاً للصناعة يحدد ما لصاحب المصنع وما عليه، ونعمل وفق قرار خاص لمجلس الوزراء رقم 10 لسنة 1999 الخاص بإجراءات الترخيص، والقانون يبقى أقوى من القرار، وهو واضح ولكن يحتاج إلى متابعة والمتابعة صعبة إن لم يكن هناك قانون".

مسح صناعي قبل 12 عاماً:

يكشف العصار عن وجود 24 مصنعاً مخصصاً لمواد التنظيف في القطاع وهي حاصلة على تراخيص الوزارة، مؤكداً أنه لا إحصاء للمصانع غير القانونية والسبب أن "عدد الموظفين غيرُ كافٍ لأن عملية الإحصاء تحتاج إلى مسح صناعي الأمر الذي يحتاج إلى دعم لوجستي كنماذج المسح الصناعي ووسائل اتصال ونقل، وتدريب طواقم للعمل ما يقارب 50 موظفاً خاصاً بالمسح الصناعي" مشيراً إلى وجود سبعة موظفين فقط في الوقت الحالي يقومون بعملية التفتيش.

المهندس هاني مطر مدير دائرة التنمية الصناعية في الوزارة يؤكد أن الترخيص يجدَّد سنوياً، وأن هناك 140 مصنعاً جرى ترخيصها عام 2011 من بينها 10 لمواد التنظيف.

الحكومة تغض الطرف ولا قضايا

يقع على الحكومة في غزة وأجهزتها التنفيذية ودائرة حماية المستهلك فحص كل الصناعات، ومدى مطابقتها للمواصفات، وإغلاق المصانع المخالفة إلا أن هذا لا يحدث مع مصانع مواد التنظيف المنزلية، الجهات التنفيذية تتذرع بعدم تقديم المواطنين شكاوى ضد هذه المصانع وتلقي باللائمة على المواطنين مدعية أنهم لا يتعاونون.

نائب رئيس المحكمة العليا ونائب رئيس المجلس الأعلى للقضاء المستشار محمد الدريوي أكد أنه لم تصل إلى المحكمة أي قضية حتى الآن، منبهاً إلى أن للوزارة إجراءات تتخذها ضد الشركات المخالفة فتقوم الشركات برفع قضايا طعن في قرار الوزارة ولكن حتى هذه اللحظة لم تصل أي قضية سواء من الوزارة أو من أصحاب المصانع.

رد الجهات التنفيذية:

يتحدث أبو موسى أنه تم ضبط مخالفات ويتم تحرير محاضر ضبط للمخالفين تُحول إلى النيابة التي تحولها إلى المحاكم: "تم تحرير محاضر ضبط للمخالفين، وعدد المخالفات التي تصل إلى النيابة في هذا الموضوع يفوق العشرات منذ بداية العام من جميع أنحاء القطاع"، كما يشير إلى أن عدد المصانع المرخصة في غزة من

30% إلى 40%، وفيما يتعلق بالمصانع غير المرخصة والتي تعمل بشكل عشوائي يبين أن "المصانع غير المرخصة نقوم باستدعائها للوزارة ونتفاهم مع أصحابها ونبين لهم إشكالية عدم ترخيصهم في الوزارة ونضغط باتجاه تصويب أوضاعهم"، وتبقى هذه المصانع تعمل وتوزع في قطاع غزة بشكل منظم أو غير منظم حتى نشر هذا التحقيق.

النموذج الثالث:

نص التحقيق الاستقصائي المتخذ كمثال في الوحدة التعليمية الخاصة بتقنيات التقصي وأداته الذي قدمه "جورج صدقة وجان كرم وعلي رمال وطوني مخايل ضمن المبادئ التطبيقية التي تقوم عليها مهارات التقصي في الدليل التدريبي للوكالة الأمريكية للتنمية/ برنامج الشفافية والمساءلة والمركز اللبناني للتربية المهنية

نشرت التحقيق صحيفة العرب الأردنية في 25/2/2008 للصحفية "دنيا العزام".

عنوان التحقيق: **بودرة بيضاء ومسحوق سكر وطحين في كبسولات أمراض القلب وضغط الدم والسكري:**

تناثرت حبوب "Placebo" خالية من المواد الفعالة لمعالجة خمسة أمراض أساسية تهدد حياة المرضى – القلب والسكري والكولسترول والضغط والالتهابات – داخل ثلاثة مخازن أُغلقت بالشمع الأحمر مؤخراً في أول قضية تصنيع أدوية غير مرخصة داخل الأردن، ومازالت محكمة الصلح في عمان تنظر القضية في بلد بدأت سلطاته تتعامل مع تنامي تحدي الأدوية المهربة والمزورة قليلة الفعالية أو عديمة الفعالية التي تدخل عبر الحدود في حقائب مسافرين وإطارات وفرش سيارات وداخل حاويات تجارية لتنافس بدورها الأدوية المصنعة عالمياً، أُغلقت المخازن الثلاثة الواقعة في ضواحي عمان الشرقية مساء يوم 25/7/2007 بعد أن جمع رجال الأمن والمفتشون والمؤسسة العامة للغذاء والدواء وضباط دائرة مكافحة الفساد آلاف الحبوب الدوائية المزورة الشبيهة بمثيلاتها من الأدوية الأجنبية.

مبادئ قانونية ترعى عمل الصحافة الاستقصائية:

1) **مبدأ وجوب التقيد بالقوانين والأنظمة المرعية التي تجرّم أي تحرك أو فعل أو قول وعدم مخالفتها:**

وهذا لا يعني أن مخالفة تلك القيود تفسد الحقائق التي تمكّن الصحفي من كشفها وإثباتها أمام الرأي العام، وإنما قد ترتب عليها ثلاثة أنواع من المسؤوليات:

- مسؤولية جزائية نتيجة ارتكابه جرماً جزائياً منصوصاً عنه في القانون كخرق حرمة منزل.
- مسؤولية مدنية ترتب عليه تعويضات شخصية لمن ألحق به الضرر مادياً أو معنوياً لامس بسمعة وكرامة الآخرين، ويعود تقديرها إلى القضاء.
- مسؤولية مسلكية تجاه نقابته ومؤسسته الإعلامية.

2) **مبدأ وجوب إثبات صحة المعلومات والتأكد منها:** ويقع على من يدّعي الواقعة لكن في القضايا الجزائية فالإخبار عن الجرائم يجعل المعلومات المقدمة إلى القضاء ملكاً لنيابة العامة التي تتولى مهام ممارسة دعوى الحق العام، ويقتضي بناءً عليها استقصاءُ الجرائم وتحريكُ الدعوى ومتابعتها، ولا يمكنها أن تفرض على الصحفي إثباتَ صحة ادعائه تحت طائلة إقفال الملف وصرف النظر عن الإدعاءات.

ولا يشكل التحقيق الاستقصائي إخباراً بالمعنى القانوني للكلمة (خطياً ومذيلاً بتوقيع اسم المخبر)، وإنما يشكل ملفاً متكاملاً للمعلومات والإثباتات والأدلة على جرائم ارتُكبت من قبل أشخاص محددين أو يمكن تحديدهم، وتلك المعلومات المنشورة على الملأ تشكل محركاً وحافزاً للسلطات العامة على تقصي المعلومات الواردة فيه، تنفيذاً لواجباتها العامة بتتبع الجرائم والتحري عنها وكشفها واستثمار المعطيات والمعلومات المتوفرة جميعها لإنجاز ذلك، ومن هنا يتجلى تأثير الصحافة على عمل السلطات لكونها عينَ وأذن ولسان وفمَ الجمهور العريض من الناس.

لا يمكن للقاضي اعتبار المعلومات والوثائق والأدلة التي استحصل عليها الصحفي بطرق ووسائل غير مشروعة صالحةً لأنها تشكل إثباتات مشروعةً بنظر القانون فالنيابة لا تطلع إلا على الجرائم بواسطة الوسائل المشروعة التي لا يحظرها القانون كعدم تعذيب الناس لحملهم الاعتراف بجرمهم، لكن نصب أفخاخ للمجرمين بواسطة كاميرات مراقبة أو تفتيشات أمنية تنفيذاً لمذكرة قضائية وسيلة مشروعة، في حين أن استدراج الأشخاص لارتكاب الجرائم وسيلة غير قانونية مع أن القانون شرّع التظاهر بارتكاب الجريمة لكشف المخالفين، وهذا لا يعفي الصحفي من الملاحقة القانونية نتيجة تظاهره بارتكاب الجرم للكشف عن مرتكبيه، فتظاهر الصحفي أنه تاجر مخدرات يعرّضه للملاحقة لكونه غير مشمول بتبرير الأفعال المرتكبة تنفيذاً للقانون وأوامر السلطات.

إن التصريحات والإقرارات التي يحصل عليها الصحفي عن طريق التسجيل الصوتي أو الفيديو من دون علم الشخص الذي يجري الحديث معه تشكل بالقانون المدني وسيلة إثبات فقط، بينما في القضايا الجزائية فإن جميع وسائل الإثبات مقبولة شرط ألا تكون بحد ذاتها عملاً يعاقب عليه القانون أو يتنافى مع آداب مهنة الصحافة وسلوكياتها، والقاعدة العامة هنا: التقيد في الإثبات بمبادئ الاستقامة.

في حال لم تثبت صحة المعلومات الواردة في التحقيق الاستقصائي فيُعد ذماً وهو نسبة أمر إلى شخص ولو في معرض الشك ينال من شرفه أو كرامته، وهذا ما تقتضيه الصحافة الاستقصائية من نسب أفعال

(تشكل ذماً) بأشخاص مكلفين بأداء خدمات تتعلق بالشأن العام من مصلحة الجمهور الاطلاع عليها، والقانون لا يسمح لمرتكب جرم الذم تبريراً لنفسه بإثبات حقيقة الفعل وهو يرتبط بالأشخاص العاديين لأن الضرورة تسمح بإثبات أفعال منسوبة إلى موظفين عامين في أثناء أداء واجبهم العام، وبالتالي يُبرأ الصحفي من جرم الذم إذا كان الفعل منسوباً إلى موظف عام بموضوع ذي علاقة بوظيفته وثبَتت صحته، وإلا للوحِق بجرميته، ومن هنا لا يجوز نشر اتهامات أو إدانات إلى فرد معين بهويته لمجرد الأقاويل والإشاعات المتناقلة، فسرقة المال العام يتلهف عليها الجمهور وينقلها إلى الآخرين بسرعة، لذلك وجب على الصحفي التأكد من مصداقيتها بالأدلة كي لا يتعرض للإساءة إلى أحد، وكي يكون بمنأى من الملاحقة فيما بعد.

3) **مبدأ حماية المصادر:** ويقع على عاتق الصحفي كمهمة واجبة أخلاقياً، وبالتالي عدم الإفصاح عنها مهما كانت الضغوط، فالمصدر المحمي هو الشخص الذي يزوّد الصحفي بالمعلومات والوثائق، في حين أن المعلومات التي قد تسربها المصادر من دون إثباتات تصبح شهوداً ينطبق عليهم مبدأ حماية الشهود، ومبدأ القوة الثبوتية للشهادة على الرغم من أن السلطة قد تتنصل من ذلك لترهيب الصحفي للكشف عن مصادره، وبناءً على ذلك إذا كان المصدر مشاركاً في الجريمة يتحتم على الصحفي الكشف عنه في حال طلب منه القضاء ذلك حتى لو أدى ذلك إلى كشف مصادره، وهو ما توصلت إليه الاجتهادات القضائية الأوروبية ضمن هذا المجال، فتسريب معلومة من دار دعارة لمشارك ينطبق عليه ما ورد لأنه يسهم في الإضرار بالسلامة الجسدية والنفسية للضحايا.

4) **مبدأ المحافظة على الشهود وتوثيق الأدلة:** إذ يجب السعي دائماً للحصول على المستندات الأصلية أو صور طبق الأصل عنها، كما أن استحصال صور فقط عن المستندات أو أرقامها التسلسلية يمكن أن يساعد على إلزام القضاء للمتهم في إبراز المستند الأصلي، كما يجب قدر المستطاع الاستحصال على صور فوتوغرافية أو تسجيلات صوتية، أو تسجيل فيديو للأدلة والشهود، كما يمكن حث الشهود على توقيع إفادات خطية للمعلومات التي لديهم ومشاهداتهم، ويجب متابعة الشهود والاتصال الدائم بهم لحثهم على الثبات في تصريحاتهم لتجنيبهم التناقض في أقوالهم في أثناء التحقيق والمحاكمات، وعموماً تبقى أي شهادة وقوتُها خاضعة لتقدير القاضي وسلطانه المطلق سواء في الأخذ بمضمونها أم إهمالها.

وإذا كان يجب على الصحفي التطرق لجميع المواضيع التي تفيد المجتمع وتساعد أناسه في تحسين حياتهم والتخلص من الفساد في مختلف مفاصلها، فإن من حق الدولة التدخلَ لمنع البحث في مواضيع معينة تُعدها وفقاً لمعطياتها العامة أو الخاصة أمراً يمس الأمن القومي أو النظام العام، أو السلامة العامة أو الأخلاق العامة، وهذه العبارات المطاطية تشكل سيفاً مسلَطاً على الصحافة، ومع ذلك يتوجب على الاستقصائي الإلمامُ بها، وبتفسيراتها المختلفة التي يمكن أن تطالها، وبالتالي واجبه الهروب من أفخاخها المنصوبة قدر المستطاع

عند اختيار موضوعه، علماً أنه دائماً الأخطر من المتستر عليه التسترُ عليه (فإذا كانت المصلحة تقتضي ألا ننشر فساداً يعتقد البعض أنه يوهن مؤسسة الدولة وشعورها القومي وتعايشها السلمي وروحها الوطنية، فالأجدر نشره لإيقاف ذلك الفساد قبل أن ينخر في جسد الدولة برمتها).

عاشراً: نصائح أساسية للتقصي وأحكامه

يمكن عبر رحلة التقصي ومراجعة رموزها وأعلامها وتجاربهم، والقراءة المتأنية للواقع التنظيري والتجريبي والتطبيقي الميداني للصحافة الاستقصائية استنتاج الحكم والقواعد والنصائح التالية:

1. المطرقة ليست مفيدة إذا لم تضرب بها المسمار.
2. إن الصحافة الاستقصائية لا تعني كشف كل شيء بل كشف شيء ما كما يوضح هنتر: "فإذا ما استطاع الشخص أن يكشف كل يوم شيئاً واحداً فقط لا يعرفه الآخرون ستكون حياته مجزية ومليئة بالاكتشافات ".
3. المشكلة ليست بالقرائن بل بالبحث عنها.
4. من يحمل حجراً أكثر من قدرته يقصم ظهره من دون أن يستطيع إيصال رميه إلى غاياته.
5. الجميع يريدون إحداث فرق لكن ليس لإظهار الشجاعة، وليس لمعرفة كم أن الصحفي شجاع، فهنا المجال مفتوح لمساعدة الناس وليس لعرض العضلات، والحصول على التقديرات والثناءات.
6. في التعامل مع جمع المعلومات ومواجهة المصادر وتوظيفها لصالح القصة: إنهم يجمعون الحجارة، لكن كيف يبنون منها صرحاً ينفع المجتمع.
7. لا تفكر بما تشعر به نحو الضحايا ومعاناتهم بل انقل ما يشعر به الضحايا، ودعهم يعبرون بأنفسهم عن معاناتهم.
8. الناس لا صوت لهم وحين يمتلكون يضيع أمام ضجيج المصالح لكن بواسطة الاستقصاء تصبح الصحافة باختلاف أشكالها صوتَهم والقاعدة في التعامل مع أصوات الضحايا: "بدل أن تعطيهم صوتك لتعبر عنهم اسمع لهم ودع صوتهم بنفسه يصل"، والخلاصة: بدل إعطائهم صوتاً اسمع لهم.
9. حين تتعلم من تاريخ المهنة لا يعني أن تحفظ سرداً تاريخياً للمهنة ورموزها لكن باختصار التعلم من تجارب الآخرين يعني أنه: "لا داعي لاختراع الدراجة طالما هي موجودة اركبها واذهب نحو غايتك بشكل أسرع".

10. كل التقارير صالحة لأن تكون أخباراً لكن ليس كل التقارير تنفع أن تكون استقصاءات.
11. لا تكتفي بما يقوله الآخرون بل تحول من سؤال المسؤولين عن المعلومات إلى مواجهة المسؤولين بالمعلومات، ومن القول ماذا حصل؟ وهل فعلتم ذلك؟ إلى قول: لماذا حصل ولماذا فعلتم ذلك، بعد التأكد من المعلومات من خلال المصادر المختلفة.
12. كلما زاد عدد المستفيدين من الاستقصاء زادت قيمته، لكن أيضاً يحدث في الصحافة الاستقصائية أنه قد تساعد شخصاً واحداً فقط، لكن تأكد أن هذا الشخص لن ينساك ولن يتنكر يوماً لصنيعك.
13. في المحاكم الاعتراف سيد الأدلة في الاستقصاء أضعفها.
14. الدجاجات ذات الرؤوس المقطوعة بالحصول على المعلومات يجعلون منها خيولاً ويتشاركون فيها.
15. يخطئ من يعتقد بأن الصحفي الاستقصائي عكس التقليدي يصدر حكماً، لكن يمكنه عبر جمع المعلومات وبناء على الوثائق والأدلة وتنظيم البيانات أن يساعد الآخرين على إطلاق حكم وإصداره.
16. لا نعطي الحقيقة بل نقدم وقائع أخبار الحقيقة.
17. الانحياز يرفضه الجميع وتتعامل به الأغلبية حينما لا يلتقون إلا بمن يدعم القصة ولا يرفضها.
18. إسقاط القطعة الناقصة يجعل اللوحة مخلوعة العين.
19. الحماس يجعل الناس يرون بطريقة الأبيض والأسود، يروون القصة من زاوية النفق.
20. ضبط الجودة قبل النشر يبدأ من بداية التحرير Pre-Publication Quality.
21. في غرفة التقصي غير مقبولة المفاجآت.
22. مهمة الاستقصائي مراقبة مجرى القصة ومسارها وإلى أي مدى هي متوازنة.
23. استخراج الخلاصات تحدٍ كبير.
24. الاستجابة للانتقاد: هل الاستقصائي أعلم بتلك الادعاءات؟.
25. كيف يتحقق الصحفي من الحقائق المفقودة؟ وهل يمكن للحقائق الأخرى إذا أضيفت أن تغير الصورة؟
26. السؤال الأخير للمحرر: هل هنالك شيء يزعجك في القصة الاستقصائية؟ هذه فرصتك الأخيرة غداً كل شيء سيكون قد فات وغيرَ قابل للسيطرة.
27. مدير الفريق هو من يحمي صحفييه لأنه صاحب القرار النهائي الذي يجب أن يولد من أجل تلك المهمة المتعلقة بحماية فريقه.

28. اجعل لأفكار القصة قلباً ومشاعر لكن يخسر الصحفي التعاطف مع الضحية إذا لم يخبر مزيداً عن خلفية هذه الضحية، ويوثق بالأدلة لا بالنعوت معاييرَ ظلمها ومن كان وراءه.

29. الأنا الكبيرة تكسر الحدود ويجب معرفة كيفية التعامل مع هذه الأنا سواء داخل الصحفي أم داخل الفريق وهو ما يدعى Dealing with the Big Ego.

30. من أكبر معضلات الصحفي عدمُ اختيار نقطة تركيز، فهذا هدر للموارد وعلى مديريهم أن يحددوا لهم خطوط القصة، وذلك منذ الاجتماع الأول لفريق التقصي.

31. تُعرّف الفرضية على أنها وضع الأمر الذي يراد برهنته في جملة واحدة، ويمكن حسب وجهة نظر الصحفي وضع فرضيتين أو ثلاث فرضيات متقطعة، وهو ما يُدعى:

Focus on One Key Track the Best Way to Save Time and Resource.

32. المهم بالنسبة لمن يعمل في الصحافة الاستقصائية إيجاد الخطأ قبل الوقوع به.

33. من القصص المشهورة في أخطاء التقصي قصة لـ BBC تروي قصة السياسي في السبعينيات الذي أُتهم بالتعرض جنسياً لضحاياه، وبعد الحصول على مصدر هو أحد الأولاد الذي قال للصحفي إنه تعرض للتحرش الجنسي من قبل السياسي، لكن الطفل نقل إلى الصحفي اسم السياسي بشكل خاطئ، وكانت النتيجة كارثية حيث أُضطرت الـ BBC إلى طرد المراسل الذي تعامل مع المصدر إضافة إلى طرد المدير العام.

34. لا يمكن التأكد من الحقيقة عبر شخص واحد، لأنه قد يكون مُعمى البصيرة.

35. على الجميع أن يقروا بأنهم يعملون في حقبة جديدة من المهنة الصحفية، فلا يعقل أن يخطئ اليوم كما كان يتم في الماضي.

36. لا يجب أن نكون دقيقين ومتوازنين بل منصفون وعادلون.

37. يقول "تيم سبستيان": الصحافة الاستقصائية ليست كرة قدم يجب أن تربّح فيها فريقك بل قدّم جميع وجهات النظر.

38. يقول "تيم سبستيان": من لا يهز المركب ليس صحفياً وإلا غدا كالجراح الذي يرفض إجراء أي عمل جراحي.

39. إذا كانت الأخبار مهمتها كتابة النسخة الأولى من التاريخ فالصحافة الاستقصائية وظيفتها تدوين النسخة الأولى من الحقيقة.

40. لا حقيقة مطلقة فمن يدّعي أنه يمتلك الحقيقة يكذب.

41. العمل الاستقصائي الجيد يعني كيف تستخرج من بين أكوام من الإحصاءات الغامضة، ومسار حبكة معقد، ومعلومات متناقضة وغير مفهومة، وجمع من الشخوص استقصاءاتٍ يفهمها ويتفاعل معها الجمهور، وتتعلم من خلالها كيف تبقى موضوعياً وقادراً على تضمين صوتك وحكايتك في التحقيق.

42. الحصول على دليل يمكن مواجهة المذنبين والخادعين به تظل القاعدة الذهبية التي يمكن الاعتماد عليها لتبرير أهمية التصوير السري.

43. يحتاج العمل الاستقصائي الصحفي إلى مجهود أكبر بكثير من الصحافة العادية لكنك تستطيع إنجاز كل خطوة من الخطوات العملية بكفاءة ومتعة وستشعر بأن مردود الاستقصاء كبير بالنسبة للجمهور ووسيلتك الإعلامية ولك.

الخلاصة

يساعد الكمبيوتر الصحافي الاستقصائي على إدارة أصوله الإعلامية، والتحكم بأرشيفه الخاص عبر تخزين الوثائق، وربط الحقائق، والأشخاص والوقائع، والتسلسل الزمني، والمتغير المكاني، ما يسرع عملية كتابة التحقيق، وهذا يؤكد أهمية استخدام الكمبيوتر في الصحافة الاستقصائية وفوائده، وحول تاريخ استخدام الكمبيوتر في العمل الصحفي فقد ولد في أمريكا عام 1952، حين استخدم مراسل شبكة "CBS News" في واشنطن "والتر كرونكايت" جهاز كمبيوتر أطلق عليه لقب "ريمنجتن راند يونيفك"، لتحليل النتائج المبكرة للانتخابات الأمريكية بين المرشحين" دايت ايزنهاور وأدلاي ستيفنسون".

إن الحصول على أكبر إفادة من قواعد البيانات له وجهين، الجانب الطيب، والجانب السيئ، ويحدد ذلك إمكانية التغلب على العقبات، ما يجعله يمكن الاستقصائي من الوصول أولاً بأقصر الطرق إلى المصادر المفتوحة، وعرض البيانات الصحافية بشكل بصري "إنفوجرافك"، وتشفير وحماية الملفات الخاصة بالعمل الصحافي، وتوظيف الاستبيانات الإلكترونية في العمل الصحافي.

التمارين

1. اختر الإجابة الصحيحة:

أهم كتب تطرقت لاستخدام الحاسوب كان كاتب "ميلر" وعنوانه

A. صحافة التكنولوجيا.

B. صحافة الدقة.

C. صحافة العصر الجديد.

D. صحافة المشكلات والإنترنت.

الإجابة الصحيحة: B. صحافة الدقة.

2. اختر الإجابة الصحيحة:

يقوم مشروع "TOR" في استخدام الحاسوب ضمن الصحافة الاستقصائية بـ

A. حماية الخصوصية.

B. تشفير المعلومات.

C. جمع البيانات.

D. تحليل البيانات.

الإجابة الصحيحة: A. حماية الخصوصية.

3. اختر الإجابة الصحيحة:

يقوم مشروع Curator في استخدام الحاسوب ضمن الصحافة الاستقصائية على

A. الوصول إلى النتائج.

B. عدم اكتشاف متتبع المصدر .

C. مشاركة الاستقصاء عبر تخطي الحدود.

D. جمع التغريدات حول الموضوع.

الإجابة الصحيحة: D. جمع التغريدات حول الموضوع

المراجع

-. أديب خضور، فن التحرير الصحفي، جامعة دمشق، مركز التعليم المفتوح، دمشق 2004 .

-. أميرة الصاوي، الصحافة الاستقصائية برؤية متطورة من منظور صحافة الدقة، ط1 (القاهرة: المكتب المصري، 2013).

-. بيل كوفاتش، توم روزنشيتل، ترجمة: فايزة حكيم، أحمد منيب، المبادئ الأساسية للصحافة، بدون طبعة (القاهرة: الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، 2006).

-. جمال الجاسم المحمود، التحقيق الصحفي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية– المجلد 24 – العدد الثاني، (2008)، ص ص: 307–344.

-. جون أولمان، التحقيق الصحفي أساليب وتقنيات متطورة، ترجمة زيدان، ليلى، ط1، القاهرة، الدار الدولية للنشر، 2000.

-. جون أولمان، **التحقيق الصحفي أساليب وتقنيات متطورة**، ترجمة زيدان، ليلى، الطبعة الأولى، القاهرة، الدار الدولية للنشر والتوزيع، 2000.

-. شون ت. شيفر. ترجمة مصباح قطب، مهارات التحقيق الصحفي، مركز المشروعات الدولية الخاصة، يونيو (2009).

-. حسن أبو حشيش **الصحافة الاستقصائية**، كلية الآداب، قسم الصحافة والإعلام، الجامعة الإسلامية، غزة، 2013.

-. حسن محمد أبو حشيش، فن التحقيق الصحفي في الصحافة الفلسطينية، ط1، غزة، فلسطين (2006).

-. **الصحافة الإستقصائية**، دون كاتب، موريتانيا، نقابة الصحفيين الموريتانيين، 2010.

-. محمود علم الدين، التحقيق الصحفي كشكل من أشكال التغطية الصحفية التفسيرية والاستقصائية، في ضوابط التحقيقات الصحفية الأمنية، ط1 (الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2010).

-. أسماء موسى محمد كامل، الصحافة الاستقصائية وصحافة المواطن، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزقازيق، قسم الإعلام، (2013).

-. حسين محمد ربيع، الصحافة الاستقصائية كنمط مستحدث في الصحافة العربية: دراسة للواقع والإشكاليات مع رصد توجهات النخب المهنية والأكاديمية لمستقبل هذا النمط في الصحافة المصرية"، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة بين سويف 2013.

-. علي حسن، دور الصحافة الاستقصائية في مكافحة الفساد المالي والإداري والحد من الجريمة المنظمة، إصدار مدرسة الصحافة المستقلة، بغداد، 2009.

-. صباح عبده هادي الخيشني، دور التحقيق الصحفي في معالجة قضايا المجتمع في الصحافة اليمنية، دراسة مقارنة بين الصحف الرسمية والحزبية والأهلية، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة: جامعة عين شمس، (2005).

-. حسن أبو حشيش الصحافة الاستقصائية، مساق تدريسي، كلية الآداب، قسم الصحافة والإعلام، الجامعة الإسلامية، غزة، 2013.

-. منير أبو راس – ياسر البنا – زاهر البيك، الصحافة الاستقصائية: مفهومها وماهيتها.. نشأتها وتطورها.. علاقتها بالبحث العلمي، بحث مقدم ضمن المتطلبات البحثية لمساق" صحافة استقصائية/ ماجستير الصحافة"، كلية الآداب قسم الصحافة والإعلام الجامعة الإسلامية، غزة، 2013.

-. مها فالح ساق الله، "ماهية الصحافة الاستقصائية" بحث مقدم ضمن المتطلبات البحثية لمساق" صحافة استقصائية/ ماجستير الصحافة" ، كلية الآداب قسم الصحافة والإعلام الجامعة الإسلامية، غزة، 2013.

-. علي حسن، دور الصحافة الاستقصائية في مكافحة الفساد المالي والإداري والحد من الجريمة المنظمة (بغداد: مدرسة الصحافة المستقلة، 2009).

المراجع

-. شون ت. شيفر. ترجمة مصباح قطب، مهارات التحقيق الصحفي، مركز المشروعات الدولية الخاصة، يونيو (2009).

-. جورج صدقه، جان كرم، علي رمال، طوني مخايل، التحقيق الاستقصائي: مبادئ وتطبيقات، دليل تدريبي، المركز اللبناني للتربية المهنية، والوكالة الأمريكية للتنمية، برنامج الشفافية والمساءلة، بيروت.2009

-. جمعية مهارات، الصحافة الاستقصائية أداة لمحاربة الفساد، المركز اللبناني للتربية المهنية، بيروت: كلية الإعلام، الجامعة اللبنانية،2009.

-. جون أولمان، ترجمة ليلى زيدان، التحقيق الصحفي أساليب وتقنيات متطورة، الطبعة الأولى، القاهرة، الدار الدولية للنشر والتوزيع، 2000.

-. شون ت. شيفر. ترجمة مصباح قطب، مهارات التحقيق الصحفي، مركز المشروعات الدولية الخاصة، يونيو 2009.

-. عيسى يوسف الحسن، الصحافة الاستقصائية: مهنة المتاعب والأخطار، ط1 عمان: دار زهران للنشر والتوزيع، 2012

-. نبيل الشريف، منال الشريف، التحري الصحفي، ورشة التحري الصحفي، عمان: مركز الأفق الثقافي، 2005.

-. جون أولمان، ترجمة ليلى زيدان، التحقيق الصحفي أساليب وتقنيات متطورة، الطبعة الأولى، القاهرة، الدار الدولية للنشر والتوزيع، 2000.

-. جورج صدقه، جان كرم، علي رمال، طوني مخايل، التحقيق الاستقصائي: مبادئ وتطبيقات، دليل تدريبي، المركز اللبناني للتربية المهنية، والوكالة الأمريكية للتنمية، برنامج الشفافية والمساءلة، بيروت.2009

-. جمعية مهارات، الصحافة الاستقصائية أداة لمحاربة الفساد، المركز اللبناني للتربية المهنية، بيروت: كلية الإعلام، الجامعة اللبنانية، 2009.

-. شون ت. شيفر. ترجمة مصباح قطب، مهارات التحقيق الصحفي، مركز المشروعات الدولية الخاصة، يونيو 2009.

-. وليد بطراوي، المستقصي، كيف تصبح صحفياً استقصائياً ؟ الائتلاف من أجل النزاهة والمساءلة "أمان"، رام الله 2006

-. عيسى يوسف الحسن، الصحافة الاستقصائية: مهنة المتاعب والأخطار، ط1 عمان: دار زهران للنشر والتوزيع، 2012

-. منير أبو راس – ياسر البنا – زاهر البيك، الصحافة الاستقصائية: مفهومها وماهيتها.. نشأتها وتطورها.. علاقتها بالبحث العلمي، بحث مقدم ضمن المتطلبات البحثية لمساق" صحافة استقصائية/ ماجستير الصحافة"، كلية الآداب قسم الصحافة والإعلام الجامعة الإسلامية، غزة، 2013.

-. مها فالح ساق الله، "ماهية الصحافة الاستقصائية "بحث مقدم ضمن المتطلبات البحثية لمساق" صحافة استقصائية/ ماجستير الصحافة" ، كلية الآداب قسم الصحافة والإعلام الجامعة الإسلامية، غزة، 2013.

-. جون أولمان، ترجمة ليلى زيدان، التحقيق الصحفي أساليب وتقنيات متطورة، ط1، القاهرة، الدار الدولية للنشر، 2000.

المراجع

- علي حسن، دور الصحافة الاستقصائية في مكافحة الفساد المالي والإداري والحد من الجريمة المنظمة بغداد: مدرسة الصحافة المستقلة، 2009.
- وليد بطراوي، المستقصي، كيف تصبح صحفياً استقصائياً؟ الائتلاف من أجل النزاهة والمساءلة "أمان"، رام الله 2006.
- عيسى يوسف الحسن، الصحافة الاستقصائية: مهنة المتاعب والأخطار، ط1 عمان: دار زهران للنشر والتوزيع، 2012.
- منير أبو راس – ياسر البنا – زاهر البيك، الصحافة الاستقصائية: مفهومها وماهيتها.. نشأتها وتطورها.. علاقتها بالبحث العلمي، بحث مقدم ضمن المتطلبات البحثية لمساق" صحافة استقصائية/ ماجستير الصحافة"، كلية الآداب قسم الصحافة والإعلام الجامعة الإسلامية، غزة، 2013.
- مها فالح ساق الله، "ماهية الصحافة الاستقصائية "بحث مقدم ضمن المتطلبات البحثية لمساق" صحافة استقصائية/ ماجستير الصحافة" ، كلية الآداب قسم الصحافة والإعلام الجامعة الإسلامية، غزة، 2013.
- شون ت. شيفر. ترجمة مصباح قطب، مهارات التحقيق الصحفي، مركز المشروعات الدولية الخاصة، يونيو 2009.
- جون أولمان، التحقيق الصحفي أساليب وتقنيات متطورة، ترجمة ليلى زيدان، ط1، القاهرة، الدار الدولية للنشر، 2000.
- حسن أبو حشيش الصحافة الاستقصائية، كلية الآداب، قسم الصحافة والإعلام، الجامعة الإسلامية، غزة، 2013.
- الصحافة الاستقصائية، دون كاتب، موريتانيا، نقابة الصحفيين الموريتانيين، 2010.
- عبير أسعد محمود، التحقيق الصحفي، ط1، دار البداية، عمان 2012.
- رعد منير نشيوات، دليل توظيف الكمبيوتر والانترنت في العمل الصحافي، عمان، شبكة أريج للصحافة الاستقصائية العربية، 2010.
- شون ت. شيفر، ترجمة مصباح قطب، مهارات التحقيق الصحفي، مركز المشروعات الدولية الخاصة، يونيو 2009.
- جون أولمان، **التحقيق الصحفي أساليب وتقنيات متطورة**، ترجمة زيدان، ليلى، الطبعة الأولى، القاهرة، الدار الدولية للنشر، 2000.
- **حسن أبو حشيش الصحافة الاستقصائية، مساق تدريسي**، كلية الآداب، قسم الصحافة والإعلام، الجامعة الإسلامية، غزة، 2013.
- عيسى عبد الباقي، **الصحافة الاستقصائية: أطر نظرية ونماذج تطبيقية**، ط1 القاهرة: للنشر والتوزيع ، 2013.